

بارزان

وحركة الوعي القومي الكردي

١٩١٤-١٨٢٦

الناشر
مكتبة

هه و النامه كتيب

بارزان

وحركة الوعي القومي الكردي

١٨٢٦-١٩١٤

أيوب بابو بارزاني

دار نشر حقائق المشرق - جنيف

Edition Orient-Réalités, Genève

هه و النامهه كتيب

اسم الكتاب: بارزان وحركة الوعي القومي الكردي

التصميم الداخلي والغلاف: أسو حسين

الطبعة الأولى: ١٩٨٠

الطبعة الثانية منقحة ومصححة ومزودة: ٢٠١٨

EAN: 9782940325054

ISBN: 978-2-940325-05-4

العنوان البريدي والالكتروني

Email: shilo@genevalink.ch

Edition Orient-Réalités

P.O.BOX: 1150

1211Geneva 1

Switzerland

جمع حقوق الطبع محفوظة

الفهرست

١٣	مقدمة الكتاب
١٩	شكر وتقدير
٢١	لمحة تاريخية تمهيدية
		الفصل الأول
		نهاية عهد الامارات وبداية ظهور المشيخات النقشبندية
٤١	- امارة سوران
٤٢	- امارة بادينان
٤٩	- الاقتصاد القبلي والضرائب الحكومية
٥٤	- مقاطعة بهرؤژ و بارزان
٥٩	- بارزان
٦١	- مسجد بارزان
		الفصل الثاني
٦٧	الرابطة القبائلية والتبعية المشيخة
		الفصل الثالث
٧٣	الشيخ عبدالرحمن وتأسيس المشيخة
		الفصل الرابع
٧٦	الشيخ عبدالسلام
		الفصل الخامس
٨٠	عقرة- مركز الزيبار التجارى والحركة الصوفية
		الفصل السادس
٨٣	الشيخ محمد ابن الشيخ عبدالسلام (اول المشيخة)

٨٣	- الشيخ محمد مرشدا
٨٥	- سكنة قرية بارزان
٨٦	- الشكوى
٨٨	- الفرار
٩٠	- الهجوم المسلح
٩١	- التجنيد الإجباري
		الفصل السابع
٩٤	فتاح آغا هرني
		الفصل الثامن
٩٩	سلطان آغا بيّرسيافى رئيس الشيروانيين وابنه احمد
		الفصل التاسع
١٠٢	الاتفاق على إسقاط فتاح آغا
		الفصل العاشر
١٠٦	الشيروانيون
		الفصل الحادي عشر
١٠٩	احول المرديدن والأنصار
		الفصل الثاني عشر
١١٤	المشيخة والجيران
		الفصل الثالث عشر
١٢٠	النزاع بين بجيل وبارزان - الاسباب والنتائج
		الفصل الرابع عشر
١٢٨	الاشتباكات في كهلات وبيجيل

الفصل الخامس عشر

١٣٢ الحلف ضد بارزان وعودة النفوذ لاغوات الزيبار.....

الفصل السادس عشر

١٣٧ بعد السجن.....

١٣٧ - العودة.....

١٣٩ - تبلور الصراع.....

الفصل السابع عشر

١٤٠ قوات الحلف تغزو بارزان.....

الفصل الثامن عشر

١٤٤ الخلاف بين اطراف الحلف الشمديناني وانتفاضة ١٨٩٥

١٤٥ - انتفاضة ١٨٩٥.....

الفصل التاسع عشر

١٥٠ - تجدد القتال.....

١٥٠ - مناوشات منگوره.....

١٥١ - انقسام في الكرديين.....

الفصل العشرون

١٥٥ دور الاستقرار- ايام الشيخ محمد الاخير.....

الفصل الحادي والعشرون

١٥٩ عصر الشيخ عبدالسلام الثاني- اليقظة الوطنية الكردية

١٥٩ - احوال الدولة العثمانية.....

١٦٢ - يقظة الطبقة الكردية المثقفة.....

١٦٥ - خلافة عبدالسلام.....

الفصل الثاني والعشرون

١٦٩ بروز شخصية عبدالسلام

الفصل الثالث والعشرون

١٧٢ الصراعات مع الجيران

١٧٢ - عود الى أغوات الزيبار

١٧٣ - مع شيخ نهري

١٧٤ - الروابط مع مشيخة بجيل

الفصل الرابع والعشرون

١٨٠ نهاية فترة الهدوء والاستقرار

١٨٠ - جفاء مع الحكومة والاعوات

١٨٣ - مضمون المذكرة

الفصل الخامس والعشرون

١٩٠ معركة پيرس الاولى - خريف العام ١٩٠٨

١٩٠ - الصفحة الاولى من المعركة

١٩٣ - الصفحة الثانية

١٩٦ - من ذبول الحملة - بطولة حاجك چمى

١٩٧ - تمرکز الجيش فى المنطقة

الفصل السادس والعشرون

٢٠٠ ايام الاختفاء

الفصل السابع والعشرون

٢٠٥ معركة سرى باز ١٩٠٩

الفصل الثامن والعشرون

٢١٢ الانتصاف من الإقطاعيين

الفصل التاسع والعشرون

٢١٨ سياسة السلطة الجديدة تجاه المشيخة

٢١٨ - المفاوضات

٢٢٢ - تطلعات الشيخ الوطنية

الفصل الثلاثون

٢٢٧ الغيوم تتجمع

٢٣٤ أصدقاء الشيخ وقت المحنة

الفصل الحادي والثلاثون

٢٣٥ تجدد القتال

٢٣٦ معركة بله

الفصل الثاني والثلاثون

٢٤١ النزوح الى ايران

الفصل الثالث والثلاثون

٢٤٥ الشيخ في ميدان السياسة

الفصل الرابع والثلاثون

٢٥٢ خاتمة المطاف

٢٥٧ تجدد الاشتباكات في بارزان

الفصل الخامس والثلاثون

٢٦٠ محاكمة الشيخ عبدالسلام واعدامه الحياة

الملاحق

الملحق الأول.

٢٧٣ في العمامة البارزانية

الملحق الثاني

٢٧٧ ملحمة قمري وترجمتها

٢٧٧ ملخص للملحمة

الملحق الثالث

٢٩٣ القصيدة الدينية

٢٩٣ تعريف بالقصيدة

٣١٥ ملحق صور وخرائط

ههه والنامهى كئبب

هه و النامه كتيب

المقدمة

فرغت من مسودة هذا الكتاب قبل حلول الكارثة الوطنية بالشعب الكردي في العراق (١٩٧٥) بأيام قلائل، وقد تعذر طبعه بعدها لأسباب وظروف قاهرة تتعلق بأحوالنا كلاجئين عقب النكسة وعدم وجود الوقت لمراجعته واعداده للطبع ولحجزه حيناً من الزمن من قبل السلطات الأمنية (سافاك) في طهران.

ان ما دون من تاريخ الشعب الكردي قليل ومتناثر ومعظمه على قلته يتجلى فيه الأغراض والتحامل لأنه كتب بأيد أجنبية وخدمة لجهات معينة يههما تشويه هذا التاريخ، كل هذا يرجع الى وضع كردستان السياسي، أعني وجود بلاد الاكراد ضمن دول متعددة تنظر كل دولة منها الى مشاكل الشعب الكردي من زاويتها الخاصة وتمنع ما لا يتلائم مع سياستها مما يكتبه أبناء هذه الامة، ولا تقتصر على سد منافذ المعرفة الوطنية بوجه أبناء هذه الامة، وانما تتبع سياسة اذابة الثقافة الكردية والوطن الكردي وطمس معالم تاريخه او تعمد الى العبث الشنيع بواقعه الجغرافي والقومي عن طريق هدم مجتمعاته السكنية وسوقه بالسوط والعصا في تهجير جماعي لإسكان قوميات وعنصريات أخرى في بلاده نفسها.

ولهذا كان اول ما جوبهت به من مصاعب هو قلة المصادر وندرة المعلومات عند شروعي في تأليف الكتاب، فاعتمدت بالدرجة الأولى على الرواية المحلية المتداولة والحديث المباشر مع المعمرين الذين

شاركوا شخصياً في حوادث الكتاب المتأخرة، فتقصيتهم وتتبع آثارهم ورحلت اليهم وهم في قراهم النائبة، لقد تعلمت منهم الكثير فكان لعملي هذا مردود جيد للكتاب، اذ حفل بوقائع ومعلومات لم يسبقني فيها احد من الكتاب.

يكتب رئيس المعهد الكردي في باريس (كندال نزان) : "ان الوضع الحالي للشعب الكردي يمكن فقط فهمه ضمن اطاره التاريخي وبالأخص على ضوء أحداث السنوات المائة الماضية." وقد كنت شديد الرغبة في اظهار جانب من ذلك الاطار التاريخي بالتصدي الى تاريخ احدي المشيخات الكردية الدينية (المشيخة البارزانية) التي كان لها دورها الفعال وأثرها الباقي في ميدان النضال الوطني فضلاً عن دور لا يمكن التقليل من شأنه في التحول الاجتماعي، بسبب هيمنة تلك المشيخة على العقلية الكردية والحياة السياسية لمجتمع غير صغير من الشعب الكردي ولوقت طويل.

من أين استمدت المشيخات الدينية سلطانها؟ وعلى أي أسس بنيت؟ لماذا وكيف كانت أوامر مرشدي المشيخة تطاع وتنفذ بدون اعتراض؟ الى أي حد كانت تمتد تلك السلطات؟ ماهي الاخطار التي تتعرض لها المشيخة؟ كيف انجرت مشيخة بارزان الى ساحة العمل الوطني؟

حاولت ان اجيب على كل هذه الأسئلة بسرد الاحداث فقط دون ان الجأ الى التحليل المسهب لئلا أكون كمن يفرض نتائج تحليلاته على القارئ.

قد يكون عمل الشيخ (المرشد) قاصراً على الدين ونشر تعاليمه على هدي الطريقة، وقد يكون محتالاً انتهازياً يسخر مريديه لمصلحته الخاصة، وقد يكون وطنياً مخلصاً غيوراً على مصلحة أنصاره وشعبه، لكن لا أحد ينكر أن سلطان هذين الاثنين النقيضين على جيش المريدين المطواع يكاد يكون مطلقاً، وعندما يصيب المشيخة التفسخ والتحلل الخلقي ويبدو سلوك الورثة منافياً لمبادئ الاخلاق وقواعد الدين، فان الجهل العام كفيل بحماية هذا التفسخ وتغطيته. ان جيش الطريقة (غير المتحرر من قيود الجهل) لن يتمرد على الشيخ المحتال المستغل ويظل يأتتمر بأوامره لأنه يستند الى التراث النقي الروحي الذي خلفه له أسلافه الأوائل وهم أولئك الذين سلموه قيادة المريدين والطريقة، والورثة يحتمون بهذا التراث وينتفعون به شرّ انتفاع، فيتحول التراث الطاهر الى حارس وخادم لسلبيات الأولاد والأحفاد.

لقد خلفت مشيخة بارزان تراثاً نقياً وآثاراً إيجابية عميقة وكان لها الفضل في تطويع الروح القبائلية واستخلاص انفس أبنائها وانصارها من أضرار العنعنات العشائرية، وأوجدت رابطة المبدء والعقيدة بعد ان قضت على رابطة العشيرة وقللت من الانانية الفردية الى حد كبير، و أحلت روح التعاون والتفاني و التضحية وجندت كل ذلك لخير مجتمعها وقيادته لمحاربة زعمائه المستغلين من الاقطاعيين العائشين على كدّ الفقراء المستضعفين، لذلك فكلمة كانت سيرة الشيخ وأسلوب حياته الخاصة أقرب الى المثالية والترفع عن المادة والحرص على المساواة بين أتباعه دون تفریق وتفضيل،

كلما ارتفع مقامه في أعينهم وزاد ايمانهم به واستعدادهم لإطاعة أوامره، وهنا تكمن الخطورة في انحراف الورثة أو ابتلائها بمرشد طالح، فبسبب الجهل الفاشي والايمان الأعمى وتحريم الطريقة ان يوجه الى الشيخ أي استفسار عن تصرفاته العامة والخاصة أو الطلب منه إيضاح هذه من هذا الاجراء - فوق المسائلة - ، فان الاحتراب الدموي الذي ساد تاريخ المشيخات الكردية في تلك الفترة من الزمن بين المشايخ، لم يكن يدري اسبابه ودوافعه بصورة مباشرة غير الشيوخ المحتربين. أما وقود المعارك فهم المريدون والأتباع وليس بينهم من يعرف السبب الحقيقي الذي يقاتل في سبيله، فهو لا ينتظر أية مكافأة، الا شفاعة شيخه له في الآخرة واعتقاده المطلق بأن ما فعله هو موضع رضا الشيخ.

ان ما ميّز مشيخة (بارزان) خلال الفترة التي اتينا على سرد تاريخها في كتابنا هذا وبعدها بفترة أخرى سنتناولها في كتاب ثان، هو السلوك التقشفي والزهد ورفض الشيخ لفكرة الحيازة والتملك واحتقاره للمادة، في الواقع هذا السلوك هو الذي رسّخ ايمان أتباعه وأنصاره به وجعلهم يضعون ثقتهم به، لقناعتهم بأنه لن يستعمل نفوذه للاستيلاء على أموالهم وأراضيهم او استغلالهم لمصالحه، بل هو مستعد للتضحية لا بما يملكه وهو تافه بل براحته وحياته وحياة أفراد أسرته عندما يجد الجد. وهذا آخرهم الشيخ أحمد أخو الشيخ عبد السلام وخليفته من بعده الذي تجسدت فيه فضيلة احتقار المادة ورفض فكرة التملك، طالما حدّر من مغبة ظاهرة الاسراف والترف عندما ظهرت أولى بوادرهما في إنفاق أموال الثورة الكردية وتفشي

الفساد، ورفض رفضاً قاطعاً ان يستلم شيئاً منها قائلًا: " انها أموال الشعب الكردي هي أمانة في يد المسؤولين وان إساءة التصرف بأي جزء منها مهما قل، انما هي مسؤولية كبيرة أمام الله والشعب، فضلا عن كونها تقضي بالدمار على الهدف الأسمى".

وقفنا بهذا الكتاب عند نهاية عام ١٩١٤^١ وهو عام اندلاع الحرب العالمية الأولى، العام الذي فتح صفحة جديدة في تاريخ البشرية وحدث تغييراً جذرياً في حياتهم، انهارت الإمبراطورية العثمانية وتقطعت أجزاؤها وأصبح للمبادئ الاشتراكية دولة اثر ثورة عصفت بواحد من أشرس النظم الاستبدادية، ونمت فكرة القومية عند الشعوب ونال عدد كبير منها استقلاله وبينها الدول العربية، وفي كردستان خرجت مفاهيم سياسية جديدة ذات منحى وطني، فقامت طبقة من المثقفين الوطنيين لتحمل أعباء القيادة الفكرية النضالية في اطار جمعيات وأحزاب معظمها سرّي، وكلها تهدف الى التحرر والتخلص من نير الأجنبي، وتم الامتزاج والتفاعل بين الصوفيات والدين وبين الأهداف السياسية، وكان هذا طابعا للحركة الوطنية الكردية في العراق وتركيا قبل الحرب وبعدها دون ان يتحقق انفصالهما.

حاولت جهدي إزالة الغموض عن بعض الوقائع التي يتعذر الوصول الى تفاصيلها، والنفاز الى حقيقتها عن طريق الاستقراء والافتراض والاستنتاج، ولاسيما تلك التي تتعلق بالفصول الأخيرة

(١) الحرب العالمية الاولى استمرت من ٢٨ يوليه ١٩١٤ إلى ١١ نوفمبر ١٩١٨.

من الكتاب، أعني فعاليات وتحركات (الشيخ عبد السلام البارزاني) على الصعيد الوطني، كيف وصل الى جورجيا والتقي في عاصمتها (تفليس) بالمسؤولين الروس؟ من كان معه؟ وكيف عاد؟ والمواضيع التي جرى الحديث عنها؟ هذه خفايا تاريخية تحتاج الى المزيد من التقصي والبحث في أرشيفات النظام القيصري الروسي وأرشيفات الامبراطورية العثمانية.

أيوب بابو بارزاني

هه والنّامه كئيب

شكر وتقدير

في ختام هذه المقدمة أتقدم بالشكر الى الأستاذ جرجيس فتح الله المحامي الذي رافق هذا الكتاب منذ ان كان فكرة تختمر في ذهني حتى وضعه في يد القارئ، ولم يبخل على بالتشجيع والجهد في المراجعة والتنقيح والتبويب والتصحيح اللغوي، ولن أنسي قط ما كتبه لي حاثاً ومشجعاً أثناء القتال في العام ١٩٧٤ بأنه على استعداد للعون حتى تحت قصف الطائرات، وقد برّ بوعده ولولاه ما خرج الكتاب بهذه الصورة.

أتقدم ايضاً بالشكر الجزيل لأبي برشنة (فلك الدين كاكائي) لملاحظاته القيمة السديدة وتقويمه عبارات في الكتاب عند مراجعته المستفيضة، وللسيد عبدالوحيد إبراهيم (حفيد الشيخ الشهيد عبد السلام بارزاني) الذي انتفعت بالكثير من معلوماته، وللسيد جهاد إسماعيل بارزاني (حفيد الشيخ الآخر) وللسيد مسعود البرزنجي اللذين ساعداني في استنساخ مسودات الكتاب.

أتقدم ايضاً بالشكر العميق لأولئك الجنود المجهولين الذين اثقلت عليهم باستجاباتي ولجاجتي في

استخلاص المعلومات الفريدة منهم ومعظمهم قد طعن في السن كالسادة (زيير راسعيني)، (وسمان قورتاس هه سنى)، والاخوين (حسكو وجرخو ماميسكى)، (محمد قورتاس ليربيرى)، (مامد كانياديري)، (ملا جعفر بارزاني)، (محو هادي هه رنى)، (محمد خاب بيبي)، (مين ملا عبزید) و (السيد صالح محمود بارزاني).

هه و النامه كيتبر

لمحة تاريخية تمهيدية

شهد المجتمع الكردي خلال قرنين من الزمن قيام عدد من الامارات، كالإمارة البابانية والسورانية والبادينانية والبوتانية، وبعد ان تم القضاء على هذه الامارات اما بتغلب دول مجاورة أقوى منها أو نتيجة الضعف والانحلال الذاتي، ظهرت المشيخات الدينية في مناطق عديدة من كردستان، وبعد ان افل نجم هذه المشيخات وانفتحت الذهنية الكردية على الأفكار الأوروبية الجديدة في التحرر، ظهرت الجمعيات والمدارس السياسية في مستهل القرن العشرين، ومن خلال هذه المؤسسات الاجتماعية الثلاث أكد الشعب الكردي هويته ووجوده المتميز وتطلعاته التحررية، مستخدماً الإمكانيات المحدودة المتوفرة لديه، اذ كان يعيش سجين أوضاعه وتطوره التاريخي الضيق والبطيء وتخلفه الناجم عن خضوعه للاستغلال الأجنبي.

في أثناء قيام الامارة البابانية (احد الامارات الأربع المذكورة) وفي سنوات احتضارها الأخيرة المشحونة بعوامل الفساد والاضطرابات الداخلية، تسلم (محمود باشا بابان) زمام الحكم للمرة الثالثة، وفي كويسنجق استتب الامر لـ (عبدالله باشا) فانتهت بذلك المعارك الاسرية مؤقتاً.

كان ذلك في عام ١٨٢٣. لم يكن الأمير الباباني بقادر على تركيز الجهود للنهوض بالامارة وإصلاح ما فسد من أمورها، فقد استنزفت امكاناتها الحروب الداخلية والمجهودات المبذولة في التغلب على

الخصوم والطامعين بكرسي الامارة، وكانت الأوضاع تفرض على الذين يعيشون في حماها اظهار الموالاتة لطرف معين من الأطراف المتنازعة على الجاه والمال، فامتألت القلوب بالأحقاد والضغائن وسادت الفوضى وغرقت الامارة في لجة من الحروب الداخلية والمنازعات وأصبح أمراً اعتيادياً استنجااد المتنازعين بالعثمانيين او بالفرس في صراعاتهم المحلية.

باختصار كانت الحياة في عهد الأمير محمود باشا حافلة بعوامل الفوضى والفساد.

في عاصمة الامارة (السليمانية) عاش رجل شاب كان قد شرع في التدريس والتأليف بعد أن أنهى دراسته على يد افاضل العلماء في كردستان. لم يعره الناس اهتماماً في البداية. لقد تعدت رغبته في تغيير ذات نفسه الى احداث التغيير في نفوس الآخرين. هذا الرجل هو الشيخ الذي أشتهر فيما بعد باسم (مولانا خالد) المولود في العام ١٧٧٩ م.

انعكست آثار اوضاع الامارة المتفسخة على نفسية هذا الصوفي وهو في ريعان شبابه، ولا شك أنه تذر من فساد الأوضاع الاجتماعية السائدة وآلمه أن يرى مجتمعه تعمه الفوضى وتحركه الشهوات والمطامع وهزه أن يرى الداء قد تخلل مختلف الطبقات الاجتماعية فلم ير سبيلاً للتقويم واصلاح النفوس الا بالعودة بقومه الى روح الاسلام متمسكاً سبيله منها الى النفوس الخائرة والعزائم التي أنهكتها الصراعات على مباحج الدنيا ومتاعها.

ولكي نكون أكثر تفهما للطريق التي انتهجتها هذه الشخصية الصوفية العظمى في العالم الاسلامي في القرن التاسع عشر، علينا ان نعود الى الورا، الى اليوم الذي بدء الدين الاسلامي الجديد ينفث على الأفكار الفلسفية ويفسح المجال للجدل المنطقي فيه. لكن كان عليه أيضا أن يمر عبر أجيال بشرية عديدة حتى يتسنى له أن ينتشر ويتناول اتباعه قواعده ومبادئه بالشرح والتحليل. ولا شك أن سبيل العقيد عبر القرون الاربعة عشر لم يكن سهلاً هيناً، فلم ينج من الزندقات والبدع، وكان عليه أن يخوض صراعات عنيفة مع مايتوصل اليه العلم والتطور الحضاري ولذلك وجدت المذاهب، ثم أنبثقت الطرق الصوفية على أثرها مستمدة أصولها من روح القرآن وتعاليمه، وكان هذا ايذاناً بالانفتاح على التقدم العلمي وعاصماً للدين الاسلامي من الجمود والوقوف عند حد التفسير الحرفي وما يتبع ذلك من تناقض بينه وبين المبتدعات والمخترعات والمكتشفات العلمية. فكان الصراع بين العقليات المتزمتة وبين العقليات المتفتحة على العلم وأسباب الحضارة. و في هذا الصدد يقول الاستاذ (آر . أي . نيكلسون) في بحثه عن التصوف " أن الثورة السياسية التي نقلت مركز خلافة الاموية من الشام الى بغداد أدت بالاسلام الى التماس المباشر والاصطدام بافكار المدنيات التي نشأت قبل الاسلام . فإذا كان هذا قد تمخض بتغلب الفكر الاسلامي فالتاريخ يخبرنا بأن النصر في تلك المعركة لم يكن تاماً ابداً ونحن هنا نقصد الحركة التي انتشرت في بقاع كانت قد عرفت العقائد الهيلينية اليونانية معرفة جيدة وحيث النقاش الديني استعر أواره

بين المسلمين من جهة وبين المسيحيين والمانويين والزرادشتيين من
جهة أخرى"^١

هذه الظروف التي وجب فيها على الاسلام أن يثبت وجوده نجد
انه مرّ بفترات مد وجزر. وأحيانا تطم عليه التيارات الفكرية
المعارضة له فيخبو كالسراج وأحيانا يعلو تلك التيارات ويعود الى
الاتقاد بظهور شخصية دينية لامعة مؤثرة في مجرى الصراع.

وكل متتبع لتاريخ الاسلام يلاحظ التأثير الهائل الذي حققه رجال
الدين ومفكروه في مسيرته عبر العصور فقد نفخوا في أتباعه خلال
فترات سبات من التحلل والحيرة والضعف الخلقى روحا جديدة
وعززوا الثقة بتعاليمه ((يمكن أن نطلق على أمثال هؤلاء الناس
اسم (رجال الاحياء) ومن اوائلهم الخليفة الاموي عمر بن
عبدالعزیز، فرغم قصر الزمن الذي حكم فيه - ٧١٧-٧٢٠ م، الا
انها كانت مرحلة حرجة يمرّ بها الاسلام، حيث كانت الاتجاهات
الغريبة عن الدين قد أخذت تتسلل اليه. ففي العهد الذي سبق هذا
الخليفة اصبح (بيت المال) الذي كان ملكا للامة ملكا لفرد واحد
خاضعا لاوامره ورغباته . وكان المبدء الاسلامي المطبق جباية
وتوزيع هذه الاموال هو ما اوصى به الرسول (ص) "تؤخذ من
أغنيائهم وترد على فقرائهم" قد انعكس فصار " تؤخذ من فقرائهم

(١) تراث الإسلام (ترجمة وتحقيق جرجيس فتح الله المحامي) الطبعة ٢ دار
الطليعة، بيروت فصل التصوف.

وترد على أغنيائهم وامرائهم وشعرائهم^١ ويسترسل (الندوي) واصفا المقاييس الجديدة في المجتمع الاسلامي على عهد بني امية "احاطت بالخليفة هالة من الشعراء المحترفين والندماء المتزلفين المتملقين تنفق عليهم اموال الصدقات بسخاء"^٢ و "..... أثرت سياسة الدولة و حياة رجال الحكم المترفة تأثيرها الطبيعي في ميول الناس ومقاييسهم للسعادة والشرف ونشأت في الاسلام طبقة مترفة في اخلاقها وسلوكها ونفسياتها."^٣

في ايام الدولة العباسية الاولى نبغ (أبو الحسن الاشعري) ٢٧٠ - ٣٢٤ هـ ومدرسته في الاعتزال (الاشاعرة) التي كانت تمثل الفكر التقدمي في الاسلام. وتلاه (الامام الغزالي) ٤٥٠ - ٥٠٥ هـ ١٠٥٨ - ١١٠٩ م، ظهر في فترة كانت الحاجة اليه ماسة وقد شاعت الفلسفة اليونانية واثرت على الازهان مبادئ المعتزلة، فنشأت البدع بدعاوى فرق الباطنية واخوان الصفا، وفي القرن الرابع الهجري بلغ الاضطراب الفكري والسياسي أوجه وفي القرن التالي أمسى العالم الاسلامي غارقا في بحر من الفوضى والبلبلة الفكرية حتى وجدنا (الغزالي) أعظم قادة الفكر الديني آنذاك يعاني صراعا نفسيا مريرا وهو يختبر العلوم والتيارات الفكرية السائدة فأدرسته الخيبة منها جميعا ولم يكن منه الا أن ارتقى في احضان التصوف. يقول

(١) رجال الفكر والدعوة في الاسلام (ابوالحسن على الحسن)

(٢) المصدر نفسه

(٣) المصدر نفسه

الاستاذ (الفرد گيوم) كان (الغزالي) اولاً فيلسوفاً ثم صار عالماً ثم محدثاً ثم شاكاً متصوفاً. وهو لا شك رجل عظيم الايمان ذو نزعة أخلاقية متينة يكاد يكون أحد القلائل بين ابناء ملتته الذين وقفوا أنفسهم دوماً على ايقاظ الفضيلة في نفوس اخوانه.^١

وللغزالي مؤلفات عديدة كانت ذات تأثير انقلابي في حياة المسلمين. وكتابه (احياء علوم الدين) من الكتب الاسلامية النادرة، ويعتبر تراثاً لا تقدر قيمته وبفضل جهوده "يدخل التوصيف في نطاق الديانية الاسلامية دخولاً تاماً ويواجه بالاحترام في مجتمعات لم تكن لتحفظ له اية مودة حتى ذلك الحين".^٢

ومن بين المصلحين المجددين (الشيخ عبد القادر الكيلاني ١٠٧٧-١١٦٦ م) نبغ في بغداد في أواخر القرن الخامس الهجري. فالتف المسلمون حوله وأثر في المجتمع الاسلامي تأثيراً كبيراً. ثم تلاه (مولانا جلال الدين الرومي) ٦٠٤-٦٧٢ هـ - ١٢٠٧ - ١٢٧٣ م وآخرون غيرهم قدموا بجهودهم الروحية خدمات نبيلة وأدخلوا على الدين عنصر الملائنة والتسامح وأخرجوه من جموده على النص.

لسنا هنا يصدد البحث عن جوهر الصوفية ولا عن أصولها العقائدية أو أهدافها أو مراتبها أو ممارستها. إنما قصدنا هو بيان التأثير الذي أحدثه زعماء الصوفية ومفكروها ومشايخها في التركيب الروحي والخلقي ومن ثم السياسي والاجتماعي للمجتمع الكردي،

(١) تراث الاسلام فصل الفلسفة وعلم الكلام

(٢) المرجع السالف.

وكيف أن الطرق الصوفية كانت عاملاً مباشراً في أحيان كثيرة على إلهاب الشعور الوطني والثورة على الظلم والوقوف ضد المستغلين في مجابهات دموية.

الصوفي يعتبر (الحياة الدنيا) دار تجربة مرّة يضيق بها ذرعاً ويعمل على الانعتاق من مبادئها والتخلص من حوائلها لأجل الوصول الى الهدف الأسمى (الاتحاد بالخالق) أو على الأقل التسامي بالنفس عن طريق الاقتراب من (الذات الالهية). تلك هي منية الصوفي أو (المتلمذ) للصوفية، وهي اذن برأي كثيرين من الباحثين سلبية لا تشجع على المقاومة والنشاط الانساني، وانما تتوسل بالتهجد والصلاة و (الذكر) الحلقات الصوفية للنأي عن واقع الحياة بالدرجة الاولى. إلا أن ما أحدثه التصوف في كردستان كان بعكس ذلك تماما، فقد كان مردوده ايجابيا وسياسيا في أحيان كثيرة، فقد توالى في القرن التاسع عشر والعشرين (قرني النهضة الفكرية والاجتماعية والثورات القومية في العالم قاطبة) قيادة مشايخ الصوفية لحركات الكرد الوطنية. ولمع في عالم السياسة والنضال الوطني صوفيون معروفون أمثال (الشيخ عبيدالله النهري) و (الشيخ سعيد الدياربكري) و (الشيخ عبد السلام البارزاني) و (الشيخ محمود الحفيد) و (الشيخ احمد البارزاني). وهكذا نجد أنفسنا في كردستان أمام وضع يختلف عما أحدثه التصوف في العالم الاسلامي من ركود اجتماعي واستسلام الى الواقع بدل التمرد عليه، وهو نزول الصوفية الى ميدان الحياة، مسلحين بمبدء التضحية

والجهاد، الامر الذي لا يمت بصلة الى ما هو متعارف عن تعاليم الصوفية ومبادئها الاساسية.

من المفيد أن نشير باختصار الى المقصود بكلمة (الطريقة) عند الصوفيين مهما كان اتجاه الطريقة ومهما اختلفت تعاليمها، فهي تعنى محاولة المتصوف اكتساب جملة من الفضائل باسلوب معين يرسمه له معلمه أو شيخه يوصله الى الهدف الصوفي الأسمى، أي نهاية المطاف، أي فناء النفس في الخالق أو الاتحاد (بالذات الالهية) وفي سبيل الوصول الى هذا يتعين على الصوفي أن يجتاز مراحل أو درجات (مقامات) ومفردها مقام. كذلك تتضمن الطريقة الاوضاع والمواقف الحياتية والعبادات التي يمر بها الصوفي في ممارسته، وتُعرَف بـ (الاحوال) وهي مراحل متوالية متصاعدة كدرجات السلم. أولها (الهداية)، وهي مرحلة انفتاح البصيرة على الطريق الصحيحة والتوبة، يلي ذلك مرحلة انكار الذات، ثم مرحلة نبذ متاع الدنيا والتمسك بالخصاصة والفقر، ثم مرحلة الإِتضاع والتصاغر ثم مرحلة الصبر على المكاره والنوائب، ثم مرحلة التوكل على الله والتسليم المطلق لارادته. وكل حال من هذه (الاحوال) يهيء المتعلم (ويسمى بالمريد) الى الحال الاخرى. وتختلف طرق الإعداد والتهيئة بالتفاصيل وبحسب ما يهتدى اليه الشيخ ببصيرته والتلميذ (المريد) يدرب نفسه على ان تكون بصيرته وأحاسيسه مهيمنة على أعمال حواسه الاخرى، لذلك فان المبادئ والاصول التي اقرتها الشريعة وفرضت على المسلمين بنص آيات الكتاب المنزل (القرآن الكريم) ليست في نظر الصوفي الا دلائل أو رموزاً أو

اشارات تهديه الى الحقيقة المستترة وتؤدي به الى الاتحاد بالله عن طريق المحبة الخالصة (الوجد).

غدت الصوفية دين العامة في كردستان وأخذ التائقون الى المعرفة يستقربون حول اولئك الدعاة المعلمين الذين أشتهروا بتعاليمهم وطرقهم الجذابة الى معرفة الحقيقة (الحق) وهو الله نفسه في نظرهم، وافتتنوا بحياة الطهر والنقاء التي يعيشها هؤلاء المعلمون، فالتصقوا بهم وأخذوا يقلدونهم وهكذا انتشرت الطرق أو أخويات الدروشة وشملت أجزاء كثيرة من العالم الاسلامي وبضمنها (كردستان).

في كردستان كان يقوم على رأس الطريقة أو فرع منها معلم رسمي هو (الشيخ). هذا الشيخ بمؤهلاته الثقيفية هو الدليل أو المرشد أو الزعيم الروحي لتلاميذه (مريديه). والمقر الذي يتخذه لاجتماع تلاميذه وتلقيهم أصول طريقته هو المدرسة الحقيقية لتخريج المتصوفة ويعرف بالتكية أو (الخانقا) واصول الممارسة تبدأ عادة بإعلان المرشد توبته وندامته وبعدها يأخذ الطريقة من الدليل، والأخير لايسلمها له إلا بعد التأكد من استحقاقه لها. ومن مؤهلاته النهوض بمسؤولياتها وعند رضى الدليل على المرشد يُجاز ويعين خلفاً، أي (خليفة) له يقوم مقامه عند موته أو اعتزاله أوغيابه فيصبح هو الآخر دليلاً لجيل جديد من المريدين.

ان الطريقة القادرية الشهيرة كانت اولى الطرق التي دخلت كردستان، وأجدها الدليل الشهير (عبد القادر الكيلاني ١٠٧٧- ١١٦٦ م) وأثبتها حفيده الدليل (عبد الكريم الكيلاني ٧٦٧ - ٨١٤

هـ ١٣٦٦-١٤١٠ م) ومن أسباب انتشارها في كردستان انها كانت أقرب الطرق الصوفية الى السنة واكثرها تمسكا بمظاهر الشريعة، وفضلا عن ذلك فقد كان جل دعائها من الكُرد. ثم وجدت الطريقة النقشبندية طريقها الى كردستان. وكان (محمد بهاءالدين البخارى ١٣١٧ - ١٣٨٩م) أول دعائها. وعلى هذه الطريقة تعلم ونبغ (مولانا خالد) الدليل النقشبندي واليه يدعى التحصيل الروحي عدد كبير من شيوخ الطريقة في سائر انحاء العالم الاسلامي، وخصه بالذكر هنا ناجم عن كونه يمثل حركة بعث منطلقة من احدى هذه المراحل التي سادها انكماش العواطف الدينية بكردستان وبالعالم الاسلامي.

في مستهل القرن التاسع عشر الميلادي عاش مولانا خالد متأملا مجاهدا في سبر خفايا النفس ونزعاتها، لقد بدا وكأنه يبحث عن ضالة، واختلف عن اقرانه طلاب العلم الذين كانوا يجهدون أنفسهم في البحث عن عالم ديني ذائع الصيت لتلقي المعارف والعلوم على يده حتى إذا نالوا حظهم منها سعوا وراء تعيينهم في احدى الوظائف المدنية أو في احدى القرى، قانعين بضمان مستقبلهم المعاشي وقضاء ماتبقى من العمر في قرض ابيات الشعر وكتابة شذرات من النثر. لم يكن الشاب (خالد ١٧٧٩ ؟ - ١٨٢٧) من هذا الصنف فقد تخطي الأفاق التي كان يطمح اليها أقرانه من العلماء الى الجهاد لايجاد منطلق يجتاز من خلاله الروتين الديني الجامد، حيث تقوَّعت النشاطات الدينية داخل أطر من التقاليد والممارسات الجامدة. وفي خضم هذه البلبلة والحيرة نراه يتحرك بدافع باطنى بحت، فقد شعر بأن ماتعلمه مازال ناقصا وأحس بظماً روحي وقلق. فغادر مدينة

السليمانية عاصمة البابانيين ومرّ في طريقه بطهران، خراسان، بسطان، خرقان، سمنان، نيشابور، كابل والعديد من المدن الأخرى ... وزادته الرحلة إطلاعاً على حالة الإسلام والمسلمين ومعرفة بكبار علمائهم ويبلغ به المطاف عند الشيخ (السلطان عبد الله الدهلوي) فيمكث لديه عاماً كاملاً يطوي فيها على يد استاذة مراتب التصوف ويحوز التلميذ ثقة أستاذه واحترامه إلى الحد الذي يسلمه الطريقة، وقد بلغ من اجلاله له أن شيعه بنفسه عندما قفل راجعاً إلى وطنه. وقوله المأثور بالفارسية لحظة الوداع: (خالد كورد هه مه بورد) خالد الكردي أخذ معه كل شيء.

كان الشيخ (خالد) مستاءً من أوضاع العالم الإسلامي وانحطاطه، بالأخص لدى النخب السياسية الإسلامية، هنا اتجهت اهتماماته إلى إصلاح العالم الإسلامي برمته، وأسفاره إلى بلاد الهند والقوقاز والامبراطورية العثمانية والفارسية وظهور العديد من المشيخات في هذه البلدان تعكس نفوذه العظيم في هذه المجتمعات. "ففي كتاب الاستيلاء على منطقة القوقاز" يقول المؤلف:

"في أواخر القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر وبتأثير من شيخ جاء من الإمبراطورية العثمانية، أصله من كردستان العراق، هو الشيخ خالد، ترسخت الطريقة الصوفية التي تغلغت في بلاد القفقاس وأخذت ملامحها النهائية،

أضاف الشيخ خالد منحي سياسي واجتماعي على تعاليم الطريقة النقشبندية، وكان كثير السفر وأمّ أفضل المدارس الدينية في الشرق الأوسط وفي تركيا وبالأخص في شبه القارة الهندية.¹

ولم تكن الأولوية عنده تنقية الروح من الشوائب، بل الضرورة تقتضي إعادة تفعيل الشريعة على كافة الأراضي التي يعيش فيها المسلمون، وبالأخص تلك البلدان المهددة بكوارث وشيكة والمتمثل بالهيمنة الغربية ومؤسساتها.

من الواضح أنه شعربقدوم وزحف الهيمنة الاستعمارية على بلاد الإسلام، وظل تفكيره في اطار العمل وفق مصالح (الامة الإسلامية) عموماً، متجاوزاً الحدود القومية واللغوية والعرقية. وفي وقت متأخر فيما بعد نرى المقاومة التي أبدتها الطرق الصوفية في العديد من بلدان العالم الاسلامي ضد الاستعمار الغربي مثل دول أفريقيا الشمالية، الهند والسودان وأندونيسيا وكردستان وغيرها.

ولكي يتم بلوغ الهدف هذا، اقترح معادلة تنظيمية جديدة للطريقة النقشبندية، حتى ذلك الحين كانت التعاليم الروحية للطريقة، طقوسها ودرجاتها تلقن من قبل المرشد لتغطي كل حياته، أجاز خالد المريدين أن يمارسوا هم أيضاً الارشاد للتلاميذ الجدد، فالخلوة لأربعين يوماً برفقة الشيخ كافية ليضمن التمازج والاندماج بين (المرشد) و(التلميذ) وهذا مبدأ أساسي من مبادئ الطريقة.¹

¹. A la conquête du Caucase, Eric Hoesli, Editions des Syrtes, 2006, pages 53 -54

استغل (مولانا خالد) رحلة العودة الطويلة وأخذ يعمل بهمة وحماسة على نشر الطريقة النقشبندية، ماراً بين شعوب وقوميات مختلفة. فوصل السلিমانيّة في العام ١٨١١ م. وواصل نشر الطريقة فأنشئت لها التكايا في مدن الشام واستنبول^١ وبغداد، فضلاً عما لا يحصى منها في القرى والبلدات والقصبات، وكان انتشارها ايذاناً بحدوث تغيير جوهري في البناء الاجتماعي الكردي، فتشكلت جمعيات (حلقات) كبيرة من المريدين الذين يستوحون تعاليمهم من الاتصال الشخصي باحد شيوخ الطريقة المجازين من قبل (مولانا خالد) أو احد خلفائه وكان قد انتشر خلفاؤه هؤلاء في شتى الديار وأصعبها وصولاً، ونجم عن ذلك ما لا بد منه، اذ ظهرت بوادر منافسة وكرهية بين رجال الدين والامراء ضده، حتى بلغ الامر حد الائتثار لقتله. وكان من أبرز خصومه الشيخ (معروف النودهي) ونفر من العلماء الذين شكلوا مع أرباب الطريقة القادرية جبهة معارضة. لكن الفرق كان واضحاً بين (مولانا خالد) و (الشيخ معروف النودهي) فقد أراد اولهما ايقاظ العاطفة الدينية مستخدماً الطريقة النقشبندية، في حين كان الثاني يمثل اتجاهاً دينياً محافظاً

(١) محمد الخال (الشيخ معروف النودهي، ص ٣٨ - ٥٣) في هذا الكتاب نجد ثبتاً باسماء تسعين من كبار العلماء الذين أخذوا الطريقة من مولانا خالد وهم من شتى الديار والجنسيات في العالم الإسلامي، فمن منطقة (نهرى) في كردستان الى الحجاز (مكة) ومن (المدينة) الى (الشام) ومن (بيت المقدس) الى (العمادية). ومن بغداد الى (شيروانه) قرب (باكو) عاصمة آذربايجان السوفيتية والمساة الآن (بكيروف آباد) وأماكن أخرى عديدة.

يشوبه الخوف من العواقب، وبدا جامد على الحرفية فلم يات بشيء جديد ولم يدل بوجهات نظر تجتذب الاهتمام وتجند القلوب. بكلمة اخرى لم يكن يمثل نهضة فكرية. لذلك كان النزاع بينه وبين الجديد الذي بشر به مولانا خالد حتمياً. ان الطريقة القادرية التي كان لها الاسبقية الزمانية في كردستان وجدت في شخصية الصوفي (خالد) منافسا وعاملا مؤثرا في تقليص نفوذها، في وسط هذا الجو السلبي، شق الصوفي (خالد) طريقة الى تحقيق المزيد من النجاح في برنامجه - فمحمود باشا بابان يقابله أنا بالود وأنا بالنفور حسبما تمليه عليه مصالحه في توطيد الامارة وتحكيم قبضته عليها. والشيخ معروف النودهي مع انصاره يصمونته بمختلف النعوت ويلصقون به أشنع التهم. وتناوله الخصوم بالهجاء شعراً ونثراً. واختلاق العديد من الحكايات للنيل من سمعته، هذا السلوك تجاه (خالد) يعكس مشاعر الاحساس بالخيبة والفشل ازاء النجاح الساحق الذي يلقاه بين الجماهير.

على أية حال فان العلاقات بين النودهي ومولانا خالد مرت من البداية بمرحلة حرجة، والخطورة في الامر هي أن يؤدي هذا النزاع الى اشباع روح المريدين من الجهتين بالعداء والكراهية ومن ثم الى نشوب صراع دموي لانهاية له.

رغم الصراع المشحون بالحسد والكراهية، الا أن موقف (خالد) شابه الكثير من الحكمة ورفض الانجرار الى حلبة الصراع والتناحر، وعندما كان الوضع المتأزم يقترب من الانفجار، كان يترك المدينة

ويرحل تجنباً للفتن. لقد تصرفوا بروح مسؤولية عالية بعكس ما شهدناه في النصف الثاني من القرن العشرين، عندما أقحم قادة الحزب الديمقراطي الكردستاني الشعب الكردي في حروب أهلية خدمة لغايات شخصية لاتمت بصلة لحقوق الشعب الكردي ونضاله.

لاحق (النودهي) مولانا خالد بسخطه وضيّق عليه السبل. وألف منظومة في تكفيره^١، وأرسل رسالته المسماة ب (تحرير الخطاب) التي كَفَّرَ بها مولانا خالد الى سعيد باشا ابن سليمان باشا الوزير والى بغداد آنذاك^٢، وحرّضه على اخراجه من بغداد، وكتب كذلك الى (الملا عثمان الجليلي الموصللي) يدفعه الى تأليف كتاب في الطعن بمولانا خالد. فأمتثل الموصللي وألف رسالة هي بمثابة شرح لرسالة (تحرير الخطاب) سماها (دين الله الغالب) تأييداً لرأي الشيخ النودهي في خصمه^٣. ثم استجار ب (الملا يحيى المزوري) فسافر الاخير الى السليمانية والتقى بمولانا خالد ولما اطلع على حقيقة امره ومبلغ علمه وتحقق من اهدافه قفل راجعا الى (العمادية) وكله ثناء واخلاص لمولانا خالد وبادر الى تأليف رسالة بعنوان (ثماني نصائح) موجهة الى الشيخ معروف النودهي ينصحه فيها بالاقلاع عن عدائه لمولانا خالد^٤.

(١) محمد الخال (الشيخ معروف النودهي) ص ١٥.

(٢) نفس المصدر السابق

(٣) نفس المصدر السابق

(٤) أنورالمائي، الاكراد في بادينان، المطبعة العصرية، الموصل، ص ٨٥ .

ويذكر (محمد خالد) أخيراً في كتابه هذا أنه (تبين للشيخ معروف النودهي بالأخير مبلغ خطأه فيما كتب ضد مولانا خالد، فرجع عن اتهاماته وأخذ يتوسل لاستحصال رضاه ووسط للصلح والمصافاة العالمين الكاملين الملا حسين القاضي المعروف بابن ملا جامي. والسيد اسماعيل البرزنجي. فأتيا مولانا خالد في بغداد وابلغاه ندامة الشيخ معروف النودهي على ما صدر منه سهوا وطلباً منه العفو، فعفا عن زلاته وأقال عثراته وهنا حصل الوفاق والوئام بينهما^١.

وبهذا تفادت الشخصيتان اللتان كانا يمثلان أهم طريقتين صوفيتين في كردستان، تفاديا الصراع الديني وأثبتنا نضوجاً واضحاً في التعامل مع خلافاتهما وجنبا شعبهما المآسي.

ويحسن بنا ان نثبت هاهنا ما ذكره الرحالة البريطاني (جيمس ريج) من رواية متداولة آنذاك عن كرامات مولانا خالد ومكانته الروحية: "في السليمانية يعيش ولي مسلم عظيم يعرف بالشيخ خالد لايلقبونه الاب (حضرة مولانا) ومن يغفل هذا اللقب يعد كافراً. وهم يلهجون بذكر أحاديثه وتعاليمه حتى ليرفعوها الى مقام النبوة والوحي وهو من قبيلة الجاف ودروشته تجري على الطريقة النقشبندية اعتنقها في دلهي على يد الصوفي الشهير (السلطان عبد الله) ويبلغ عدد مريديه اثنى عشر الفا وهم منتشرون في تركيا وجزيرة العرب والکرد يطلقون عليه اسم (أولياء) اي الولي ومن مريديه باشا السليمانية نفسه وعثمان الشقيق الاصغر للباشا

(١) محمد الخال، الشيخ معروف النودهي، ص ٥٣.

وجميع الوجوه البارزة تقريباً.... قال لي عثمان بك - انه مساوٍ
للولي العظيم عبد القادر الكيلاني على أقل تقدير... وكان الباشا
يظل واقفاً في حضرته ويضع في غليونه تبغاً. " الحق يقال إن مولانا
خالد بشهادة معاصريه جميعهم وبالاثر الذي أحدثه، كان شخصية
فذة بالغة الأهمية في تاريخ الصوفية وأبلغ دليل على شدة تأثيره أنه
أول من أدخل الطريقة النقشبندية الى جنوب كردستان حيث كانت
قاصرة على شمالها وكان الجنوب قلعة حصينة لا تقتحم من قلاع
الطريقة القادرية.^١

دأب مولانا خالد على نشر الطريقة طوال خمسة عشر عاماً،
وفيما كان في إحدى رحلاته العديدة وافته المنية في دمشق في العام
١٨٢٧ بوباء الطاعون المنتشر آنذاك ودفن هناك. وخلال نشاطه
الروحي وبوقت قصير تمكن من أحداث ثورة في قيم المجتمع
وحشد الجماهير بسرعة مذهلة، مما يدل على قوة شخصيته الفذة
وشعبيته الواسعة.

استمر خلفاءه من بعده^٢ في متابعة عمله الروحي ولم تخمد
الجدوة التي أوقدها. لاشك ان مولانا خالد يعتبر منبهاً دينياً
عظيماً لجمود الفكر الإسلامي الذي ساد مجتمع المسلمين ذلك

(١) رحلة جيمس ريج في العراق عام ١٨٢٠، ترجمة وتحقيق بهاء الدين نوري،
ص ١٩٥١ ص ٩٨ و ٢٢٧.

(٢) من الجدير بالذكر ان (مولوي) الشاعر الكردي العظيم دخل سلك الطريقة
النقشبندية.

العصر. فضلا عن أنه رفع من شأن الطريقة النقشبندية حتى أصبح شيوخها أقطاب جذب للناس من كل حدب وصوب، وأصبح مقام الشيخ رفيعا وطاعته ملزمة وتمتع بصلاحيات واسعة جدا قل ان تمتع بمثلها رجال الدين الآخرون خارج إطار الطريقة النقشبندية.

كان التأثير الصوفي في كردستان كاسحا في وقت سيادة الروح القبلية المطلقة، لاسيما إبان انتشار الطريقة النقشبندية عمد اقطاب الطريقة الى تكوين تجمعات اخويات فكرية يلتف حولها أعضاء الطريقة. مثبتة لعلماء الدين الذين تقبلوا الطريقة وارتفعوا الى مقام المشيخة صلاحيات يمكن استخدامها لا في المجال الروحي وحده بل في المجال الدنيوي، في حين كانوا قبل ذلك (محض ملالي) مجردين من النفوذ الدنيوي وسلطانهم الروحي ضئيل جدا بحيث كان يعيش بفضلات السلطان السياسي في المناطق التي يسكنون فيها - ذلك السلطان الذي كان وقفا على الامراء والاغوات والبكوات. متطلعين الى عطاء هؤلاء ومايجودون به عليهم.

لقد وجدت تعاليم الصوفية في كردستان مجال اتحاد نادر المثال بين أهدافها الروحية وبين مبادئ الاخلاق والتعامل الاجتماعي في المجموعات القبلية فأثر كل مصدر من هذين المصدرين المتحددين أحدهما في الآخر تأثيرا ايجابيا متناسقا، فكانت النتيجة صلابة النفس ومثانة في الخلق وثقة بالذات.

انتشرت الحركة الصوفية متجاوزة الحدود القومية والقبلية، ويعود ذلك الى أن طموح الصوفية الذي كان في بدايته دينياً محضاً

لايتعرض الى الزعامات الزمنية القائمة في كردستان. كانت هناك أربع امارات قوية: السورانية والبابانية والبوتانية والبادينانية لكن الطريقة النقشبندية أنتشرت في أوساط واسعة وتفشت خلال جميع هذه الامارات رغم أنف السلطان الزمني للامراء ونفوذهم الذي كان يكون مطلقا، إذ لا سبيل للجدل فيمن يختار المرید، أيطيع شيخه أم أميره.

في ذلك الحين ماكان شيوخ الصوفية يريدون تحدي سلطة الامير ولا أن يضعوا هيمنتهم على مریدهم موضع اختبار. فقد كانت تلك الفترة بالنسبة إليهم فترة نشر وتركيز تعاليمهم الصوفية، لذلك ساد الاعتقاد بأن الحركة الصوفية لا تتدخل في شؤون الحكم أو تهدد سلطة الولاة وأنها تهتم بالجانب الروحي فحسب، وكان هذا من الاسباب الهامة التي ساعدت على انتشارها في كردستان. فقد توهم أولئك الحكام (ولو الى حين) بأن لا ضرر قط من انصراف رعاياهم عن مراقبة ظلمهم وتعسفهم الى التكايا والانشغال بالذكر والتهجد.

بالعكس فقد وجدوا أن ذلك يخدمهم ولذلك فكثيراً ما كنا نرى هؤلاء الحكام المحليين يخطبون ود مشايخهم ويظهرون لهم الاحترام ويتقربون إليهم بالعطايا والهبات ويشجعونهم على بث تعاليمهم بل ويسهمون في بناء تكاياهم.

هه و النامه كتيب

الفصل الأول

نهاية عهد الامارات وبداية ظهور المشيخات النقشبندية

إمارة سوران

كانت الامارة البابانية في عهد مولانا خالد قد بلغت كما اوردنا شفا الانحلال، ولما آذنت شمسها بالمغيب كان نجم امارة كردية أخرى هي الامارة السورانية الى شمال يؤذن بالصعود ومركزها بلدة رواندوز. ففي العام ١٨٢٧ حيث أتفق وفاة مولانا خالد، تولى الامير (محمد باشا) زمام السلطة في هذه الامارة الحديثة التكوين (في حدود العام ١٨١٠) وقد سبق ان عانت فترة من الفوضى والاضطراب في عهد (مصطفى بك الذي تولى السلطة بعد (أو غزبك) مباشرة صارت هذه الامارة منذ نشوئها هدفا للاطماع التوسعية لإمارة بابان وتعرضت للابتلاع تارة تلو اخرى. الا أن ارادة الامير (محمد باشا) الذي لقب فيما بعد بالامير الكبير عندما عظمت شوكته واتسعت امارته قد حفظت للامارة الجديدة كيانها. وكانت الظروف السياسية في هذه المنطقة من العالم وفي كردستان ايضا مواتييه مشجعة لتحقيق طموحاته، فالامبراطورية العثمانية كانت قد خرجت لتوها من حروب مع (محمد علي الكبير) والى مصر ولم

(١) المصدر نفسه، ص ٢٠ (تولى حكم الامارة في العام ١٨١٥)

تستظهر عليه الا بعد تدخل الدول الأوروبية، وكان السلطان (محمود الثاني) قد اتم القضاء على الجيش الانكشارى القديم وبدأ بإصلاحاته الداخلية واولها الشروع في بناء جيش حديث يقوم مقام الجيش المنحل، وقد أدى تحدي الوالي المصري ووالي عكا الارادة السلطانية الى تشجيع بقية الولاة الاقليميين على كسب المزيد من الاستقلال هذا من جهة ومن جهة أخرى كان الوضع السياسي داخل كردستان في شبه فوضى، ففي الوقت الذي ماكانت جيوش السلطان العثماني لتجروا على النفوذ الى هذه البلاد لتأكيد سلطة الولاة المحليين وسلطة خليفة المسلمين الاسمية. كانت الامارات البابانية والبادينانية في ضмор مطرد. وكما قلنا ظهرت بوادر الانحلال الحقيقي في الجنوب بتناحر امراء البابان على السلطة وتشجيع المؤامرات واغتيال بعضهم بعضاً، وفي الشمال لم تكن امارة بادينان بافضل حالا من ذلك، فقد كثر الطامعون بالسلطة ونشب الشجار الدموي بين مختلف عشائرها حتى بلغ بها الضعف حدا أغرى الاقوياء بالانقراض عليها وابتلاعها.

امارة بادينان

ظهرت امارة بادينان الى الوجود في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) وعلى هذا تكون قد عاشت ستة قرون ونصف، اي أكثر مما عاشته الدولة العباسية، والاخبار التي رواها السيد

الدملوجي الذي استندنا اليه تثبت لها هذا العمر. في حين ذهب (لون
جريك - اربعة قرون من تاريخ العراق) الى انها عاشت سبعة قرون.^١

لقد قُدر لسائر الإمارات الكردية ان تسير في تيار النزاع والصراع
بعضها مع بعض بدل السير في اتجاه الوحدة والتماسك. وما ان شعر
الامير الرواندوزي بتفوقه وضعف جيرانه حتى جرد حملة ضد هذه
الامارة في العالم ١٨٣٢ بعد أن غزا اليزيدية قبل هذا بعام واحد
واوقع بهم، فما لبث عساكره أن دخلوا العمادية عاصمة الامارة في
السنة نفسها^٢، وكان قد استولى قبل هذا على مقاطعات عديدة تابعة
للامارة كالزيبار وعقرة واخضع قبائلها القاطنة شرق عاصمتها.
لكن قبيلة (الشيرواني) تمردت عليه فلم يصبر الأمير وزحف عليها
بجيش كبير، إلا أن الشيروانيين صمدوا وكبدوه خسائر جسيمة
وسقط من جانبه عدد كبير من القتلى بينهم قائد الحملة نفسه
(أحمد بديري)^٣ الذي كانت له عند الامير منزلة خاصة. وفي النهاية
لم يقوى الشيروانيون على الاستمرار في المقاومة واخذت معاقلهم
تسقط تباعا. بعد ذلك اتجهت الحملة الى الزيبار في العام ١٨١٤
بقيادة (حسن الرشواني) وابي الزيباريون الخضوع وقاوموا بقيادة

(١) صديق الدملاجي - امارة بادينان، ص ١٨، نقلا عن المؤرخ شرفخان
البديسي.

(٢) أي بعد عام واحد من سقوط بغداد المبتلاة بالطاعون والفيضان
والفوضى على يد رضا باشا اللاظ واخذ داود باشا آخر المماليك اسيراً الى
الاستانة. (أربيل في أدوارها التاريخية - تأليف زبير بلال اسماعيل ص ٣٥٦)
(٣) امارة السوران.

كل من (عزو اغا صفتى) و(جوهر اغا نقبوكي) حاكمي الزيبار، وعجز حسن الرشواني عنهما رغم الجهود، فلجأ الى الحيلة والخديعة، إذ عقد معهما صلحا وبعد أن أمنهما قبض عليهما وارسلهما الى رواندوز فاحتجزا فيها. وبهذه الوسيلة تمكن الامير الرواندوزي من احتلال نصف منطقة الزيبار، إلا أن الأسيرين الزيباريين لم يقنعا بمصيرهما ونشطا وهما في الاسر وسعيا على اثارة القلاقل حتى فرغ صبر الامير بعد كثير من النصح والتحذير فدمس لهما السم في الطعام وقتلها^١.

كان الزيبار بالاصل جزء من الامارة البادينانية، إلا أن المقاطعة كانت تخرج عن سلطة الامير الباديناني في فترات الضعف، فيستقل رؤوساء القبائل كل في منطقته خلفاً بعد سلف ويتقلص نفوذهم عندما يتولي الامارة امير قوي، إذ ذاك تغدو صلاحياتهم قاصرة عن تنفيذ الاوامر الصادرة من العمادية، ومن هذا يستنتج القارىء ان اصطدام الامير الرواندوزي بزعماء قبائل الزيبار لم يكن لغرض تقويض أركان امارة بادينان التي تعتبر الزيبار جزء منها فحسب، بل كان كذلك بسبب تحدى هؤلاء الزعماء القبليين له ودفاعهم باستماتة عن امتيازاتهم المتوارثة وسلطانهم الواقعي على قبائلهم، لاسيما وان رؤساء الزيبار كانوا في تلك الفترة (١٨١٢) شبه مستقلين نظرا لضعف الامارة بسبب تقلص سلطة أميرها (سعيد

(١) امارة السوران

باشا). بالاضافة الى هذا كانت روح الانتماء القبلي في الزيبار تنفر من الخضوع لحاكم رواندوز.

عندما وقعت الزيبار في قبضة الامير، اهتم بأمر الموصلات فيها، فأقام دعائم قوية فوق الانهر والجداول ومد فوقها معابر وجسور للناس ولقوافل الحيوانات، فقد كان يدرك أن انعدام الموصلات يؤثر في تقوية نزعات الاستقلال المحلي ضده ويرخي قبضته على أنحاء إمارته، كذلك كانت ضرورة عسكرية لأنها تؤمن لقواته سرعة الحركة والانتقال حالاً لمكانم الفتن والقلقل والقضاء عليها وهي في مهدها.

وكان الأمن مستتباً خلال حكمه الذي امتاز بالصرامة ضد الشقاة والعاثين وانزال العقاب الرادع بهم مستنداً الى النصوص الشرعية. وقد عُرف بثقته المطلقة برجال الدين (الفئة التي كانت تتظاهر في المجتمع الكردي بالمعرفة والعلم في شتى المجالات) فمعتده (ملاختي) عده الكتاب الكرد من بين اولئك الذين عملوا على قتل روح المقاومة في صفوف جيش الامير الرواندوزي ولدى الامير نفسه واشاعة الروح الاستسلامية أمام الجيش العثماني المعتدي بمنطق ديني متزمت.

ثلاثة من ولاة العثمانيين العظام (محمود باشا اينجه بيرقدار) والي الموصل (محمد رشيد باشا) والي سيواس و (على رضا باشا) والي بغداد، هؤلاء قادوا أعظم حملة جردتها الدولة العثمانية في العراق منذ أن غزا السلطان (مراد الرابع) هذا القطر وفتحه. وكان

ذلك لابد منه، فما حققه أمير رواندوز من توسع بابتلاعه الامارة الباديانية كان يهدد إمارة (بوتان) الكبيرة. إن لم تنته بالمصير الذي آلت اليه إمارة باديانان، فليس من المفر أن يقتطع جزء كبير منها. فالامير الرواندوزي كان قد شنّ الحرب على جميع الامارات الكردية بغية ضمها اليه. هذا فضلاً عن أن الدولة العثمانية كانت مرتابة في التوسع الذي اصابه الامير السوراني، وكانت الدولة قد خططت للقضاء على استقلال الإمارات الكردية وجهزت للمهمة جيوشاً عظيمة.^١ وفقت السلطة التركية في القضاء على الامارة السورانية دون أن يكلفها ذلك كثير من الجهد أو التضحيات. فقد لجأت الى الوعود المعسولة والمخادعة وهو سلاح طالما استخدم بنجاح في تاريخ الشعب الكردي لقمع انتفاضاته واسكاته، فقبل أن يصطدم الجيشان، أقنع الامير بالسلم ورهن مصيره بمشيئة السلطان ورحمته فاستسلم للقادة الثلاثة الذين نقلوه الى الاستانه ثم الى طرابزون حيث قتل بامر السلطان في العالم ١٨٣٦.

كانت الفترة التي اعقبت مقتل الامير (محمد باشا الرواندوزي) وتقويض البناء الاداري الذي شاده، حلت فترة انحلال وفوضى سادتها اعمال الشقاوة في بعض المناطق التي كان قد بسط سلطانه عليها.

وخلال السنوات العشر التي تلت وفاة (مولانا خالد) ومقتل (محمد باشا الرواندوزي) وجدت الطريقة النقشبندية منفذا لها في اجزاء من الامارة السورانية. إلا أن نفوذها كان محدوداً لايتعدى

(١) امارة باديانان ص ٤٩

عتبات المساجد والمدارس الدينية (التكايا). ويعقب صديق
الدملوجي^١ على فترة انتهاء حكم امارة رواندوز بقوله "عندما
وضعت الدولة العثمانية يدها على هذه الامارة عملت على تثبيت
الاقطاع ودعمه بنظام متفسخ سخرت جهاز الدولة لتدعيمه واطهاره
بشكل مركزي قوي، وهكذا أصبحت الكلمة للاقوياء من الرؤوساء
الاقطاعيين. وكان من نتائج ذلك انعدام الامن والاستقرار وكثرة
اعمال الشقاوة والسلب فاضطر الناس الى التسلح".

عاد ممثلو الادارة المحلية الى الاقضية الباديانية وهم يحملون
فكرة معينة عن السياسة الجديدة التي سينتهجونها ازاء الوضع
الجديد في المناطق التي شهدت ميولا استقلالية. فكانت سياسة
سبق للدولة العثمانية ان رسمتها لاولئك الموظفين بدت للمأ
بأثقال كواهل المواطنين بالضرائب. وخف رؤوساء القبائل
(الاغوات) ليكونوا عوناً لاغنى عنهم في تنفيذ هذه السياسة. كان
الامير الرواندوزي القتييل وهو في سبيل تثبيت سلطانه قد عمد الى
تقليص نفوذ هؤلاء الاغوات والرؤوساء بعزلهم أو احتجازهم أو
التخلص النهائي ممن لا يأمّن جانبه، إلا أن عودة النفوذ العثماني
اعاد سيطرتهم فاصبحوا بمثابة عملاء للادارة العثمانية لقاء رعاية
مصالحهم الخاصة والمحافظة عليها من قبل تلك الادارة التي
وسعت من دائرة الضرائب حتى شملت الجميع مرتبة ترتيباً

(١) أن هذا الكاتب ذو خبرة اكتسبها من قضائه شطراً كبيراً من حياته
موظفاً ادارياً عثمانياً في انحاء كردستان ولا سيما في منطقة بادينان.

تصاعديا بحسب المنزلة الاجتماعية للأفراد، ففي القرية الواحدة مثلا يشخص ثلاثة منازل او طبقات (دنيا ووسطى و عليا) ولناخذ قرية (هه رني) الواقعة غربي الزاب نموذجا . كانت هذه القرية بمثابة عاصمة منطقة الزيبار، يعيش فيها أقوى آغواتهم. هؤلاء الآغوات عقدوا حلفا مصليا مع الادارة العثمانية من مقتضاه التعهد بدفع نسبة معينة من المال الذي يجبونه من القرويين على شكل ضرائب وكانت الدولة تستوفي ضرائبها نقدا، لاعينا، وقد أدى هذا بالفلاحين العاجزين عن الدفع الى بيع أراضيهم للاغوات بالثمن البخس الذي يقرره هؤلاء لتسديد ديونهم المتراكمة للحكومة. وهذا يفسر ظاهرة وجود املاك عقارية للأغوات في قرى بعيدة عن مواطن سكناهم.

الاقتصاد القبلي والضرائب الحكومية

سيكون بحثنا هنا قاصرا على المناطق التي تسكنها قبائل (مزوري - شيرواني - گه ردى - زيباري - دوله مرى) التي تمتعت بفترة قصيرة من الاستقرار تحت حكم الامير الرواندوزي. هذه المناطق من الناحية الجغرافية تعتبر جبلية ومعظم قراها متناثرة في الوديان واقلها في المرتفعات، وهناك اسباب عديدة لاختيار مواقع القرى على هذه الصورة اهمها امكانية مزاولة الزراعة وتربية قطعان الغنم والماشية وتوفير المياه وملاءمة الموقع للدفاع.

من جبالها المعروفة (سه ري كورى - شيرين - بيرس - بيران - زيل - هورى - سه ري بوتين) وهي تغطي معظم المنطقة، لاترك لسكان القرى الا مساحات صغيرة جدا للزراعة تتخلل تلك الجبال الصخرية. ومياه الانهر والجداول عديمة الفائدة زراعيًا لارتفاع الأراضي عن مصادرها.

قبل التهجير والتعريب الذي جرى بعد انهيار القيادة الكردية عام ١٩٧٥، كانت هذه المنطقة تضم حوالي ١٧٠ قرية، وأغلب هذه القرى لم يكن عدد بيوتها يتجاوز الخمسة عشر بيتا الا القليل. وفي النادر أن نجد قرية فيها يزيد عدد بيوتها عن المائتين.

اقتصادها زراعي - رعوي، يزرع الفلاح هناك القمح والشعير تأمينا لقوت يومه، ولما لم تكن حقوله الصغيرة كافية المردود لما

يسد الرمق فهو يلجأ الى الطبيعة عادة لسد العوز والنقص بطحنه البلوط الجبلي دقيقا وعجنه وانضاجه خبزا، وقد أيد ذلك القس البريطاني (ويگرام) عند زيارته قرية (ارديل) المسيحية في مفتتح هذا القرن العشرين، فقدم اهلهما لضيوفهم الممتاز هذا خبز البلوط ان لم يكن لديهم غيره.^١

الاقتصاد المحلي في هذه المنطقة بدائي بسيط، يقوم على أساس المقايضة، إما بالسلع المصنوعة محليا وإما بالخدمات. والثروة الحيوانية قليلة بسبب قلة المراعي وكثرة الوافدات والابوة الحيوانية التي كانت المنطقة تبلى بها بين حين وآخر، فتأتي على القطعان والدواجن. ويتعذر على القروي اختزان البذور للموسم القادم بعد أن يكون قد اضطر الى استهلاكها في الشتاء، ولا يجد من القوة الحيوانية مايساعده في اعماله الزراعية. فضلا عن قسوة الطبيعة والافتقار الى وسائل درء اخطارها. فمثلا تحدد الثلوج المتراكمة شتاء عدد الاغنام التي يتمكن الراعي من تربيتها في منطقة المزوري.

وتدر البساتين محصولا لابأس به من الثمار والفواكه، وفي مقدمتها الكروم التي يعصر عنبها ليستخرج منه عسل العنب الكثيف (الدبس) كما تجفف عناقيده زبيباً، فضلا عن الجوز والبلوط والتين التي تدخر قوتاً للشتاء.

(١) مهد البشرية (دبيلو. أي. ويگرام) تعريب وتعليق جرجيس فتح الله، ص:

والفت المجموعات المتقاربة من القرى ما يشبه التعاونيات الاقتصادية البسيطة ذات الاكتفاء الذاتي، وتخصصت فئات في بعض الصناعات المحلية، فمثلاً اختص اليهود تقريباً في حياكة الاقمشة التي تصنع منها الثياب الكردية التقليدية. فكان القطن مثلاً يُجنى ليسلم الى النساج فيقوم بحياكته لقاء سلع عينية يتفق عليها، وهكذا قس على النجار والحداد وسائر صناعات ادوات الزراعة.

الثروة الزراعية في مثل هذه الظروف لم تكن شيئاً مذكوراً، لاسيما إذا فكرنا بطبيعة الانتاج المتخلف وعامل قسوة الارض وقلة الاراضى الزراعية. وفقر الفلاح حيث كان في معظم الاحوال لا يملك الحيوانات الكافية لتعويض عن العمل بالفأس والمحراث اليدوي.

واتخذ الصيد حرفة ومورد رزق لا هواية. لجأ اليها الفلاح لسد نقصه الغذائي، كذلك عمل الى جني الثمار البرية في مواسمه متعهداً اشجاره بالعناية، اذ كانت مورد رزق هام.

هذا النوع من الاقتصاد لم يكن أفقه يتسع لعلاقات اقتصادية معقدة عصرية (كالتصدير والاستيراد والخزن والاحتكار والمضاربة) الا في النادر من الاحوال. فالاحذية كانت تصنع محلياً من الجلد غير المدبوغ

(١) من الطريف أن نذكر هنا أن يهود كردستان عند تركهم المنطقة في منتصف هذا القرن بعد سماح الحكومة العراقية لهم بالهجرة الى فلسطين قد خلفوا فراغاً وازمة بخصوص حياكة الثياب الكردية لم تنفرج بعد زمن طويل الا بقيام عدد من الشركات الاجنبية بصنع آلات حياكة لتقليد هذا النوع من النسيج.

أوتحاك من شعر الماعز او تخصف من الخرق. كذلك كانت الاقمشة
والسجاجيد واللباد تصنع وتحاك من صوف الغنم.

كل هذا والفلاح الكردي يخضع لقانون الضريبة العثماني. والي
تكاليف السخرة المجانية للاغوات الحاكمين. فالتعامل الحكومي
الضرائبي كان يضع على كاهل الفلاحين الفقراء انواع مختلفة من
الضرائب. والقاعدة العامة هي أن يدفع كل فلاح عشر غلته. وكل
صاحب قطيع غنم ومعز العشر منها، وتسمى (الكودا) وتدفع نقدا
لاعينا على أساس الرؤوس- وتجبى الحكومة هذه الضريبة
الاساسية عن طريق ممثليها مباشرة إذا كان نفوذها قويا. أما إذا
كان نفوذها ضعيفا فانها تكلف الاغا أو رئيس القبيلة ليقوم مقامها
في الجباية لقاء جعل معين مما يجبي. فضلا عن هذين النوعين
الرئيسيين من الضرائب، أعني (العشر والكودا)، كانت هناك
ضرائب اخرى لاتدخل في نطاقهما ومنها:

ضريبة (المتاع) ويلفظها العامة (التمتع) وتفرض على المتاع
والاثاث المنزلي.

(رزانه) البساتين وتفرض على محصول البساتين والفواكه.

(كرانه) تفرض على كل حيوان عمل أو ركوب.

(جیلان^ه) تفرض على الأسر التي تملك أبقارا بنسبة العدد الذي
تملكه منها.

(دركانه) اي ضريبة الباب وتفرض على المنزل الذي تسكنه
الاسرة.

فضلا عن الضرائب الحكومية، كان الفلاح مرغما على أداء اعمال
السخرة للأغا وتقديم جزء من محصوله السنوي الزراعي أو
الحيواني. وقد شهدت (الزيبار) ضرائب تفرضه على أعمال
موسمية. كعملية استخلاص عسل العنب (الدبس) فالفلاح هنا يدفع
مجيدياً واحداً (خمسة قروش) ولقاء كل ليلة عمل، وهو مبلغ كبير
في ذلك الزمن. فاذا امتد العمل به شهراً، كان عليه ان يدفع ثلاثين
مجيدياً.

كان الاغا يفرض من جانبه اتاوات نقدية على الفلاحين هي أشبه
بالغرامة على المخالفات، وكان ثم ضريبة أخرى يدفعها
المتخاصمون للأغا لقاء المجهود الذي يتكبده في تسوية النزاع.
وهناك ضرائب أخرى طارئة وظرفية فقد كان اغوات قبيلة
(شيرواني) مثلاً يتقاضون ضريبة عند تزويج فتاة. وأصبحت عادة
تقديم الرعاية راساً من الغنم بمناسبة الاعياد والافراح من قبيل
الفرض الواجب، يطالب بها الراعي عندما يغفل عنها ويجب
الاجوات ضرائب على استعمال مراعيهم بمثابة ايجار.

في ظل هذا الوضع الاقتصادي عاشت قبائل (مزوري- زيباري-
شيرواني- دوله مري- گهردي) خاضعة لسلطان ونفوذ الاسر
الاقطاعية وذلك بعد أن انتزع الاتراك السلطة من امير رواندوز
فاصبحت هذه الفئة من الاجوات همزة الوصل بين سواد القبائل

وبين الموظفين الاداريين وكونوا بالتدريج الفئة الارستقراطية الجديدة التي خلفت فئة الامراء.

ولناخذ على سبيل المثال اسرة (تترخان). هذه الاسرة حكمت الزيبار بعد أن ضعف أغوات بارزان. وقد أخذ نفوذها في تصاعد مطرد واتخذت مقرها قرية (هرنى) غرب الزاب، ثم أنشعبت باتفاق بين افرادها الى اقسام، فاستقل كل قسم بحكم مقاطعة تضم عددا من القرى. كمقاطعات شوش وكوندى وبهروژ. وكان هؤلاء الأسياد الحاكمون يعينون من لدنهم وكلاء لهم في القرى لادارة مصالحهم وضمانا لجباية ضرائبهم بانتظام. واداء ما يترتب عليهم له من اتاوات وتكاليف، كبناء قصر الاغا في القرية والاحتطاب له متى اقتضى ذلك وتزويده بالثلج في ايام الصيف يجلبونه من أعالي الجبال محمولا على ظهورهم.

مقاطعة بهروژ- بارزان

لفظة (بهروژ) الكردية تعني (بمواجهة الشمس). وهي تطلق على سفوح الجبال التي تواجه اشعة الشمس. وعكسها لفظة (نزار) التي تطلق على السفوح التي لا يصيبها الا القليل من اشعة الشمس. وهما على التوالي تقابلان لفظتي Sunny و Shady الانكليزيتين تقريبا. وليلاحظ القارئ ان الاعلاقة ثم بين اسم

المنطقة هذا وبين كلمة (بهروثى) الكردية أي (الصائم) كما ذهب اليه السيد معروف جياووك مؤلف كتاب (بارزان المظلومة)، فمصطلح (بهروث) هو محض وصف لظاهرة طبيعية بارزة في سفح جبل شيرين الذي تسقط عليه أشعة الشمس ولا تنحسر عنه من الشروق حتى لحظات الغروب الاخيرة.

تزخر هذه المنطقة باثار الديانة المسيحية العمرانية، فأطلال الاديرة والبيع ولا سيما في جبل شيرين مازالت قائمة شاخصة حتى يومنا هذا ويمكن لزائر لهذا الصقع ان يجوس خلال خرائب دير في موقع رائع يطلق عليه القرويون حتى يومنا هذا اسمه السرياني^١ (سورى ديرى- أي دير السريان) وهو مبني بالصخر والملاط سميك الجدران الى درجة تلفت النظر ذو طبقتين. تجري خلاله قناة تزوده بالماء ويتبين من الخرائب انه بني بدقة وعناية. ومع انه يقع الان في بقعة بعيدة عن العمران والبشر، الا أن ما بذل في سبيل تشييده من عناية ودقة يدل على أن المنطقة المحيطة به كانت مأهولة بالسكان في أيام انتشار المسيحية وازدهارها في تلك الربوع او أن البقعة اختيرت بمنأى عن الناس لتؤمن العزلة التي ينشدها النساك والرهبان

(١) ربما كانت كلمة كردية (سورى) أي صخرة. فيكون الاسم (صخرالدير) ومن المفيد أن نذكر هنا أن الاب الدومينيكي (جان فييه) كتب بحثا ممتعا مستقيضا عن آثار المسيحية في كردستان العراقية طبع بمجلدين باللغة الفرنسية. وقد جاء فيه ذكر هذا الدير وغيره في منطقة (بهروث)

كما جرى عليه التقليد في عصور المسيحية الاولى. وهناك اديرة صغيرة اخرى تشاهد بكثرة في طول منطقة الزيبار وعرضها.

كان العنف ورفض الخضوع للقانون، الطابع الظاهر عند سكان منطقة (بهروث) وعندما فتح هولاء القبليون العتاة صدورهم لتعاليم الصوفية ومن مقتضاها التمسك بشعائر الدين مارسوا تلك الشعائر بإخلاص، وبالتدرج حل الفكر الديني وانعكس هذا في اعمال الناس وتصرفاتهم اليومية.

يبلغ ارتفاع جبل شيرين ٢٣٧٨ متراً وتتناثر على قدامته القرى على شريط من ارض بين نهري (روكوجك و رومهزن) من تلك القرى نخص بالذكر (هويستان - سريشمى - ههسنهكا - بيان - ههسنى - آسته - بلى العليا - بلى السفلى - گلافا - ههفنكا - آليا - هه مدلا - ره زيا - دلان) وغيرها .

قرية (بارزان) تتوسط القرى المذكورة، وهي مركز لأسرة من الاغوات لم يتأت لهم نفوذهم من غناهم وسعة املاكهم، بل لاشتغالهم بأعمال العنف واقحام أنفسهم في المغامرات والمعارك والمجازفات. استهانوا بالحياة واسترخصوا كل غال في سبيل السطو والنهب والسراقات من القبائل المجاورة والبعيدة، وقد بقيت هذه النزعة موجودة حتى مابعد النصف الثاني من القرن العشرين لدى أغوات الزيبار. أشبهوا بخشونتهم طبيعة اراضيهم القاسية. واول مظهر هؤلاء على مسرح الاحداث هو عندما قادوا رجال قبيلتهم الاشداء الشجعان الى (قلعة قمرى) لجباية الخراج من أهلها.

كان ذلك على أغلب تقدير في زمن بين ١٨٢٥ - ١٨٣٥ وقد خلد شعراوهم هذه الواقعة في قصائدهم وأحاديث رواتهم، ومن بينها قصيدة لشاعر مجهول خصب الخيال، يبالغ فيها لحدود غير معقولة شجاعة المغيرين من بني عشيرته، مازال الناس ينشدونها في مجالسهم الشعبية^١ ويتغنون بها بوصفها من الشعر القبلي الحماسي. لقد اسفرت هذه الحملة، وهدفها السلب والنهب، عن مقتل احمد آغا واتباعه بسبب وقوعهم ضحية مكيدة دبرها لهم عبد الرحيم بك البرواري بالتعاون مع حلفائه الآثورين التيارى.

كان أكثر العشائر الكردية تعيش في حالة من فوضى. وكل واحدة منها هي أما في حالة دفاع مسلح أو هجوم، أو في الحالتين معاً بحسب الظروف. وأغلب النزاعات الداخلية تنشب في الاستباق على حيازة المراعى. أو توزيع مياه الارواء. أو لاسباب تافهة تؤدي عادة وبشكل فوري عفوى الى الاحتكام الى السلاح. فيشتبك الخصوم في معارك دموية خاطفة تسفر عادة عن سقوط عدد من القتلى. في الواقع ان هذه النزاعات الداخلية في (بهروژ) حالت دون تنامي نفوذ اغواتهم لان تعاقب طلب الثأر والثأر المضاد كانت تسفر عن هلاك عدد لا يستهان به من افراد اسرة الاغوات. ففي محاولة تأرية مثلاً يقتل (الهسنيون عدد من الاغوات في بارزان، فيسفر ذلك عن تأجيج نار الثأر عند (البهروژيين) وفي حادث آخر يهاجم (الهسنيون) قرية (بيان) المجاورة فيقتلون سبعة من رجالهم ويلوذون بالفرار الى

(١) انظر الى الملحق الخاص بهذه الملحمة، (ملحمة قومري) في آخر الكتاب

(گه قه رابه نان)^١. بالاضافة الى هذه النزاعات الدموية داخل (به پوژ) كانت المقاطعة نفسها هدفا لغارات قبيلة (المزوري)، فكانوا يهاجمون قرية (هه سنه كا) بدون سابق انذار أو سبب وياخذونها على حين غرة ولم تكن متهيئة، فينهب المغيرون منازل القرية كافة ويفتكون بعدد من رجالها ويخرجون الماشية والاغنام من الحظائر ويسوقونها امامهم صعوداً في شعاب جبل شيرين.

أن الحوادث المماثلة هي أكثر من أن تحصى. وهي جزء لا يتجزأ من حياة المنطقة.

قدر لقرية بارزان الصغيرة هذه أن تحمل مشعل الصوفية النقشبندية عالياً، وافلح شيوخها بعد زمن يسير في تغيير سلوك وأخلاق رجال القبائل من المشاكسات والعنعنات القبلية ومن حروبهم التي لانهاية لها، الى القيم الروحية والإنسانية وتهذيب النفوس ومن ثم الى تبني قيم العدالة والتصدي للنظام الاقطاعي الجائر في الزيبار والعشائر المجاورة، ومن ثم الى العمل في الميدان الوطني لمقارعة الحكومات المستبدة المتعاقبة على حكم البلاد، فاحتلت لنفسها مكانا في تاريخ الشرق الادنى السياسي لا يجادل فيه اثنان.

(١) ضمت الى تركيا بعد تقسيم كرستان.

بارزان :

سكن قرية بارزان كل من اليهود والمسلمين والمسيحيين معاً، وكان لكل من اتباع هذه الاديان الثلاثة أماكن عبادتهم الخاصة يمارسون فيها شعائرهم الدينية في جو من التسامح المتبادل. ويذكر المعمرون من أهل القرية أن اليهود فيها كانوا أكثر عدداً من المسيحيين والمسلمين مجتمعاً. وتدل أسماء البساتين التي تجاوز المائتين على ذلك، فهي مازالت تحمل أسماء مالكيها الاوائل. مثلاً: بستان اليوك، بستان بولس، بستان القس، بستان الدير، بستان موشى... الخ. ويدل استغلال هذه البساتين المسيحية من قبل اتباع الاديان الثلاثة وعدم نشوب أي منازعة حول تنظيم اوقات الارواء على حسن التفاهم وروح التسامح المتناقضة تماماً مع التعصب الذي يسود المجتمعات البدائية عادة. ورغم تقلص عدد المسيحيين في المنطقة فقد ظلت قرية (بيديال) مسيحية خالصة وكذلك (ارديل). إلا اننا لن نجد قرية خالصة لليهود. وفي الواقع لاتنفرد (بارزان) بهذه الظاهرة فمعظم قرى (بهروژ) كانت مشاركة بين أهل هذه الديانات. إلا أن بارزان تمتاز عن سائر القرى المجاورة بكونها أكبر وأكثر احتشاداً بالسكان، ولهذا كانت تزود القرى المحيطة بالطواحين المائية وتتركز فيها بعض الصناعات التي تحتاجها تلك القرى.

يقول (معروف جياووك): "كلمة بارزان على ما اخال نسبة الى عشيرة (بهرازي). أو أنها اسم جدهم الاعلى ومعناه (حامل الحق) أو (عارف الحق) أو هي مقلوبة من (بارسان) اي الدراويش او (برازان)

اي (اخوان الصفا). وهو على كل حال اسم لعشيرة كبيرة في شمال العراق، وأني اعتقد بأنهم بالاصل من عشائر (هيكاري) الخالدة الاصل والنبيل. سكنت الجبال بعيدة عن غوائل العشائر وهجمات المغول. وهم ينقسمون الى أسر وافخاذ وشُعب اهمها (شيرواني، مزوري، هركي) ... " ثم يستطرد: "... والشيوخ الحاليون هم من احفاد (الشيخ تاج الدين النقشبندي الخالدي" الذي اشتهرت اسرته في الزيبار وبادينان"^١.

ومما يجدر ذكره في هذا الصدد أن مصطلح (عشيرة بارزان) لم يكن شائعاً بعد خلال القرن التاسع عشر، فهذه التسمية حديثة جداً شاعت بعد أن انقسمت العشيرة الزيبارية إثر صراع كان فيه الاغوات طرفاً والشيوخ طرفاً معارضاً. فبعد أن احتدم النزاع وانقلب الى صراع دموي، انشعب الزيباريون الى قسمين - قسم بقي خاضعاً للاغوات موالياً لهم وقسم انتصر للشيخ المستقر في قرية (بارزان) وعندها عرف هذا الشيخ بـ (البارزاني) ولقب أتباعه بالبارزانيين نسبة الى القرية. وفيها تكية الشيخ، تمارس فيها شعائر الطريقة وتدرس أصولها. وحيث اضرحه المشايخ ذوو المكانة في قلوب الاهالي. وقد أثر عن الشيخ عبد السلام الأول قوله

(١) معروف جياووك (بارزان المظلومة) الواقع لم يكن تاج الدين على قيد الحياة عصر مولانا خالد، ولذا المعلومة خاطئة.

" أني خالدي الطريقة" و "زيباري العشيرة" و "بارزاني المسكن"
ويعني بها أنه قروي من قرية بارزان^١

وعن الذين يعرفون اليوم بالزيباريين يذكر صاحب (إمارة
بادينان). "... أن عشيرة الزيبار هي من أهم عشائر بادينان سميت
باسم المكان تسكنه، واخذت الصفة بسبب احاطة نهر الزاب الكبير
بالموقع من الشمال الغربي، وورد اسم القبيلة في الشرفنامة
واعتبرها البدليسي ثاني عشائر بادينان، وذكر من قلاعها الشوش،
عمراني، بازيان (لعلها بارزان)^٢.

مسجد بارزان :

ذكر مؤلف (امارة بادينان)، كان الشيخ (عبد السلام)^٣ يشتغل
بالتدريس في بارزان وأن "... طلاب العلم كانوا يقصدونه من أقصى
بلاد كردستان". وأقول من بين المشاهير الذين وفدوا الى بارزان
طلبا للعلم الشيخ عبيدالله النهري ابن السيد طه. تسلم السيد طه
النهري الطريقة من مولانا خالد وبدأ خطوته الاولى في ارساء اسس
مشيخة نهري في حوالي العقد الثالث من القرن التاسع عشر. وقد
انتشرت في سائر مناطق حكاري الجنوبية والوسطى وانفتحت

(١) انظر الملحق (قصيدة الشيخ عبد السلام) التي تعكس المظهر الثاني
للتناقض الاجتماعي

(٢) صديق الدملوجي (امارة بادينان) ص ١٣٥.

(٣) صديق الدملوجي. ن. م. س.

لتشمل في وقت ما الشمال الغربي من كردستان إيران. تغلغل نفوذ النهريين في اوساط الشيروانين والمزويين وعلى الاخص في عهد الثائر ضد الامبراطوريتين^١ العثمانية والأيرانية الشيخ عبيدالله النهري وفي بارزان أيضا كما في نهري كان (ملا عبد الرحمن) قد تسلم هو الآخر اجازة الطريقة في ثلاثينات القرن نفسه وهو أول شيخ نقشبندي معترف به يظهر في بارزان ويقوم بالدعوة الصوفية وهو ابن ملا عبد الله ابن ملا محمد واضع الخلية الصوفية الاولى في بارزان.

على الأرجح كان (عبد الرحيم) أكبر ابناء ملا عبد الله. لكن لظروف نجهلها حيل بينه وبين الاقتداء بأبائه فاشتغل في الزراعة. وفي آخر سني حياته كف بصره فكان موضع رعاية شقيقه. أما (عبد الرحمن وعبد السلام) فقد اتجاها الى التحصيل الديني والفضل في هذا يعود الى والدهما العالم (ملا عبد الله) الذي حثهما على طلب العلم منذ الصغر. وكانت سنة العصر ان يتأثر الابناء خطى الابهاء والابن يشعر بتأنيب الضمير عندما يقصر عن السير على نهج السلف ويعتبر نفسه فاشلا في حياته لذلك كان الانصراف الى العلوم الدينية مدار حياة افراد هذه الاسرة.

الشيخ عبد الرحمن اذن هو أول من نشر التعاليم النقشبندية في الزيبار. والغموض لا يزال يكتنف المعلومات حول المكان الذي تم فيه تلقي الطريقة منه. فبعضهم يذهب الى انه تسلمها في قرية

(١) للمزيد من التفاصيل راجع كتاب (الصراع على كردستان) تاليف الدكتور ن- آ - خالقين (في فصل تصاعد حركة التحرر وانتفاضة عبيدالله) ص ١١١.

(تهويله) ويرى آخرون انه تسلمها من مولانا خالد مباشرة. ويرجح آخرون أن مولانا خالد الذي كان يرسل مبعوثيه الى كل الجهات ربما بلغ أحدهم مسقط رأس ملا عبد الرحمن فتتلمذ الاخير عليه وتسلم منه اجازة الارشاد، فأصبح شيخا للطريقة هناك.

في زمن الشيخ عبد الرحمن كان مسجد قرية بارزان يضم عدة حجرات ومصليات. والملاحظ ان بناءه كان يمتاز عن ابنية تلك الانحاء بالضخامة والسعة والمتانة ونوعية مواد البناء، إنك لتجد اسم البناء الذي شيده منقورا على القوس الحجرى الذي يتوج أحد الابواب الداخلية باللغة العربية هكذا (عمل باز ابن زريه) فضلا عن آيات قرآنية على جدار المسجد^١ ولاتوجد تواريخ على الجدران، ويبدو الحفر والنقش باهتين مطموسين بعامل تقادم الزمن ونمو نبات الطحلب فوقها. وأهل القرية يجهلون الفترة التي بني فيها، إلا أنهم يتناقلون الحكاية الطريفة الشائعة عن ظروف بناء المسجد، فيقولون في صيف قائل استلفت نظر القرويين مجموعة من العصافير تدخل شقا في الارض وتخرج بعد برهة وريشها مبتل بالماء، وقد تكرر هذا الفعل مما دفعهم الى حفر الارض في تلك البقعة التي كانت مخصصة بالاصل لاوساخ القرية التي تكدست بعضها فوق بعض بمرور السنين. بعد أن مضوا في الحفر شوطا ارتطمت فأس أحدهم بصخرة، فبدأوا يرفعون الاتربة عما حولها. وصار

(١) هدم هذا المسجد الأثري لأول مرة بقنابل طائرات حكومة حزب البعث

العربي الاشتراكي العراقي عام ١٩٦٣

يظهر لديهم شيئاً فشيئاً بناء وفي داخله نبع غزير ذو ماء رقيق نـمير. وكان البناء معبداً في الظاهر. فقاموا باصلاحه وتنظيفه واعتبروه هبة سماوية. وبمرور الزمن وزيادة الحاجة اُضيفت اليه ملحقات كالمصليات وعدد من الحجرات الواسعة.

إن وجود النبع داخل المسجد لاينفي رواية أهالي القرية المتناقلة أباً عن جد، كما لا يثبتها بطبيعة الحال. ولربما اضى على القصة خيالها الشائق فيما بعد، إذ بدون اقحام قصة العسافير والنبع لايبقى في الاسطورة طرافة. لا شك ان العسافير المباركة كانت تتكبد عناء رحلة طويلة في اعماق الارض لتبلغ الماء.

على أية الحال كان المسجد قبل ان تهدمه القنابل على الصورة التالية (انظر المخطط في الملحق)

(١) ثلاثة ابواب معقودة، الباب الاول منها يقود الى باحة صغيرة وفي هذه الباحة يواجه الداخل باباً يؤدي الى (حجرة الماء) والباب الثاني يؤدي الى ساحة المسجد الواسعة.

(٢) حجرة الفقهاء أو التلاميذ (حجراً فـهقيا)

(٣) حجرة فوق القوس يجلس فيها العلماء (حجراً سـهـر كـفـانى)

(٤) حجرة فوق المدرج مخصصة للضيوف الصوفين (حجراً

سـهـر دـهـر جـى)

(٥) حجرة القوس وهي مكان جلوس الشيخ قبل أداء الصلاة

(حجراً كـفـانى)

(٦) حجرة المكتبة (حجراً كـتـيـبـا)

(٧) حجرة الحوالة وهي غرفة أشبه برواق طويل فيها قاطع لتهيئة الشاي وتقديمه للضيوف، معظمها وهو الباقي منها خصص لاقامة الوافدين.

(٨) حجرة خاصة لخن الخشب الوقود والحطب (حجرا دارا)

(٩) مصلى الصخرة المدورة (آقدي بهرى خر)

(١٠) مصلى النار (آقدي آگرى)

(١١) مصلى قنديل (آقدي قنديل)

(١٢) مصلى الدوريين (آقدي دوريا)

(١٣) مصلى الماء (آقدي آقى)

(١٤) حجرة للغسيل.

(١٥) دورة المياه وتتالف من قرابة عشرين مقصورة.

(١٦) مقصورة لغسل الموتى.

وقفت المكتبة لفائدة التلاميذ ومراجعتهم العلمية. فضلا عما كانت تحتوية من مختلف الكتب المطبوعة ضمت مجموعة من المخطوطات لكتاب وعلماء دين كرد. لقد اتت النار على هذه الكتب في اثناء حياة الشيخ عبد السلام الاول ولم يسلم منها الا النزر اليسير، ويروى عن سبب اشتعال النار فيها ان الشيخ الزعيم الوطني (عبيد الله النهري) قائد ثورة ١٨٨١ - ١٨٨٢ الكردية كان وهو تلميذ في بارزان في مكتبه يطالع ليلا على نور مصباح زيتي. فغلبه النعاس وسقط المصباح فانتشر زيتته والتهب. ولما استيقظ وجد السنة النار تتصاعد حواليه فصرخ مستغيثا وجاءت متأخرة، اذ كانت النار قد بلغت صفوف الكتب. اقتحم أحد مسيحيي بارزان

المكتبة بعد ان لف جسده باللباد وصار يقذف ماتصل اليه يده من
الكتب الى الخارج. وبهذه المناسبة نظم الشيخ عبد السلام قصيدة
لايزال اهل بارزان يتذكرون بعض مقاطعها، إذ ان نسختها الكاملة
مفقودة ومطلع هذه القصيدة:-

شَهَقَه ك لَشَه قَيْت زَسْتَانِي

وَهَخْتِي بَهْفَر وَبَارَانِي

تَاغَر بَهْرَبِيَه حَجْرَا بَارْزَانِي

وَتَرْجَمْتَهَا :-

ذَات لَيْلَةٍ مِنْ لِيَالِي الشِّتَاءِ

أَوَانَ الثَّلُوجِ وَالْأَمْطَارِ

انْدَلَعَتِ النَّيْرَانُ فِي (حَجْرَةِ بَارْزَانَ)

الفصل الثاني

الرابعة القبائلية والتبعية المشيخية

في أواخر الخمسينات من القرن التاسع عشر بدء النفوذ الديني لـ (نهرى) و (تهويله) بالظهور والتعاظم وكان ذلك يتضح من تكاثر الاتباع ومدى التعلق بالشيخ. نفوذ الشيخ يتناسب تناسباً طردياً مع عدد المنتسبين إليه وكثرة الاملاك الموقوفة على تكيته. وانضواء القبائل تحت رايته والاعتراف بزعامته الروحية. فالقبيلة كتركيب اجتماعي تخضع فى علاقتها الداخلية لعادات واعراف متوارثة ملزمة لافرادها كقانون غير مكتوب ينظم سائر علاقاتهم.

وهذا ايضا واحد من مصادر فخرهم، لأنهم يجدون في الانتساب القبلي نوعاً من الحماية والقدسية، تظهرون على شكل اعترار وتعصب ازاء الغير. ان متانة هذه الرابطة هي العامل الرئيس لحفظ كيانها وتأكيد قدرتها الدفاعية ضد أعدائها. انها تملى على الافراد التضامن الاخوى والنصرة المتبادلة في الحق والباطل. وهذا يؤدي بالطبع وعلى الصعيد الخارجى الى نفرة ومجافة بين القبائل بل الى عداوات بسبب تلك الروح الانغزالية والانغلاق على ما هو اجنبى عن القبيلة، ومن ثم الى رفض فكرة الصهر او حتى الاتحاد في إطار

تحالف قبلي الّا في حالة الضرورة القصوى، وتلك ظاهرة بارزة من ظواهر المجتمع الكردي عاشت في ظله قبائل (شيرواني ومزوري وگهردی ودولومهمري وزيباري الخ....) خاضعة لاغواتها ومنفصلة بعضها عن بعض محتفظة باستقلالها الذاتي. ولاننسى تأثير الطبيعة الجغرافية الوعرة لكردستان في تقوية تلك الانطوائية والروح الانعزالية.

لقد طرأ تغيير جذري على هذا المبدأ، عندما شقت الطرق الصوفية لنفسها طريق في كردستان، لاسيما الطريقة التي دعا اليها مولانا خالد، فبفضل قبول افراد تلك القبائل المنطق الديني الذي جاءت به الطريقة، اخذ المجتمع الكردي يخرج من قوقعته وأدرك العصبية القبلية نوع من الضعف والتراخي واخلت السبيل لواقع الولاء للعقيدة والتي كانت تسعى لتحل محل الولاء القبلي بالتدريج. وعلينا ان لاننسى بأن الاسلام أحدث تغيرا اجتماعيا كبيرا في قبائل عرب الجاهلية فقد عوضها عن رابطة الدم برابطة الدين، ولقد أدرك المورخ (ابن خلدون) هذه الحقيقة فوضح عمل محمد بن عبد الله (ص) في هدم شكل القبيلة وازالة الفردية والموالاتة منه مشترطا على من يعتنق الاسلام ان يتخلى عن روابطه القبلية ويقطع صلته بذوى قرياه واخوته الا إذا كانوا يدينون بدينه. وهكذا فدخول الصوفية التي بشر بها مولانا خالد في كردستان يمكن أن ينظر اليها كمرحلة انتقال اجتماعي ثوري عند هذا الشعب، شبيها الى حد ما بالثورة الاجتماعية التي جاء بها الاسلام. لقد أمكن وببسر ملفت للنظر أن تتحد تلك القبائل المتنافرة تحت

لواء الزعامة الروحية لشيخ الطريقة بغض النظر عن الروابط القبلية، ولقد ساعد على ذلك انه في خلال ظهور الدعوة النقشبندية وانتشارها كانت كردستان قد مرت بمرحلة انحلال الرابطة الابوية داخل القبيلة الكردية وتحول القبيلة من وحدة متماسكة الى طبقتين واضحتي الملامح والامتيازات. طبقة المستغلين (بكسر الغين) وطبقة المستغلين (بفتح الغين). فرييس القبيلة الذي كان أبناؤها يطيعونه احتراماً ويتعاطف معهم في كل امورهم ولا يتميز عنهم الا بشجاعته وحكمته وتعقله، تحول الى مستغل كبير لقبيلته مادياً وروحياً. فاخذت تلك المثل العليا التي كانت لها اليد الطولى في حفظ كيان القبيلة تختفي وتتحلل عندما احتكر الرؤساء الاقوياء والاغوات الحقوق والامتيازات وأثقلوا كواهل سواد القبيلة من الفلاحين والرعاة بالواجبات، وبدا الفرق واضحاً بين الفقر المدقع والغنى الفاحش، والبون شاسعاً بين قسوة العيش ورخائه.

كان للدين عند القبائل الكردية احترام ومنزلة (وأن لم تكن ترقى الى مرتبة التعصب) ولرجاله عندها حرمة. ومن النادر أن تجد قرية كردية تخلو من مسجد مهما كان صغيراً شيده القريون حسبة لوجه الله. على أن الدين لم يكن قد أنغرز في النفوس بدرجة من العمق الذي يجعل الاتحاد السياسي ممكناً تحت لوائه وعلى اساس من مفاهيمه. كان ممثلو الدين (الملاي) في كردستان ذيولاً لرؤوساء العشائر، يعيشون على عطائهم ويدافعون عن مصالحهم وتصرفاتهم المناقضة لتعاليم الدين الحقيقية ومبادئه الخلقية، ولا يكتفون بالوقوف موقف المتفرج ازاء مايجرى حولهم من تعسف وانما

ينحازون عادة الى جانب الاغا الظالم ويزودونه بالتخريجات والفتاوى الدينية، تبريرا لسلوكه.

اختلف الامر تماما وانقلب الميزان عندما انتشرت الطريقة النقشبندية ولمس أثرها في المجتمع الكردي بعد مرور ثلاثين عاما على دخولها. واتيح لحملة لوائها ان يقوموا بادوار خطيرة. واقتضى لبعض المشيخات الابطأ نمووا عشرين سنة اخرى لتغدو قوة مهابة الجانب فعالة مؤثرة في مجرى الاحداث وأحيانا بؤرة لها. فمشيخة (نهرى) التي اسسها ورعاها (السيد طه النهري) استغرق ترسيخها حياته وحياة ولده (الشيخ عبد الله)، أعنى عندما أفلح الثاني منهما في ضم القبائل وتوحيدها تحت سلطانه الروحي وتحويلها الى أهداف سياسية وطنية. لقد تحدى هذا الشيخ الثائر الامبراطوريتين اللتين تققسامان كردستان في ثورة مسلحة لاعهد لهما بها من قبل.

بعد أن تم القضاء على الامارات الكردية وعادت كردستان ترزح تحت وطأة الادارة العثمانية، عجز الشعب الكردي في الواقع عن القيام بانتفاضة إلا من خلال الهيكل التنظيمي المشيخي، وفي هذا الصدد يذكر مؤرخ سوفياتي كردي^١ ".... ان ثورة ١٨٨٠ الكردية بقيادة الشيخ عبيد الله النهري من الوجهة الوطنية والسياسة الوجدوية احتلت بحق وجدارة احدى أبرز القمم في الحركة الكردية المكافحة في التاريخ الكردي الحديث من حيث الاتساع والشمول

(١) جليل جليلي - من مقال في مجلة (شمس كردستان) العدد ١ حزيران ١٩٧١. ص: ١٣-

(١٤) دار نشر العلوم الاكاديمية السوفيتية، ترجمة الدكتور أحمد عثمان.

وقوة الاندفاع والافاق التي كانت ترمي الى بلوغها والا اهداف
والمطامح المحددة والموسومة التي أختطها لنفسها لاتدانيها
ثورة في هذا المضمار الا ثورة (بدرخان) وثورة (الشيخ محمود)
و(الثورة البارزانية) ... والواقع ان ثورة (الشيخ عبيد الله النهري)
كانت قد تجاوزت الحدود المصطنعة التي رسمتها ارادة الحكومة
العثمانية والايروانية. فقد حارب الشيخ مقتسمي كردستان انذاك
وكان التجاوب الشعبي مع الثورة جيدا فقد استجاب الاكراد في
رواندوز وبوتان وبتليس وغيرها وأعلنوا تضامنهم. " و "..... في
هذه الثورة أشترك الشيخ عبد السلام البارزاني وهو من تلامذة
(نهرى) وله صلوات وثيقة بها. فلبى مع مجموعة من مريديه نداء
الواجب "...." ... لقد تمتع الشيخ (عبيدالله) بسبب عدالته وبساطته
ونهج حياته المتواضعة باحترام فائق من لدن السكان الموالين له
... وتدل وثائق الحكومة البريطانية حول الانتفاضة ان الشيخ كان
يتمتع بخلق رفيع وكان مثقفاً وميالا الى الاخذ باسباب المدنية
والعمل لاجل اسكان انصاره واستقرارهم.

(١) نفس المصدر السابق وهو بعنوان الثورة الكردية لعام ١٨٨٠، ص: ١٥ و ٢٨.

هه و النامه كتيب

الفصل الثالث

الشيخ عبد الرحمن وتأسيس المشيخة

من مقتضى آداب الطرائق ونظامها أن لا يكون على رأس الطريقة أكثر من دليل أو شيخ واحد. وعلى هذا الأساس اتخذ الشيخ عبد الرحمن قرية بارزان مقراً له، في حين استقر شقيقه الشيخ عبد السلام في قرية (آسته) بالقرب من نهر الزاب على بعد حوالي عشرين كيلومتراً جنوب بارزان.

إننا لانقع على أحداث هامة في عهد الشيخ عبد الرحمن. المهم أنه صاحب الخطوة الأولى فقد كون أول حلقة من المريدين، وكانوا في البداية قلة إلا أنهم كانوا كما يبدو مستعدين عقلياً لاستيعاب التعاليم ونشرها، بحيث بادر بعضهم إلى التنازل عن جانب من أملاكهم ووقفها على التكية البارزانية. وكان المنضمون من المواطنين القاطنين في بارزان وطائفة من أهالي القرى المحيطة بها.

كانت فترة ممارسة الشيخ عبدالرحمن دعوته الصوفية معاصرة لمولانا خالد واستمرت بعد وفاته (١٨٢٧) إلى فترة متأخرة .

ومن الممكن التثبت من أن شقيقه عبد السلام كان في العام ١٢٥٨هـ - ١٨٤٢ م دُوباً في التحصيل وأنه كان يروض الشعر وقد وصلتنا أبيات من قصائده منها هذا المقطع -

جارى بيون چهند سنون سنون عديدة مضت
ژهيجرهتي رابرى بون على التقويم الهجري
حائو رائو غه ينو نون حاء وراء وغين ونون

وبحساب السنين في السطر الثالث من البيت (ح. ر.غ. ن) بحسب ارقام الابدئية العربية يخرج لنا (١٢٥٨هـ) وهي السنة التي نظم فيها القصيدة. كما نعلم ايضا أن الشيخ عبد الرحمن سبق الشيخ عبد السلام في تسلم اجازة الارشاد ومن الراجع أنه كان في وقت ما بين ١٨٢٠ و ١٨٢٥، أي أن مولانا خالد كان على قيد الحياة.

كانت فترة مشيخة عبد الرحمن البارزاني طويلة وهناك من يرجح انها استمرت حتى ستينات القرن التاسع عشر. إلا انه لم يكن العامل المؤثر والمحور الذي دارت حوله الاحداث في الزيبار وإنما كان أغوات (هرنى) يمثلون السلطة الحقيقية المطلقة وهم اصحاب الكلمة النافذة على معظم قرى الزيبار.

في مفتتح النصف الثاني من القرن التاسع عشر لم تكن التناقضات الاجتماعية والإقتصادية بين النظام المشيخي الحديث الولادة وسلطة الاغوات المتوارثة قد خرجت الى حيز الوجود بعد وهو ما سنأتي لذكره.

توفي (الشيخ عبد الرحمن) ولم يخلف الا ذكرا واحد هو (ملا محمود) ولم يستخلفه في المشيخة، وشعر مريدو الشيخ الراحل بالحاجة الى ملء فراغه فقصدوا (آسته) وأعربوا للشيخ عبد السلام

عن رغبتهم في أن يكون مرشدا وأن يعود الى بارزان. لكن اسرة الشيخ الراحل رغبت في أن يستخلف الابن أباه، بينما أصر التلاميذ على استخلاف الاخ.

أن مسألة الاستخلاف في المشيخة هي من الاهمية بمكان، فبمجرد تولي المشيخة شخصية لاتتمتع بالمؤهلات الاساسية لتعاليم الطريقة تبدأ الطريقة بالإنحراف وتسلك اتجاهها مناقضا للأسس الصحيحة وتتحول الى شكل من أشكال الاستغلال الشخصي (ماديا وروحياً)، لهذا شعر مريدو الطريقة وتلاميذها الزيباريون بمسؤوليتهم، فرفضوا استخلاف ابن الشيخ عبد الرحمن رفضا باتاً وزاد الحاحهم على الشيخ عبد السلام بالعودة، فقبل وعاد الى بارزان. وكان لتولييه زعامة المشيخة أثر هام في تحقيق المزيد من النجاح للطريقة.

الفصل الرابع

الشيخ عبد السلام

قلنا إن الشيخ عبد السلام تسلم اجازة الطريقة من (نهرى). وكانت مراكز العلم المعروفة آنذاك كالعمادية وكويسنجق وعقرة وگهلاله ترحب بطلاب العلم. وقد أمّ الشيخ عبد السلام هذه المراكز كلها وهو شاب طلبا للعلم ثم عاد الى (آسته) تاركا بارزان للاسباب التي ذكرناها آنفا وفي أواخر سني حياة أخيه. قسم عبد السلام وقته بين آسته وبارزان، وينوب عن أخيه الذي أدركه العجز قبل وفاته لالقاء خطبة الجمعة والمشاركة في صلاة الجمعة، إذ كانت قريته صغيرة وعدد المصلين قليل، بعد أداء هذه الواجبات يعود الى قريته لينشغل في التدريس والارشاد. وكان متضلعا في علوم الدين، وهذا ما جعله مرجعا موثوقا للفتاوى وكانت علاقاته مع (نهرى) وثيقة وحميمة، وكلاهما ينتميان الى طريقة واحدة. كذلك كانت تشدهما رابطة التلميذ- رابطة التلميذ المقر بالفضل لاستاذة.

وفي آسته كان يجد الوقت الكافي للاستزادة من العلم بالمطالعة واستنساخ الكتب، أننا لنجده في العام ١٢٦٤هـ - ١٨٤٧ م، ينجز استنساخ كتاب بخطه الجميل جدا ويذيله بالعبارة "قد وقع الفراغ من تسوية هذه الحاشية الموسومة بعبد الحكيم الواقعة على الحاشية الموسومة بالخيال الواقعة على شرح العقائد على يد الحقيير الفقير عبد

السلام ابن ملا عبد الله ابن ملا محمد ، سكنة قرية بارزاتن ومن عشيرة الزيبار، في شهر جمادي الآخرة في قرية (آسته) لاربع وستين سنة مضين بعد الالف والمائتين من هجرة رسول الثقلين".

بعد ثلاث سنوات من هذا التاريخ نجد (عبد السلام) في كهلاله للاستزادة في العلم وزيارة الاخوان. وفيها استنسخ كتابا آخر هو الآن لدى اسرة المغفور له (ملا مصطفى البارزاني) «وللأسف أخفي الكتاب ولم يرغب في ان يطلع على محتواها المهتمين بالتاريخ، وقد صدره بالآية "بسم الله الرحمن الرحيم يوم يأتي بعض آيات ربك ... الى آخر الآية) وجاء في آخر الكتاب مايلي (كتبه عبد السلام بن ملا عبد الله البارزاني في شهر رمضان يوم الجمعة في مسجد كهلاله ١٢٦٧ هـ " أي العام الميلادي ١٨٥٠،

في الواقع أن فترة استخلاف الشيخ عبد السلام التي بدأت بعد العام ١٨٦٥ بفترة قصيرة وأنتهت بوفاته في العام ١٨٨٤؟ الأرجح، كانت فترة هدوء خلت من أحداث جديرة بالذكر. وبعبارة أخرى كان اتجاه الطريقة في هذه الحقبة هنا يميل ميلا ظاهرا الى عدم التدخل في امور الدنيا والانشغال بمشاكل الناس الحياتية. ان الفترة المنحصرة بين وفات الشقيقين كانت فترة تثبيت الموقع للحركة الصوفية النقشبندية في بارزان بعيدا بقدر الامكان عن المجابهة مع الاغوات أو محاولة منازعتهم على السلطة. فتحاشوا الاحتكاك وقصروا اهتمامهم بأمور الدين والطريقة. على أن الاغوات ورؤساء العشائر لم يكونوا في غفلة عنهم، فعندما وجدوا فلاحهم يقبلون بلهفة على التكية ليعلنوا (التوبة)

والانضواء الى حلقة مرشد بارزان. أربعم الامر وأدركوا بهاجس غامض أن هذا الشيخ الجديد بطريقته الصوفية سينازعهم سلطتهم على أتباعهم وفلاحهم يوما ما، وقد قوى هذا الشعور وتوضح باشتداد بأس شيخ بارزان واتساع نفوذه الذي ماكان ليستمد من سلطانهم بدليل عزوف الشيخ عن التماس الحظوة منهم أو التقرب إليهم، خلافا لما عرف عن عادة رجال الدين وشيوخ الطرق آنذاك.

لقد أثار هذا الموقف شكا في نفوس اغوات الزيبار ووجدوا ضرورة القيام بعمل مضاد، فقدموا شكوى رسمية ضد شيخ بارزان الى السلطات التركية اتهموه فيها بالمروق وبتزعمه طريقة جديدة مضللة في التصوف تؤدي بالمسلمين الى الزندقة. واخذت الحكومة الامر مأخذ الجد، وارسلت لجنة تحقيق معززة بقوة عسكرية عسكرت في (شانيك) على ضفة الزاب الغربية بالقرب من (بله) وأرسل قائدها يطلب الشيخ للمثول امام المحقق العثماني. إلا أن الشيخ اعتذر وأرسل ولديه قاسم ومحمد، وقد خص الثاني منهما بارشادات ونصائح حول الاجابة عما يلقي عليه من أسئلة، وانتهى التحقيق باعتذار المنتدب للتحقيق وعادت القوة من حيث انت وفشل أول مسعى للاغوات للايقاع بشيخ بارزان.

بني الشيخ عبد السلام بامرأتين، الأولى كانت من فخذ احمد (توخمي أحمدى اسمها نسرته) وكان (قاسم) ثمرة زواجه الأول، وزوجته الثانية من قرية (جونى واسمها آسيا)، و (محمد) هو ثمرة زواجه الثاني والذي استخلفه فيما بعد. وقد تميز (محمد) منذ الصغر

بالذكاء والانصراف الى ما أعده له ابوه من مستقبل ومسؤولية وبالاخص مالو حظ عليه من البساطة واجتناب مظاهر الترف كحب التملك للعقار والمال والتواضع وعدم الترفع على الناس أو استصغارهم. لقد رسمت المشيخة حدودا للتملك يقف الشيخ عندها ولا يتعدها وهي بصورة عامة قدرة الشيخ على اطعام ضيفه وايوائه (نطم الضيف القادم بحيث لانخجل منه) ولذلك كان عامة شيوخ بارزان يقترون على أنفسهم وعوائلهم ويفضلون ضيوفهم بخير الطعام.

لقد أثر عنه انه لم يأكل خبز قمح فهو في نظره قوت الاغنياء. وأنه لم ينم على فراش وثير وكان كوخه لا يختلف في مخبره ومظهره عن سائر اكواخ القرويين ولا يمتاز عنهم في أي شيء، ونهى نسوته عن اقتناء الحلى الذهبية والتزين بها، مختطاً بذلك سنة لاتباعه وخلفائه من بعده، وقد لفت ذلك نظر الرحالة الاجانب الذين زاروا بارزان في أوقات مختلفة، فمثلا لاحظ القس ويگرام عند زيارة شيخ بارزان (١٩٠٧ - ١٩١٠). أن أغلب الشيوخ الكرد حتى الاقل سطوة من شيوخ بارزان يعيشون في قلاع ذات منعة. بينما هذا الشيخ يعيش بين شعبه وليس (قصره) الا مجموعة من الاكواخ العادية مندغمة فيما بينها لتؤلف كوخا واحدا ليس فيه باب خارجي ابدأ، تدخله بمجرد تخطيك العتبة. هذا السلوك الذي هو النهاية في البساطة هو الذي جعل " شيخ بارزان فضلا عن كونه واحدا من أعظم زعماء الجبال نفوذا فهو اكثرهم مهابة ومدعاة للاحترام.^١

(١) مهد البشرية، الحياة في شرق كردستان، (ترجمة وتعليق جرجيس فتح

الله) ص: ١٢٩-١٣٠

الفصل الخامس

عقرة – مركز الزيبار التجاري والحركة الصوفية

كانت (عقرة) و ماتزال مركزاً تجارياً هاماً نظراً لموقعها الجغرافي، فهي تقع في وسط القبائل، وتوفر لهم الحاجات الاقتصادية من البضائع المستوردة من الموصل، وكانت خلال الفترة التي نحن بصددنا منقسمة الى أحياء أهمها (گوره قئا - قابه كى - تؤستهى) فضلا عن الحيين اليهودي و المسيحي، وبوجه عام كان اليهود يعتبرون أثرياء البلدة، وأشتهر المسيحيون بالصناعات اليدوية، كصياغة الحلى الذهبية والفضية، وبالنسبة الى الحركة التجارية والصناعات الحرفية فيها، كانت مقسمة الى أزقة (أسواق) كسوق الاسكافيين- صناع الاحذية الجلدية الملونة- و سوق الندافين وسوق الصاغة وسوق صناع البرادع، وكان تجار المدينة الاغنياء يتعاملون بصورة رئيسية مع تجار الموصل فهم يبتاعون العفص وحبوب السسي^١ والجوز والصوف والجلود والحبوب والاغنام التي يأتي بها رجال القبائل ثم ينقلونها الى الموصل فيبيعونها ويبتاعون بضائع أخرى، وأشتهرت (عقرة) باستخدام اصباغ الثياب الزاهية

(١) نبات برّي جبلي ثمره من فصيل السكريات (كالبنديق والفسطق والبطم والحبّة الخضراء. الخ)

فهناك نبات يعرف باسم (كهژوك) وهو يكثر في جبالها القريبة. تستخرج منه مادة التلوين. كذلك عرفت المدينة بكونها مركزاً لحياكة (شال وشابك)^١ بخيوط الحرير.

والكادحون من الاهالي يصنعون الفحم من حرق أشجار الجبال المجاورة ويعيشون عليه، وامتهن كثير منهم حرفة المكارية^٢ وكانت الاسر الثرية تؤجر سقائين لنقل ماء النبع الى بيوتهم. ولم تخل من بنائين مهرة، والاحياء تسودها روح التعصب وانتصار الساكنين فيها بعضهم لبعض ضد الاحياء الاخرى. وكثيرا ماخرج الشيوخ والعجائز مسلحين بالعصي للرد او الانتصار لاحد سكنة حيهم. وكان للحي الواحد شاعره الذي ينطق بهجاء سكنة الحي الاخر معددا عيوبه ونواقصه.

كانت عقرة بحكم موقعها وصلاتها تتأثر دائما بالوقائع التي تجرى بين القبائل وتتجاوب مع احداثها الجسام. فعندما أخذت الطرق تنتشر بين رجال القبائل شقت طريقها أيضا الى عقرة وبسرعة، فحصل الانقسام بين أهلها فكنت تجد فريقا ينتمي الى (تكية بريفا القادرية) وآخر الى مشيخة (بارزان) وثالثا الى مشيخة (بجبل النقشبندية). وكان أول ظهور الدعوة البارزانية في حي

(١) كساء الرجل التقليدي الكردي.

(٢) المكاريون كانوا يؤجرون دوابهم للمارة كوسيلة للمواصلات و حتى يجذبوا اكبر عدد من الزبائن، كانوا يهتمون اهتماماً بالغاً بالبغال و الحمير من حيث النظافة، و كانوا يقومون بتزيين تلك الدواب للفت الأنظار إليها.

(گورهقا) وهو من أفقر الاحياء. ثم أخذت تتسرب الى أحياء وأزقة أخرى. في حين معظم حي (قابهكى) كان مواليا لمشيخة (بجيل) وقد شمل الانتماء الروحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية، فعشيرة بارزان وحليفاتها لاتتعاون اقتصاديا ولا تتبادل الصفقات التجارية الا مع المنتمين الى طريقتها من تجار عقرة. وكذلك الامر أيضا مع أتباع المشيخات الاخرى في نفس البلدة. ولم يكن لعامل سعر البضاعة أو جودتها تأثير في إختيار المتعاملين.

ولأن عقرة كانت ملتقى القبائل (اشبه بسوق عكاظ دائمي في مكة قبل الاسلام) فقد حفظت التراث والفولكلور الكردي لمنطقتها وعشائرها، وفي مساجدها كانت تعقد حلقات الدراسة، وكان الطلاب يتقاطرون اليها من شتى القبائل، ورغم مركزها الديني فان التزمت لم يكن طابعها، فقد خصصت فيها ميادين ومحلات لاقامة الحفلات وحلقات الرقص (الدبكات) المختلط (رهشبهلهك) حيث الرجال يرقصون مع النساء متشابكي الايدي، وقد بقيت الاسماء لاصقة بتلك الامكنة حتى يومنا هذا مثل (بشتاديرى- مهت- گهلى- بشتاگهلى- رهزى مير- خرگا- ميسكا).

الفصل السادس

الشيخ محمد ابن الشيخ عبد السلام

(أول المشيخة)

الشيخ محمد مرشدا :

كان الشيخ محمد يناهز الثلاثين من العمر عندما خلف والده. وقد شب وترعرع في بيئة مشبعة بالافكار الصوفية وقضى فترة طفولته وحدثه وبداية تحصيله في رعاية ابيه، وعندما بلغ سن الشباب رحل أولا الى بالكيان ثم الى كويسنجق في طلب العلم، ثم أنتقل الى عقرة حيث أكمل تحصيله فيها وقد أمتاز عهده بتوسع المشيخة وتعاضم نفوذها، لكن فترة خلافته كما سيظهر للقارىء لم تمر بهدوء كسلفيه، إذ لم يكن ثمة مفر من الاصطدام بين التيار الذي يمثله الشيخ وبين سلطة الاغوات التي توارثت الحكم على القبائل. وعلى ما اخال فان عوامل الصراع كانت واضحة في تعاليم هذه الطريقة وأسلوبها وأهدافها. فتعاليمها تؤكد ضرورة السيطرة على مشاعر الناس وتوجيههم والاهتمام بكل شؤونهم. في حين كانت المشيخات الاخرى تهتم بالتلقين الديني المجرد وذلك بحسب ميول

المرشد أو الدليل. أضف الى هذا، المبادئ الصوفية تمنح الشيخ سلطانا على النفس والجسد، فبالنسبة لاعضاء الطريقة تعتبر طاعة الشيخ فوق طاعة أي مخلوق آخر مهما كانت منزلته الاجتماعية. وهذا هو الذي أنذر أغوات الزيبار بخطر شيخ بارزان الذي بدا لهم أول الامر دخيلاً مزعجاً وقوة ناهضة ليصبح خطراً داهماً على نظام حكمهم ومصدر تهديد جدي لمستقبلهم.

لم تكن تعاليم الصوفية تتفق مطلقاً وما يتطلبه الاغا من رعيته. ولذلك صعب على عضو الطريقة المتشرب بالمبادئ الصوفية أن يواصل الخضوع لرئيس قبيلته أو أن يوفق بينها وبين تعاليم الطريقة. نذكر مثلاً، ما يتعلق بالمحاصيل الزراعية وأموال الزكاة وصرفها في أوجه معينة، فأنها لا تتفق مع النظام الذي يفرضه رئيس القبيلة على رعيته، ذلك النظام الذي يقضى بأن يكون له من كد الرعية حصة الاسد ومن الامور الاخرى التي تميز المبادئ الصوفية وتتعارض مع مصالح الاغوات انشاء التكية ووقف الاملاك عليها من دون أن يكون للاغوات حق تصرف أو أستغلال فيها. فضلاً عن أن الشيخ كان ينفق واردات التكية وأوقافها على المعوزين وذوي الحاجة فحسب، ولا يختص بشيء منها لنفسه. بهذا أخذت سلطة الاغوات تفقد هيبتها بالتدريج بقدر ما كانت هيبة الشيخ تزداد ومقامه يعلو، حتى خيل للاغوات أن ما يحققه الشيخ إنما يتم على حساب نفوذهم وسلطتهم، وهكذا نجد أن الدعوة هنا أخذت تتسم بجدية واضحة فلم يعد المرید (المعتنق) يستطيع كما في السابق الجمع بين ولائین ولم تعد الدعوة كما كانت في السابق

تتسم بالمرونة (بسبب ضعفها النسبي) أزاء نفوذ الاغوات، فاذا ذاك كان يجوز للمريد أن يجمع ولو ظاهرياً بين الولاء للسلطتين. الا أن الشيخ الذي رسخ أسس المشيخة وحدد الدعوة تحديداً اجتماعياً واقتصادياً وفكرياً أعمق، ووضع مريديه أمام إختيارين، فإما الولاء التام للدعوة أو للاغا. والجمع بين النقيضين بات غير ممكن.

سكنة قرية بارزان

قبل أن نأتي الى ذكر وقائع الاصطدام، من المفيد أن نعرف بهوية اولئك الذين سكنوا بارزان. فمن أقدم الافخاذ التي سكنتها (ديادينني) (وآل الملا) وهو بيت الشيخ و (دلاني) وفخذ (ديادينني) هو أعرق الافخاذ كما أن (آل أحمد) ترأسو الزيبار وبالاخص (بهروث) وحكموها قبل اشتداد شوكة الاقطاعيين غرب الزاب وظهور شيخ بارزان في نفس القرية، على أي حال، فإن المسيحيين واليهود سكنة القرية الأوائل، وكانوا في الفترة التي نحن الآن بصدها يشكلون الغالبية الساحقة من سكانها. أما الفخذ المعروف ب(دلاني) نسبة الى قريتهم قرب ساحل الزاب، فما نقله اليينا العارفون يشير الى كونهم قد عاشوا تحت وطأة اضطهاد المتنفيين في الزيبار قبل إستظهار شوكة بارزان، إذ أنهم أقتبلوا تعاليمه، ووجدوا في الدعوة الجديدة بشير خلاص من الظلم، وعلى الاخص في عهد الشيخ محمد وانتقلوا من (دلان) الى بارزان.

الشكوى:

كان هذا هو الوضع السكاني لقرية بارزان عندما عين (بابيرگراقي) متوليا شؤون القرية نيابة عن مخدومه (فتاح آغا هرنى) الذي قام بأول حركة عدااء جدّي ضد الشيخ محمد ودعوته. كانت (بهروژ) تدار من قبل هذا الاغا الكبير وكان يستغل خيراتها بواسطة وكلائه الموزعين على القرى، ففضلا عن (بابيرگراقي) في بارزان، عين (اسكندر هرنى) على قرية (هوستان) و (يونس آغا) على قرية (همدلا) أما عبد الله آغا أكبر إخوة (فتاح آغا) فقد حكم قسبة (هرنى) والقرى المحيطة بها. وأوكل كلا من (عثمان آغا) على (الشوش) و (تترخان) على (گوندكى) والقرى المجاورة. وقد حصل الشيء ذاته في القرى الشيروانية، إذ توزع أبناء الاسرة الحاكمة من أغوات العشيرة الشيروانية القرى المجاورة. قرى (سهروكانى) و (بيرسياق) و (ميرگهسور) و (شيران) و (كاني بوت) وكانت أسرة اسماعيل آغا تحكم عشيرة المزوري.

وبدء أول احتكاك بين إدارة فتاح وبين نفود شيخ بارزان على مايرويه الرواة بحادثة بسيطة خطيرة في عواقبها، ففي ذات يوم سمع الشيخ ضجة وصياحا خارج كوخه، فخرج ليواجه يهود بارزان وقد تجمعوا حول داره يستنجدون به ويطلبون منه الانتصاف من وكيل فتاح آغا المدعو (بابيرگراقي) وخدمه الذين دأبوا على استخدامهم وتسخيرهم وإستغلالهم زمنا طويلا حتى طفح الكيل وما عادوا يحتملون، ورجوا منه أن يتوسط لاعفاء ولو قسم منهم من

السخرة الدائمة ليتفرغوا الى تحصيل رزقهم. أمام المشهد، وقف الشيخ صامتا برهة ثم نطق بما أعتبر نقطة تحول في أسلوب تعامله مع السلطة الاقطاعية. ألتفت الى (فقى عبد الرحمن الدلاني) وهو واحد من مريديه المقربين وقال له (مناف)^١ لامبر لسكوتنا عن الظلم وعلينا أن نعمل شيئاً لوقفه، لم تكون غير عبارة لم يعقبها عمل أيجابي، فلم يكن لشيخ بارزان من القوة ما يدعم به قوله لا يقاف السخرة، إلا أن تلك العبارة بمثابة انذار للاغوات الذين صح عزمهم عندئذ على الاستعانة بالسلطة العثمانية للتخلص منه، فرفع (فتاح أغا) أخباراً الى والي الموصل^٢ يتهم شيخ بارزان بالزيغ والانحراف عن جادة الدين الحنيف وأنه لا مكان له بين الشيوخ الآخرين الذين (حسب إدعاء الشاكي) ينفقون اوقاتهم في الصلاة والعبادة ويلتزمون المساجد، أما الشيخ محمد فهو دائم الاحتكاك بالناس يحرضهم على العصيان وتحدي السلطة ويمنع التجنيد مثيراً المعارضة واثاً التفرقة ومالئاً نفوس مريديه بروح العداة ضد الإدارة، فاستدعى الشيخ على أثر ذلك الى الموصل وكان ذلك في حدود العام ١٨٨٥. فقصدها برفقة قاضي (بيى) ففرضت عليه الاقامة الجبرية فيها. الا أن مريديه في بارزان استبد بهم القلق عليه فاتفقوا على أن ينطلقوا بمسيرة كبيرة الى الموصل، وخرجوا جماعات وما أن بلغوا قرية (دوبردان) وهي منتصف الطريق بين عقرة والموصل (تبعد كل منهما زهاء ٤٨ كيلومترا) حتى انتهت

(١) "مناف" مختصر كردي لاسم "عبد الرحمن".

(٢) كانت الزيبار تابعة لولاية الموصل في ذلك الوقت.

السلطات، فبعثت ممثلاً مع ثلثة من الجنود لمقابلتهم فذكروا له أنهم لا يريدون الا عودة شيخهم وأنهم لن يعودوا الى قراهم طالما شيخهم غائب عنهم، ودافعوا عنه قائلين إنه بريء ولم يرتكب إثماً وهو لا يستحق النفي، واتهموا الاغوات بتلفيق الاكاذيب التي أدت الى فرض الإقامة الجبرية عليه. إلا أن الاتراك أهتبلوا فرصتهم في هؤلاء البسطاء، اذ قبضوا عليهم فساقوا الشبان منهم الى الخدمة العسكرية جبراً. بينما تولت القوة التركية اعادة غير الصالحين للخدمة منهم الى قراهم. وقد لاقى المنساقون الى الخدمة العسكرية صنوفاً من المذلة وهلكت أكثريتهم، أما من بقي منهم فحاول الفرار وتاه في الطريق، دون أن تصل أخبارهم الى ذويهم. ولم يبلغ بارزان الا قلة قليلة منهم.

الفرار

طالت إقامة الشيخ الجبرية في الموصل دون أن يبدو من الوالي ما يشير الى أنه ينوي النظر في أمره واعادة حريته، و كان الشيخ قد أنشأ أثناء إقامته عدة صداقات تمكن بواسطتها من أن يبعث برسالة الى بارزان يطلب فيها حضور (زبير محمد ملامحمود) ^١ فلبى زبير الامر ووصل الموصل، حيث ابغاه الشيخ بنيته في الفرار الى

(١) مقالة (العائلة البارزانية) ص ٢١. يقول المؤلف أن (محي جيجي) كان قيد الإقامة الجبرية مع الشيخ في الموصل وكان من أخلص خدمه وقد هرب معه سباحة عبر دجلة.

بارزان وطلب منه أن يتبادلا الثياب، وفي موهن من الليل خرج الشيخ من داره متوجها الى نهر دجلة فقطعه سباحة الى الضفة الاخرى وبقي ينتظر حتى لحق به رفيقاه، فواصلوا السير متحاشين مواقع الشرطة والقرى التي لا يثقون بساكنيها حتى بلغوا بارزان بعد أن قطعوا مسافات طويلة.

لم تقع على رد الفعل الذي احدثه فرار الشيخ، لا على الصعيد الرسمي ولا على صعيد الشعبي، ولا ندري فيما إذا كانت الحكومة العثمانية قد اتخذت اجراءات التعقيب الواجبة في مثل هذه الحالات أم أنها اكتفت بالسكوت والتجاهل. على أن الأثر الذي أحدثتها العودة في الزيبار كان متفاوتا قدر ما هو كبير. فبمقابل الخيبة المرة التي أصابت المتآمريين، سرت موجة شديدة من الحقد في نفوس مريديه وانصاره ضد الاغوات ممتزجة بفرحة اللقاء. إلا أن الشيخ لم يستغل هذا النصر المعنوي سياسيا ولم يعمل على تأجيج النقمة العامة على الاغوات بعد افتضاح دسيستهم وواصل خطه الاول في حصر جهده على المجال الروحي، وقد أطمأن الى الثقة التي يضعها فيه أتباعه. وأخذ المريدون يقصدونه أفواجا. وفي هذه الفترة أقتبل الشيروانيون والگرديون الطريقة وأنضم رجالهما الى حلف المشيخة، فزاد اعداء الاغوات ونقص عدد حلفائهم، وأصبح الصدام محتوماً بين معسكر الشيخ والأغوات، وفي تلك الاثناء أقدم الشيخ محمد علي على خطوة ذكية محمودة. وربما شعر بأنه في خطر، اذ منح ثقته علانية بابن عمه (ملاي ملا محمود) ذو كفاءات عالية وخوله حق النيابة عنه في اداء الشعائر الدينية، وقد ازال هذا

بعض جفاء كان قد حصل داخل الاسرة البارزانية عندما أوى المريدون أن يحتل (ملا محمود) مكان والده (الشيخ عبد الرحمن).

الهجوم المسلح الاول

على أثر ذلك عقد أغوات الزيبار اجتماعا قرروا فيه العمل على التخلص من الشيخ نهائيا بقتله. كان ذلك على الأرجح في العام ١٨٨٦. وأوكل تنفيذ ذلك لـ (ابراهيم آغا هرنى) فتزود بعدد من المسلحين وسار قاصدا بارزان. إلا أن خبره بلغ الشيخ قبل وصول المهاجمين، فخرج من القرية وقصد (بلاثيرى) مسرعا ولما لم تعثر عليه القوة المهاجمة في مقره أقتفت أثره الى (بلاثيرى) وكان للشيخ فيها أتباع مخلصون. لقد فوجئ (حاجى حيدر) وهو يري شيخه أمامه فجأة، وسأله بعد أن تمالك روعه عن سبب تركه بارزن. فأخبره الشيخ بالامر مشيرا الى العصابة التي أرسلت لقتله وكيف أنها تتعقبه الآن. بعد قليل بلغت العصابة مشارف القرية وفي موضع يطلق عليه اسم (داريت شكاكا) وقف (حاج حيدر) مصوباً بندقيته نحو المهاجمين وقال محذرا إياهم من الاقتراب "أن قتل الشيخ ليس بالامر الهين الذي تتصورون وساكون أول من يتلقى الرصاص عنه بصدرى وأن رجال القرية كلهم متفقون على ذلك".

أدركت العصابة أن لا سبيل الى الطريدة وعادت من حيث اتت. الا أن الحادث اقنع الشيخ بصعوبة البقاء في بارزان في حينه، اذ أن

مقاطعة (به پوژ) مازال فيها عدد من الموالين للأغوات، وفي قراها خدم الاغوات وموالوهم ووكلاؤهم مدجون بالسلاح ينتظرون الاشارة من اسيادهم. فترك الشيخ (بلاثيرى) الى قرية شيروانية تدعى (بيى) فرحب به أهلها وأكرموا وفادته وبقي هناك مع أهله وذويه تسع سنوات وبوجوده في اوساط الشيروانين استطاع أن يحقق صلات أوثق بقبيلة (گهردى) وعين من بينهم خليفة له كما عين خليفة له آخر في مقاطعة (نزار). وعرف هذا الخليفة بلقب (مهلاى مهزن) اي الملا الكبير. وكان كلاهما يعملان بنصائحه فأحسنا تمثيله وأداء رسالته.

التجنيد الاجباري

استغل الاغوات مناسبة اعلان الدولة تطبيق قانون التجنيد الاجباري للتنكيل باتباع الشيخ والنكاية به، فاخذوا يخبرون السلطات عن الخاضعين للقرعة العسكرية من أتباع الشيخ وأنصاره ويسلمون للسلطة من كان في مقدورهم تسليمه منهم، وبطبيعة الحال كانت مقدرة الدولة على تطبيق هذا القانون مرهونة بقوتها أو ضعفها ولا سيما في تلك الاماكن النائية الصعبة الوصول، وعندما تجد نفسها عاجزة فانها توعد لحلفائها الاغوات بتقديم المكلفين وتسوقهم جبراً. فانتهاز الاغوات هذه الفرصة للتخلص من خصومهم والتضييق على الشيخ.

لا شك في أن عدم العدالة في تطبيق قانون التجنيد العثماني أدى إلى التمرد عليه تلقائياً. ومن أجل التخلص من هذا العبء فقد توسل اتباع الشيخ إلى كل شكل متيسر حتى الهرب من الخدمة ومقاومة موظفي الحكومة والاعوات وخدمهم أثناء محاولة هولاء تطبيق القانون على هذه الصورة المجافية للعدالة.

كان الراتب الاسمي اليومي للجندى التركي في ذلك الوقت لا يتعدى القرش الواحد (عشرة فلس) إلا أن الجندى لا يتمتع بهذا (المبلغ الجسيم) إلا في فترات نادرة، وعندما يدفع له لا يدفع نقداً، بل بشكل سند رسمي. ولا تصرف الخزينة المحلية لهم هذه السندات لأنها غير قابلة التحويل إلى نقد. كذلك فإن البقال أو التاجر العثماني لا يعتبر هذه السندات نقداً أو صكاً صالحاً للصرف أو المبادلة ببضاعة، وبمقابل ذلك فإن الإدارة العثمانية تأبى أن تتسلم ضرائبها من الجندى التركي إلا عينا أو ذهباً، زد على ذلك أن الجندى التركي المكلف بالخدمة خمس سنوات والذي يبقى احتياطاً (رديفاً) لمدة سبع سنوات أخرى لا يسرح بعد أكماله السنوات الخمس، بل يساق إلى جهات بعيدة عن وطنه الأصلي ليحارب في إحدى زوايا حدود الامبراطورية المترامية، وقد يموت دون أن يعرف أهله شيئاً عنه. ولذلك كان من المعروف أن المساق إلى الخدمة العسكرية هو أشبه برجل محكوم بالموت. وعندما يؤخذ عادة يودعه أهله وداع من لا عودة له. ويستطرد (ويگرام) فيقول إنه وجد في العام ١٩٠٥ جنوداً

عثمانيين يحملون أوسمة منحت لهم في معارك الدفاع عن (بليقنا) في العام ١٨٧٨ ولم يسرحوا منذ ذلك التاريخ.^١

من هنا جاء كره الكرد المتأصل للخدمة العسكرية الاجبارية بكل أشكالها والعقدة التي مازالوا يحملونها حتى اليوم في كل مكان، ومن هذا يتبين كذلك أن السلاح الذي شهره الاغوات بوجه أتباع الشيخ بسوقهم للقرعة العسكرية لم يكن مما يستهان به من ناحية زيادة الحقد على الادارة العثمانية والاغوات سواء بسواء واعتبارهم عدوا يمثل هدفا واحدا.

ههوا النامهى كئبب

(١) مهد البشرية. ترجمة جرجيس فتح الله، ص: ٢١١.

الفصل السابع

فتاح آغا هرني

خلال هذه الفترة كان قد حصل تغيير ملحوظ في تركيب المجتمع الريفي - القبلي الكردي في الزيبار وما جاورها، فقد ازداد الاغوات عدديا وأصبح عميد الاسرة مركز السلطة ومصدرها صاحب النفوذ الحقيقي الى جانب أقرب نسله من بعده. اما سائر الاقرباء الآخرين فقد تضاءلت امتيازاتهم، فسُلم السلطة كان يقف على رأسه كبير الاغوات ويتدرج نزولا الى أصغرهم، اى الى ابعدهم نسبا للآغا الكبير. وكان من الطبيعي ان يشعر هؤلاء الصغار بنوع من الكراهية لكبارهم، اذ كانوا يعتبرون أنفسهم مساوين لهم في الحقوق والسلطة القبلية وان ليس من العدالة في شىء ان يستأثر اولئك بالسلطة والاملاك في حين يدفعون الآخرين الى احضان الفاقة أو الحرمان من عملية السلب والنهب.

من جهة اخرى ظهرت طبقة في هذا المجتمع جديدة هي في الواقع النطفة الاولى للطبقة الوسطى الكردية (البرجوازية) وكان ظهورها بمبادرة من الاغوات أنفسهم الذين احتاجوا الى من يتوكل عنهم في ادارة املاكهم وقضاء حاجاتهم كتنظيم علاقاتهم مع التجار والمضاربين بخصوص بيع الغلال وتسويقها. هذه الفئة الجديدة

(الوكلاء)^(١). استمدت سلطانها في بادىء الامر من الاغوات الا انها اخذت تعمل لاجل مصالحها الخاصة الى جانب سهرها على مصالح اسيادها. ويتعاقب بضعة اجيال منها اخذ افرادها يبتعدون عن الاغوات ويستقلون في مصالحهم ويتمتعون فعلا بامتيازات السلطة. فلم يكن هنالك بد من ان تصطدم المصلحتان، خصوصا وان اقتصاد الزيبار محدود ولا يمكن ان يتسع لعمليتي أستغلال وانتفاع في آن واحد لفئتين.

ولم يخف ذلك عن الاغوات الكبار الذين ماكانوا ليتسامحوا مطلقا في التجاوز على نفوذهم ومشاركة الاخرين لهم في الاستثمار. وبما انهم كانوا يملكون السلاح والرجال والمال والحظوة عند السلطة، فلا شك كفتهم ستكون هي الراجحة في مثل هذا النزاع. ولم يجد صغار الاغوات مندوحة من الالتفاف حول الحركة الدينية في بارزان. وانضم كثيرون منهم الى الطريقة وتقدموا حتى احتلوا مراكز قيادية وكان لهم ادوار هامة في المرحلة التالية وهذا ايضا مما عجل بخطى الحركة الدينية الى الاتجاه الدنيوى والنضال السياسى.

في عهد فتاح آغا بن عثمان بلغت شوكة اغوات الزيبار مبلغا لم تصله في عهد والده وكان فتاح آغا قد قبض على زمام الامور بعد وفاة ابيه في العام ١٨٨٠. وقد جاء في كتاب (امارة بادينان) ان أصل الاغوات الذين كانوا يحكمون الزيبار هم من (بنياناش) وليسوا زيباريين وحفظت لنا صدور الحفاظ بعض الاغانى الشعبية

(١) الاسم الشائع لهؤلاء الوكلاء الاقطاعيون في جنوب العراق هو (السراكيل) ومفردها (سركال).

السانجة في مدح هؤلاء الأغوات مدحا مفرطا في التعظيم والتبجيل
،منها قصيدة في مدح فتاح آغا تنسب الى وكيله (علي شيرا) غناها
له عندما خرج سيده يتفقد حصاد الموسم في (بهروژ) قال:

بهروژه خوش بهروژه بهروژ ما أروعك يا قبلة الشمس
عبد الله آغا گو له فتاح بشكوژه عبد الله آغا زهرتك وفتاح البرعمة

كان (علي شيرا) مرتاحا لوفرة المحاصيل الزراعية الذي يعني أن
حصته ستكون كبيرة، وبمناسبة ذلك احيا قرويو (ههرنى) حفلة
رقص ويظهر أنها كانت حفلة شائقة هزت مشاعر (علي شيرا) فنطق
بعبارة مازالت تجري في الزيبار على الألسن كمثل من الامثال
فوصف الرقصة بقوله (لا يلجها خارج ولا يبرحها من في الداخل)
وهي في الواقع تورية يريد بها أن سلطة فتاح آغا لا يشارك فيها
اجنبي ولا يقاسمه أحد فيه، ومما يدل على أن صاحب العبارة كان
يهدف الى هذا القصد، إشارة الزيباريين حتى يومنا هذا الى المثل
عندما يريدون وصف حكم فاسد يقف ضد التغيير بعناد "انها
رقصة على شيرا لا دخول اليها ولا خروج منها" (داوتا على شيرا،
نه كهس بتى نه كهس بچى) أو أن يشيروا الى حكم ظالم يهدف الى
بقاء الوضع الراهن فيقولوا (أنها رقصة علي شيرا).

ليس استغلال الزيبار وحده هو المصدر الذي كان يدر المال
على فتاح آغا، فإلى جانب ذلك مورد آخر مضمون هو إحتكاره
عملية عبور القبائل الكردية الرُحل في موسم الصيف الى مراعي اوفر
للكأ فى الأجزاء الواقعة شمال المنطقة. وهكذا يحكم القدر ان

يكون له نصيب مما كانت تنهبه قبائل (الهركى) وهي في طريقها الى مراعيها الصيفية. إذ أن لها ممرا فى أراضي الزيبار التى يسيطر عليها فتاح آغا. فعند اقتراب القبيلة بمواشيها وقطعانها واثاتها، يأمر فتاح آغا برفع المعابر الخشبية من فوق مجرى الزاب والابقاء على معبر واحد فى وادي (بالندا) وهو معبر يُحرس عادة حراسة دقيقة في ذلك الموسم، فتتجمع أثقال القبائل وقطعانها منتظرا كل فريق منها دوره للعبور، وكان من عادة فتاح آغا ان يحضر شخصيا للاشراف والاستمتاع بالمنظر والتأكد من ضبط الجباية، في حين يؤلف حرسه المسلح نقطة سيطرة امام منتظري العبور لأجل استيفاء الرسم. لقد برم الهركيون بهذه المعاملة وحاولوا التفاهم مع فتاح آغا لتخفيض رسم العبور هذا، وحاولوا استرضاءه بشتى الطرق الى الحد الذي عرضوا عليه كما ينقل الرواة تزويجه بأجمل عذراء في القبيلة بعد ان اعيتهم كل الحيل. نسوق هذا دليلا عن بأس فتاح آغا، فقد كانت معظم القبائل تخشى بطش الهركيين وتتحاشى الدخول معهم في نزاع. وفى عهده توطد حكم الاسرة على الزيبار، ومن مظاهر ذلك أنه بنى له في (بان) قصرا توخى فيه المناعة وسهولة الدفاع عنه، ونقل الينا ان جميع اهالى (به پوژ) سخروا فى تشييد هذا القصر فزودوا الاغا بمواد البناء وأرغموا على تأمين ما يحتاجه من اخشاب ونقل أحمال الثلج اليه اثناء الصيف على ظهورهم من اعالي جبل شيرين بصورة منظمة. وقد اثرت عنه الخشونة والغلاظة وقسوة القلب، فكان مصدر رعب لأهالي الزيبار لا يجروُ أحد على مخالفته في

أمر. وقد نال منه آل مصطفى آغا وهم أغوات أقل شأنًا وسكان (بهروژ) بشكل عام الذل والمهانة بنوع خاص.

كانت قرية الآغا تقع في ارض منبسطة، ولذلك اشتهرت بغلاتها الوافرة من الحبوب، وقد عاشت اسر مسيحية ويهودية فيها وكان شديد الاهتمام بأقامة علاقات وثيقة مع اصحاب النفوذ المجاورين لاتخاذهم سنداً في الاوقات العصيبة كما كان على أحسن العلاقات بموظفي الدولة وشديد الرعاية والاكرام لهم، لأنهم همزة الوصل بينه وبين المركز في الموصل وعلى تقاريرهم تتوقف انطباعات الدولة عنه وعن تصرفاته.

كانت دار الضيافة في (ههرنى) ملتحى المراجعين والزائرين، ويقبل الآغا ويتصدر المجلس ويتفحص الضيوف ملياً بأنظاره وإذا توجه الى أحد بالكلام رفع من قدره ومنزلته وحسده أولئك الذين لم يتنازل الآغا الى مخاطبتهم. الى جانب الرهبة والخوف الذي كان يشيعه فتاح آغا فى النفوس فأن رعيته من اهالى هرنى كانوا شديدى الاعجاب والاعتزاز به وبأغواتهم، بحيث تأثروا بأخلاقهم فتشربوا بروح الاستعلاء في مواجهة سكنة القرى المجاورة.

الفصل الثامن

سلطان آغا بيّرسيافى

رئيس الشيروانيين وابنه احمد

كان لسلطان آغا ابن حسن بك بيّرسيافى، الزعيم الشيروانى سبعة ابناء هم: (مرعان وسليمان واحمد وعزيز وسليم وعبد الله وصالح) له تدين العشيرة الشيروانية بالطاعة والولاء. سكن قرية بيّرسيافى، في هذه القرية، عاش أتباع الديانات الثلاثة المسلمين واليهود والمسيحيين. وفي القرية مسجد يزدحم فى الايام الجمعة بالمصلين الوافدين من القرى المجاورة.

كان سلطان معاصرا لكل من فتاح آغا والشيخ محمد. وبينه وبين الاول منهما علاقة صداقة متينة يزوره فى هرنى فيتلقاه فتاح آغا مرحباً، لان القرب منه يعنى بعد سلطان آغا عن شيخ بارزان. وكان ثمة نفور و برود بين شيخ بارزان و بين سلطان آغا، لم يفلح الشيخ في ازالتهما رغم محاولاته. غير أن الاحداث الاخيرة اخذت تغير من موقف الاخير. فعلى أثر رجحان كفة نفوذ الشيخ محمد على نفوذ فتاح آغا وبسبب تقاطر الشيروانيين المستمر على حلقات الشيخ وانصوائهم اليه، صحح سلطان آغا موقفه تدريجيا ومال الى الشيخ حتى انه زوجه

بابنته (خاتون) إلا أن هذا الميل لم يتصف بالحماسة والاندفاع. ومع هذا فإن الود الذي نشأ بين الاثنين كان له أثره بعد وفاة سلطان آغا في العام ١٨٩٠ وتولى الرئاسة ابنه (أحمد) بموافقة ورضا سائر اخوته.

كان أحمد آغا هذا مريداً للشيخ، الأمر الذي حدا بالشيروانيين الى الانضواء الى صف الشيخ دون خوف، وكان أحمد آغا هذا لا يتسم بالكبرياء والغطرسة اللتين طبع عليهما والده، ولا بحدة الطبع الى جانب قوة بدنية خارقة بحيث لم يكن احد يجرواً على معارضته ولو بالحق الصراح. وهناك قصة تروى عن سلطان آغا هذا تصور لنا مدى ماكان يشيعة من الخوف فى نفوس اتباعه. خرج ذات يوم فى جولة يحيط به اعوانه وخدمه، فلمح ارنبا يبرز من كنهه ويعدوا مسرعاً. فالتفت الى مرافقيه وسأل "من منكم يستطيع ان يعرفنى هل هذا الأرنب ذكر ام أنثى؟". فلم ينبس أحد بحرف واخذوا يتبادلون النظرات الحائرة الى ان انبرى أحدهم وكان معروفا بحضور البديهة فأنقذ الموقف بقوله: "ليس هناك غيرك أيها الآغا يستطيع ان يميز جنس الارنب من خلال عدوه". لقد امسك الجميع عن الادلاء برأى قد يكون مخالفا لرأى الآغا سلطان فيتعرضون لسخطه.

تمسك أحمد آغا ببيرسياقى بتعاليم الطريقة واقام على ولائه واخلاصه وقطع صلته باغوات الزيبار، كما انه لم يأبه بذوي قرياه من أغاوات (سهروكانى) الذين احنقهم تزايد نفوذ الشيخ وأرادوا مقاومته.

عرف أحمد آغا بالسخاء والكرم والاهتمام بأفراد عشيرته والحرص على وحدتها. وفي عهده خفت كثيراً غارات البرادوستيين على قري الشيروانيين لغرض السلب والنهب بسبب اتخاذه موقفاً حازماً منهم.

ومما يروون عن مبلغ عفته ونزاهته ان بعض اهالي قريته شكوا لديه ابنته (رقية) لأنها جنت ثمرتين من شجرة كمثرى تعود لأحد الفلاحين. فكفر احمد آغا عن (ذنب) ابنته بذبح أفضل تيس في قطيعه كان قد رباه وتعهده لغاية الاخصاب بسبب جودته. ووزع لحم التيس بين اهالي القرية محرماً إياه على أسرته ومعتبراً ذلك عقاباً لشخصه ومثلاً رادعاً للجميع حتى لا يتجاوز أحد على حقوق اخيه.

ههه والنامهى كئيب

الفصل التاسع

الاتفاق على اسقاط فتاح آغا

في حدود العام ١٨٨٩ كان الشيخ محمد في قرية (بيي) الشيروانية حين اتصل به عدد من (البهروزيين) الساخطين وقد عقدوا العزم على وضع حد لتحكم فتاح آغا واستغلاله. وتم الاتفاق على موعد الاجتماع حيث حضره الشيخ وحضر ممثلون عن انصاره عرفنا منهم (عبد الله گوج، محمد شرا، زبير درويش، داود بباني) وطرح على بساط البحث جملة من الاجراءات لأتخاذها ضد فتاح آغا. وتم اقرار خطة، إلا أن أحد المشاركين في الاجتماع (داود بباني) الذي تظاهر بالولاء للشيخ في حين كان عينا لفتاح آغا عرج وهو في طريقه الى بيته على سيده وأفضى اليه بتفاصيل الاجتماع والخطة التي اتفق عليها المجتمعون للحد من نفوذه. فأرسل (فتاح آغا) يستدعي جميع الذين شاركوا في الاجتماع، فأدرك هؤلاء ان فتاح آغا واقف على ما دبروا، وانه لابد متخذ احتياطه، فلم يجروا على تنفيذ ما قرروه. وازداد حذر (فتاح آغا) وانكشف امر (داود بباني) للمريدين فأجتنبوه^(١) ومرّت فترة دعا الشيخ بعدها الى

(١) لم يحاول الشيخ محمد ان يقتص من (داود بباني) عندما ساءت علاقته بفتاح آغا وطرده وأصبح بإمكان الشيخ ان يفعل ذلك.

اجتماع اخر لعين الغرض. ولم يتفشى خبر هذا الاجتماع هذه المرة، ثم أعلن الشيروانيون والبهروثيون تضامنهم فيما سيقدمون عليه، وهذا هو أول تحالف بين القبيلتين لازاحة سلطة اقطاعية ظالمة.

يمثل هذا القرار نقطة تحول هامة في تاريخ جهاد مشيخة بارزان. لقد شعر فتاح آغا ان أنصار الشيخ لم يعودوا يراجعونه لفض نزاعاتهم كما كانوا يفعلون في السابق، وانما صاروا يتوجهون بها الى شيخ بارزان. كما لاحظ ايضا ان هناك تعاطفا وتكتلاً بين الاهالي من مظاهره قلة الخصومات الفردية والشكاوى عنده حتى أصبح يبدوا له وكأن ثمة اجماع على مقاطعته وتحدي سلطته بشكل سافر، من جهة أخرى شعرت المشيخة بأن الوقت قد حان لمساندة المضطهدين والمستغلين بصورة صريحة والا غامرت بمكانتها عندهم وفقدت احترامها. ان خوض هذا الصراع كتفا بكتف مع اولئك المستضعفين هو في الواقع جوهر رسالتها. وانه لا بد والحالة هذه من الاحتكام الى السلاح. لقد أدرك الشيخ انه بهذا وحده يستطيع ان يطرد الولاء القبلي ويضع مكانه الولاء الروحي. وتمت تهيئة العشيرتين (شيروانى - بهروثى) للمعركة. كان ذلك فى عام ١٨٩١ حيث قام أنصار الشيخ المسلحون فجأة بالهجوم على قصر الآغا فى قرية (لاتكا) فأسرع هذا بمغادرتها الى (سيرى) ومكث فيها فترة، لكن المسلحين تعقبوه وطرده من (سيرى) فانتقل ال (بان) آخر معقل له. إلا أن أنصار الشيخ كانوا قد عقدوا العزم على اخراجه من اراضى (بهروث) فهاجموه فى (بان) وطرده منها، وبهذا انتهى نفوذه فى (بهروث) وعاد الشيخ محمد الى بارزان ظافراً.

لم تكن ظروف الدولة العثمانية وما تشكوه من متاعب ليسمح لها بأن تلقى بالأعلى ما يحصل في هذه الزاوية الجبلية الوعرة المنسية من كردستان البعيدة جدا عن مراكز الادارات العثمانية لأسباب كثيرة، منها ان نزاعا ضيقا صغيرا مثل هذا لم يكن يهدد أمن الدولة الداخلي، فمثله كثيرا الحوادث وهو كذلك لا علاقة له بأمن الدولة الخارجي ولا يستدعى تجريد قوة لفضه. فبالنسبة الى تلك الامبراطورية المترامية الاطراف لا فرق، ثم إذا استظهر شيخ صغير الشأن على آغا سلطانه لا يتعدى عددا من القرى. ولا يحتاج الى تسخير قوة عسكرية لنزاع قد ينفذ تلقائياً بالصلح بين المتخاصمين او بأستظهار أحدهما على للآخر، في الوقت الذي كانت هذه الدولة بحاجة الى كل جندي وهي تخوض حروب البلقان المضنية الطويلة الامد. أضف الى هذا ان الدولة العثمانية في هذه المناطق البعيدة التي يصعب اخضاعها، تقتنع عادة بالسيطرة الاسمية وبجباية ما يمكنها جبايته من الضرائب تاركة الحبل على الغارب للنزاعات المحلية. تبقى هذه السلطة زمناً وهي غافية او متغافية ولا تتحرك الا إذا تفاقم الامر الى الحد الذي يؤذن بتهديد حقيقي لتلك السلطة الاسمية، كإعلان عصيان مسلح بنية الانسلاخ، أو كمقتل مجموعة من موظفيها أو طردهم من المنطقة الملتهبة، أو رفض استقبال محصلي الضرائب والامتناع المتتالي عن دفعها. عندئذ تستيقظ السلطة من غفوتها فجأة وتأمراً أقرب الولاية أو الحكام الى تلك المنطقة بالقيام بعمل عسكري، وهذا العمل العسكري عادة لا يعدوا تجريد حملة تأديبية تتحرك الى المنطقة

حتى تدخلها، فتقبض على عدد من السكان (معظمهم قد يكونون أبرياء) وتضرب بهم مثلاً. فتحرق قرية أو اثنتين من قراهم ثم تمارس اشد انواع الضغوط والاكراه لانتزاع المتأخر من الضرائب وبعض المتقدم منها ويحل افراد الحملة ضيوفاً على الاهالى فيثقلون كواهلهم بالايواء والاطعام، وتبقى الحال هكذا حتى تشعر السلطة بان الملل أدرك افراد الحملة او ان الوضع عاد كما كان. فتعين موظفاً جديداً بدلاً من الموظف القتيل او المعزول، وتكون هذه اشارة الى عدم وجود خطر او مانع من عودة مثيري الشغب من المناطق العاصية التي هربوا اليها عند تقدم الحملة الى قراهم.

فى مثل هذا الوضع لا يوجد ثمة شيء اسمه الامن أو النظام، ولم يكن بامكان محبي الامن والاستقرار ان يرجوا خيراً من السلطة التي يفترض انها تحمى الامن وتوفره للمواطنين. لذلك وجد شيخ بارزان كغيره من الشيوخ او اصحاب النفوذ المحليين ان يأخذ زمام المبادرة بيده ليؤدي الواجبات التي عجزت الادارة الحكومية عن أدائها، الواجبات أزاء مواطنيه وانصاره ومريديه.

الفصل العاشر

الشيروانيون

خرج التصوف من المساجد والتكايا الى الشارع لمقاومة القوى المستغلة بنفس سلاحها. واخذ يعتمد على قوته البشرية وسواعد أنصاره فضلا عن قواه الروحية. ومن تلك القوى البشرية التي اعتمدها، الشيروانيون أنصاره الاوفياء. لقد كان للشيروانيين دور رئيسي في طرد فتاح آغا من معاقله الثلاثة وبقوا امناء على رسالة شيخ بارزان جيلا بعد جيل وخلفاً عن سلف.

تعد شيروان من القبائل الكبيرة. اشتهر افرادها بالشجاعة وشدة المراس وهي كثيرة العدد تنتشر قراها المتعددة على رقعة واسعة من الارض متماسكة متحدة وتتألف من الافخاذ التالية اسماؤها:

- ١- فخذ (سه رى مهزنا) وله من القرى (بيدارون، دورى، كانيا ديرى، ليربير، زارا، ريزان).
- ٢- فخذ (مامالا) وله من القرى (كوركى، كيران، ايشوكر، سهرگهلى، بستى، كيراناكير، بهروژوك، گرد).
- ٣- فخذ (مامژدا) وله من القرى (بيستري، ژاژوك، ماله سوار، شيخ سيدا، سبيندار، ميرگه سور، بانى، بن بيا، گوره تو).

- ٤- فخذ (مام دلا) وله من القرى (كانى لنجا، بهردرى، ماميسك،
 قازى، خير زوك، كهكله، بابكى، مه مولا، بيّر سياق).
- ٥- فخذ (مام جهما) وله من القرى (بيدود، كهلوك، كاقلان، مه ران،
 مه سهنى، سهروكانى، بيران، كوله كا، گركال).
- ٦- فخذ (شيروانى ديّرا) وله من القرى (شيروان، ليرى، كلكه مو،
 بهردهريا، سهردهريا، بيى، بيخشاش، كانيبوت، راوه شا).

ويغلب الاخباريون المحليون ان هذا القبيلة نزحت من جبال
 حكارى واستوطنت منطقتها الحالية بعد انتقالها من حياة الرعى
 والبدوة الى مزاولة الزراعة والاستقرار. فسفوح جبال (هورى وسهرى
 كورى وأطراف كوراقا) تؤمن لهم مساحات كافية من المراعى للقطعان
 صيفا. والاراضى الشيروانية هى من أفضل المشاتى.

في فترة اليقظة الدينية لشيخ بارزان، انضم الكثير من أهالي
 القرى المذكورة تحت لوائه. وهنا ايضا كما في الزيبار نقم بعض
 اغوات القبيلة على الشيخ وتعرض اعوانه الى اضطهادهم. وعندما
 عاد الشيخ الى بارزان، كان انصاره الشيروانيون لا يتلقون اوامرهم
 إلا منه وقد جمعهم الى اخوانهم (البهروژيين) رابطة الاخوة في
 الطريقة. ان الشيخ كان قد أصدر أوامره الى أنصاره (البهروژيين)
 بقبول الشيروانيين المظطهدين ضيوفا عليهم. فلبوا طلبه ورحبوا
 بهم واعانواهم في تلبية احتياجاتهم. وقد روى لنا عن ذلك الشيروانى
 المدعو (حاجى مامسكى) الذي ذهب يوما لطحن قمحه فى احدى
 القرى، فلمحه خدم الأغا (مير ملا) الشيروانى، فأمسكوا به وجردوه

من سلاحه وأنهلوا عليه ضرباً وشتماً حتى إذا شفوا غليلهم منه وتركوه محذرين مهددين بقتله ان لم يكف عن موالاته لشيخ بارزان. فعاد (حاجى مامسكى) الى قريته واتفق مع شقيقه (شيخو) على مواجهة (احمد آغا بيّرسيافى) لبحث الامر. وكان احمد آغا آنذاك من مناصري شيخ بارزان. وبالرغم من وجود صلة القربى مع (مير ملا) التى لم تكن بالدرجة التى تجعل وساطته لديه اكيدة المفعول لضمان عدم تكرار الاعتداء، لم يتمكن من تقديم ضمان يقنع به الاخوين المطاردين بالبقاء في قريتهم. فلم يكن منهما إلا ان تسللا فى أحد الليالي من القرية بأسرتيهما وقطيعيهما الى (بهروژ)، وكثير غيرهما فعلوا ذلك.

ههوا النامهى كئيب

الفصل الحادي عشر

احوال المريدين والانصار

عملت الدعوى على غرس الاحساس برابطة الجماعة وأثبتت فوائد الاتحاد والتكاتف وكافحت انطوائية الانسان القبلي، ووجهت العنعات القبلية الى هدف واضح نبيل وعلمت التضحية وذلك بالدفاع عن مصلحة الجماعة والمصير المشترك، واوجدت معيار مساواة لم يكن يهتم به من قبل، المساواة امام الله والتمايز بالعقل والعلم والتقوى. فمثلاً عندما انضم احمد آغا الى جماعة المريدين نبذ مظاهر الابهة التى يتحلى بها كبير القوم. شوهده وهو يحمل الحطب على كتفه اسوة بالفلاحين ويروح ويغدوا من غير حاشية او اتباع. وتحلى الناس جميعا بفضيلة التسامح وصدوا عن التقاليد القبلية العنيفة كمتابعة الثارات والاغارة على القرى بقصد النهب بوصفهما من مظاهر الرجولة. لقد اجمع الأهلون على تطبيق النظام الجديد باختيارهم وارادتهم الحرة لا بالاكراه او الخوف من العقاب. وطراً تغيير على بعض المفاهيم الاجتماعية كمفهوم الزواج الذي أصبح الان قائماً على اساس الاختيار الحرّ. فزال ذلك القيود التى كانت تحول دون الاختيار والرضا المتبادل ولم تعد المرأة سلعة. فقد فرض الشيوخ في بارزان ان لا تجبر الفتاة على الزواج

بمن لا ترضاه. وان لا تُكره من قبل ابيها او اخيها او ولى امرها
بالزواج من رجل لا تريده اولا تميل اليه. كما لم يعد المهر
والصداق عقبة فى سبيل الزيجة، الامر الذي يلفت النظر بشدة فى
عصر لم يكن للمرأة شأن يذكر ولا كلمة فى مصيرها فى كل
المجتمعات الشرق أوسطية.

ظاهرة اخرى تستحق الذكر أيضاً، هي زوال آثار التعصب
الديني والمذهبي. لقد وجد المسيحي واليهودي واصحاب المذاهب
والطرق الاسلامية الاخرى أنفسهم احرارا فى مجتمع لا يفرق بين
الناس بسبب معتقداتهم وأخذوا يمارسون شعائرهم الدينية بدون
حرج ويعيشون فى بيئة لا تفرض عليهم عزلاً اجتماعياً، وإنما تعمل
على التعاون معهم على أساس المساواة فى الحقوق والواجبات.
ومن تتبع حالة الاقليات الدينية فى الشرق الاوسط تحت ظل الدولة
العثمانية فإنه لا شك مدرك ماذا يعنى قيام مجتمع حريص على
المساواة قولاً وعملاً.

حاول دعاة الطريقة النقشبندية فى بارزان تطبيق ذلك ونشر
العدل والتعايش السلمى فى أوسع دائرة فى ارجاء كردستان، إلا
أنهم لم ينجحوا إلا فى دائرة مجتمعهم، لأن المنافسة المؤدية الى
الصراعات بين الطرق ومشايخها كانت مما لا مفر منه عندما
تتدخل الطموحات الشخصية.

لقد ميزت الطريقة فى بارزان بين ثلاث طبقات من التلاميذ
تختلف فقط بمرتبتها الروحية اولها (طبقة الديوانه) وثانيها (طبقة

المريدين) وثالثها (طبقة الزهاد). والاخيرة منها كانت تحظر على نفسها أكل اللحوم وما هو ثمرة الحراثة والعمل وغذائها قاصر على الفاكهة والنبات وما تخرجه الارض تلقائيا. اما الثانية (المريدون) فهم الملتزمون بأداء الفرائض الشرعية الاسلامية والسير على آداب الطريقة النقشبندية. وتميزت الطبقة الاولى (الديوانه) عن الطبقتين الاخرين. كانت تمارس من الحرية أكثر مما ينبغي حتى تصل ممارستها هذه حد الاعتداء على حريات الاخرين. وكثيرا ما وقف الشيخ مكتوف اليدين أمام تطرفها وعجزه عن كبح جماح أعضائها والسيطرة على تصرفاتهم. وكثيرا ما أقدموا على اعمال دون استشارة الشيخ فيها معتمدين على (أحوالهم) وعلى (المعرفة) التي زودتهم بها تلكم الاحوال. مقتنعين ان استنتاجاتهم صحيحة مستخلصة من جوهر التعاليم التي تلقوها عن شيخهم ومفترضين مقدا أنه سيرضى عنها ويصادق عليها وانه ليس بإمكان الشيخ معارضتهم مادام تصرفهم نابعاً من ايمانهم العميق بمعتقدهم. لقد ادى هذا النوع من التصرفات غير المدروسة والمتطرفة الى امور مؤسفة خطيرة كما سيرد ذكره فى موضعه.

كان (الديوانه) فى احيان كثيرة يقدمون المبادئ التي تلقوها على أوامر الشيخ وفتاويه. وهم لا يرون خيراً فى ذلك الشيخ الذي لا يطبق تلك المبادئ ويسير على نهجها. فمثلا طردوا شقيق الشيخ محمد الوحيد (ملا قاسم) من بارزان بالرغم من استنكار الشيخ محمد ومعارضته. وعللوا عملهم هذا بقولهم ان التعاليم النقشبندية لم تروضه ولم تترك فيه بصماتها لتجعله شبيهاً بشقيقه. واجهوا

الشيخ محمد مجتمعين وابلغوه بما قرّ عليه قرارهم ولم يفد منطق الشيخ ورجاؤه وشفاعته. قالوا له "ان ملا قاسم سيكون سما قاتلا فى المستقبل، ولو اتاحت له الفرصة لفرض اعمال السخرة على رقابنا كما يفعل الأوغوات". وهكذا طرد (ملا قاسم) ولم يسع اخاه الا الرضوخ للامر الواقع، فغادر المطرود بارزان الى (ولات ژيرى) ولم يغادرها لا هو ولا اهله، واحفاده يعيشون هناك الى يومنا هذا^(١).

ان نزول شيخ بارزان الى قرار الجماعة فى امر يتعلق بأقرب فرد فى اسرته اليه، هو بحق إدراك عميق لمسؤولية الرئاسة تتجلى فيه روح التضحية وانكار الذات وهي التى قربت شيوخ بارزان الى قلوب اتباعهم فأمنوا بهم وباحكامهم ايماناً عميقاً وحفظت لهم مكانتهم وابقيت مريديهم ملتفين حولهم فى أخرج الظروف، حتى انهم (كما برهنت الاحداث فيما بعد) لم يكونوا ليترددوا فى استقبال الموت بصدورهم باشارة واحدة من شيخهم، لا يعقبا سؤال منهم او استفسار. لقد طبق شيوخ بارزان ماجاء فى الحديث النبوي (سيد القوم خادمهم) وما جاء فى الانجيل (من كان اكبركم فليكن خادما لكم).

والجدير بالذكر هو أن عهد الشيخ محمد اتسم بتوسع دائرة الانتماء الى الطريقة، فقد تمددت المشيخة البارزانية غرباً بانضواء (محمد آغا هيشه تي) من أغوات النيروه وانتمائه الى الطريقة على

(١) ولات ژيرى اسوة ببقية المناطق التى شملها التهجير القسرى والاستيطان العنصرى. ازىح عنها كل المواطنين وهدم كل قراها مثل: شنكيل، بابسيقا، داويدكا، ديل، هيزا، سهروكانى، شيقى، بيكول.

يد شيخ بارزان الثالث وأخلص له، وبهذا انضوت عشيرة النيره لبارزان، وقد امتعض (الشيخ محمد صديق النهري) عندما شعر باتساع نفوذ بارزان في أوساط عشيرة (النيره) لذا استدعى شيخ نهري محمد آغا هيشهتي الى (نهري) ليوقف عملية الانتماء الى بارزان، لكن أبا أن يتخلى (محمد آغا هيشهتي) عن ولائه لشيخ بارزان، فحجزه مايقارب عاماً ثم أخلى سبيله. وعند رفع الحجز عنه مرّ ببارزان وهو في طريق العودة الى نيره، وذكر له الشيخ ان حجزه كان أمراً وارداً بسبب مايمكنه (شيخ نهري) من المشاعر السلبية تجاه بارزان.

ان نشوء الدعوة النقشبندية كنقيض لمصالح الاقطاعيين في مجتمع تسوده الزعامات القبلية واضطرار الجانبين الى استخدام وسائل العنف للدفاع عن نفسه ومصالحه هو الذي فرض على العقيدة الصوفية تجنيد طاقتها الروحية لتغيير الوضع السائد بقوة السلاح والتحلي بروح قتالية عالية. وقد استقطبت هذا الروح في طبقة (الديوانه) وهم جنود الطريقة الشجعان الذين كتبوا تاريخ بارزان بتضحياتهم. كانوا رجال عمل لا رجال قول ونحن نسمع عن مآثر وبطولات شخصيات منهم ما زالت ألسن الرواة تتناقلها وتتناولها بالاعجاب والتقدير.

الفصل الثاني العشر

المشيخة والجيران

مرت المشيخات الصوفية (الخالدية- النقشبندية) على اختلاف مواقعها الجغرافية بمراحل تكاد تكون متشابهة. بدأت كلها بتسليم عميدها اجازة الارشاد من مولانا خالد او أولئك المجازين من قبله، بدءاً بالأب او المؤسس منشاء الحلقات الاولى، ثم بمجموعات من المريدين. وبعدها تأتي مرحلة ارساء الزعامة الروحية وهي عادة وفي كل المشيخات تبقى منحصرة ضمن نطاق اسرة المتسلم الاول، أعني إن الابن يخلف أباه او الاخ أخاه وهكذا.

تسلم الشيخ (محمد صديق النهري) زعامة المشيخة في حكارى العام ١٨٨٣ وكان جده السيد طه النهري عميد الطريقة ومؤسس المشيخة وتلاه ابنه (الشيخ عبيد الله النهري) البطل القومى الذي وجه نفوذ المشيخة الروحي الى اهداف وطنية وقام بثورته الكبرى ضد الدولة العثمانية والايروانية معاً. بعد الفشل الذي اصابه ونفيه الى استنبول تسلم الرئاسة حفيده (محمد صديق).

وكانت مشيخة (بجيل) تحت زعامة (الشيخ محمد ابن الشيخ احمد الكبير) مؤسس تلك المشيخة. وقد انضمت تحت لوائها قبائل كردية تتكلم اللهجة السورانية واللهجة الكرمانجية، ومن اهمها (مام گرد، مام كهكول، پيربال، مام لس، مام ساكى، مام سال، مامه

سامى، چاربوتى، ماله سينى، خهيلانى، سهرمردى، توخمه نبيله،
مندك، توخمه بالين، جاخ اوامر، مامان مري).

وقد توحدت هذه القبائل ذات اللهجتين فى إطار وحدة روحية
متماسكة جمعتها معاً رابطة الطريقة النقشبندية، فتجاوزت بذلك
حدود العزلة والعنعات القبلية وعداوات رؤوسائها.

وفى بارزان كانت الزعامة للشيخ محمد ابن الشيخ عبد السلام
وتكايأ اخرى كتكية (بامرني) وتكية (بريفكان) القادرية. وهذه
التكايأ كانت فى السبعينات من القرن التاسع عشر قد اجتازت
مرحلة البناء وترسخت أسسها.

لم تكن هذه المشيخات رغم قربها جغرافياً بعضها من بعض على
صلات وعلاقات طيبة، وانما كان يغلب على علاقاتها التباعد
والجفاء وبدت كل منها وكأنها تميل الى العزلة والانكماش والانزواء،
ولذلك لم يكن زعمائهم يتبادلون الود. ونعني بصورة خاصة
المشيخات الثلاثة الهامة المتجاورة (بارزان، بجيل، نهري).
وبالاحرى كان ثمة منافسة فيما بينها على اجتذاب القبائل الكردية
كل الى معسكره. ما لبثت هذه المنافسة ان تطورت الى صراع دموى
مريروتناجر جرّ الى اشتباكات دامية خلفت مشاعر كراهية
وبغضاء عميقة لعدة اجيال. هذا المنحى لم يكن يستقيم مع تعاليم
الصوفية ومبادئها الهادفة الى التآخى والتآلف ونبذ الخصومات
والسلم، والامر كله يعود لشخصية وطباع المرشد، أهونزیه
متجرد، أم هو محتال مخادع أناني.

يقول مؤلف كتاب "ميراث الخلفاء الأخير" وهو في ترحال دائم بداية القرن العشرين، مع مجموعته من المساعدين والمترجمين لاستكشاف مجاهل الإمبراطورية العثمانية والتعرف على شعوبها: "التوجه نحو كاتيونا قادنا الى منطقة كثيفة السكان ومزروعة بشكل جيد يسكنها أناس يظهر عليهم الخشونة، وجوه شاحبة ولا يبدوا انهم بصحة جيدة، وذكرني هذا بسكنة ساسون المنكوبين، تقع كاتيونا في فم وادي عريض، وللهولة الأولى عندما يواصل المرء المسير، تبدو انها مجرد قرية صغيرة عديمة الأهمية، لكن بعد المرور بأبنية و برج محصن، تصل فجأة عند منزل صخري مربع كبير جلمودي مصبوغ باللون الأحمر. وهذا المبنى البشع هو مكان اقامة الشيخ العظيم صديق، ابن الشيخ عبيد الله، انه ليس مكان للعيش، ولكن مجرد مستودع للسلاح والبضائع والتبوغ المحظورة وغيرها من أنواع السلع الغير مشروعة والتي ترضي جشع مالكة."¹

ويعلق الرحالة البريطاني بعد مناقشة مع الشيخ صديق: "أراد الشيخ معرفة من سيشتري تبوغه المحظورة، هل ممكن أن يحصل على أسعار جيدة في بومبي؟ هل ممكن ارسالها الى لندن؟ هل الحكومة البريطانية ستشتريها؟ كل هذا وبسذاجة طفولية، كان يظهر أن له هدف واحد في الحياة الا وهو زيادة ثروته كلما أمكن"²

1. Caliphs' last heritage. A short history of the Turkish Empire LT. Col. Sir Mark Sykes. First published in 1915. By Macmillan And Co, London. Garnet Publishing. Page 434-435

2) Ibid. Page 430

الرحالة البريطاني (ويگرام) يؤكد على هذا المنحى المنحرف عن مبادئ الطريقة، هو نفس شيخ نهري "الشيخ محمد صديق" قال: "قبض على الشيخ عبيدالله النهري، والد (محمد صديق) وابنه (قادر) ونفيا الى استنبول، في حين ترك ابنه الثاني (صديق) على رأس القبيلة. وكان هذا الابن أشد مكرماً من والده فقنع بالسلطان الفعلي على عشيرته وجمع ثروة عظيمة من عملية تهريب التبوغ على نطاق واسع. وكان قوافله تدخل إيران ببغالها التي تزيد على المائة متحدية موظف انحصار التبغ (الريجي). ثم وظف جانبا من ارباح تجارته في عقد صفقات شراء بنادق من روسيا وبيعها في أورمية. وان لم يكن الضبط والنظام قويين في معسكرات جنود روسيا التركمانيين فيكون مصدر كثير من البنادق معسكراتهم لأنهم كانوا يقايضونها بزجاجات الفودكا معه.... ولا يذهب دخل الشيخ كله في شراء البنادق، او في رشوة (البخشيش). فقد كتب مرة لواحد من مؤلفي الكتاب طالبا رسالة توصية الى بنك بريطاني قائلاً ان لديه مبالغ من المال يرغب في ايداعها. فزكينا له ببنك او اثنين. ولما كنا نعلم ان سيادته يطلب من البنك فائدة تتراوح بين ١٠٪ و١٥٪ مع اشتراطه سحب الودائع عند الطلب. فقد رجحنا ان القضية لن تؤدي الى نتيجة ما، لكن سرعان ما وجدت بضعة آلاف من الباونات سبيلها فعلاً الى (شارع لومبارد المالي) في لندن. حقا ان امير المهريين هذا كان في سعة من الرزق."

زعيم عصابة تهريب كردي ذو رصيد مالي كبير في انكلترا^(١).
كذلك كان الشيخ (محمد صديق) فهو شيخ وصوفي، وتاجر ومهرب
في نفس الوقت. وبطبيعة الحال كانت الصفتان الاوليتان تسخران
لخدمة الصفتين التاليتين. في الواقع ان هذا الداء الذي ظهرت
اعراضه في مشيخة النهري كان كامنا في كل المشيخات بأستثناء
الفاصل الزمني، فبينما الانحراف يصيب بعضها مبكراً يستمر
الأخر منها على النهج المستقيم لفترة أطول.

واختلفت المشيخات من حيث التطبع على نهج فكري معين،
فكان ثم "مايصح" ان يطلق عليه (المشيخة المتمردة) او
(المشيخة الهادئة) ومن نوع الاخير (مشيخة بجيل) و (مشيخة
بامرني) وغيرها. ذلك لأنها لم تصطدم بمعارضة الاقطاعيين أو
السلطات الحكومية مثلما حصل في بارزان، حيث شغل صراع
الطريقة مع قوى الاقطاع والحكومات فترة طويلة من تاريخها.

ولسلوك الشيوخ الشخصي كما قلنا، تأثير كبير على مجرى
الأحداث. فاختلفهم في فهم وتفسير المعتقدات الصوفية ومدى
تحليلهم بالجرأة والحكمة في مواجهة المشاكل هي عوامل جوهرية في
اعطاء المشيخة طابعها الخاص. نحن نرى الشيخ (محمد صديق
النهري) مثلاً يقود مشيخته في مجرى يناقض الخط الذي سار عليه
والده وجدته، ولذلك ساءت العلاقات في عهده بين مشيخته وبارزان
وحصل التباعد بالرغم من متانة الروابط الروحية الماضية. (تخرج

(١) مهد البشرية ("ترجمة الاستاذ جرجيس فتح الله) : نص ١٥٢ - ١٥٣.

الشيخ عبد السلام الأول في نهري وأجيز هناك). في الواقع ان الشيخ محمد البارزاني وقف عاجزاً فاقد الحيلة امام نزوات (الشيخ محمد صديق) وتصرفاته الشاذة وأبى مسابرة فيها واقارره عليها. وكان يخشى من حصول انشقاق خطير في الطريقة عامة وفيه مافيه من التأثير السىء على سير الاحداث في الزيبار، وهو في الوقت ذاته يعاني من عداء الاقطاعيين أشدّ العداء. فقد كانت نهري أقوى مشيخة كردية معاصرة.

ههواالنامهى كئبب

الفصل الثالث عشر

النزاع بين بجيل وبارزان الاسباب والنتائج

في البدء كانت العلاقة بين مشيختي بجيل وبارزان طيبة. لقد بنى الشيخ محمد بابنه (خليفة) شقيق (الشيخ محمد بجيل) الذي استخلف والده (الشيخ احمد الكبير). (انظر الى شجرة الاسرة في قسم الملاحق).

يذكر الرواة ان (الشيخ محمد البارزاني) كان ينتهز عادة زيارة لصهره (خليفة) كيما يعرج بزيارة للشيخ محمد السورجي صديقه ايام التلمذة في عقرة. وقد شاءت الصدفة ان يتولى الاثنان زعامة المشيخة، أحدهما في بارزان والاخر في بجيل بعد موت والديهما. ويغلب على ظننا انه كان يوجد بعض سوء تفاهم بين الاخوين البجيليين (محمد وخليفة) مما حدا بخليفة صهر الشيخ البارزاني الى طلب اجازة الارشاد من بارزان، فأجيز. وربما زاد هذا من القطيعة بين الاخوين.

كان شيخ بارزان داخل حدود مشيخته بحاجة الى اصدقاء يعتمد عليهم، وقد بدا طبيعيا ان ينشد تلك الصداقة من أقرب المناطق

وبالاحص بجيل التي لايفصل بينها وبين بارزان غير سلسلة جبال (قريشو) كما كان ايضا يطمع بتوطيد علاقاته مع نهري، إلا أن آماله لم تتحقق لمعاكسة سير الاحداث له ويعود مبدأ النزاع بين مشيختي بارزان وجيل الى الحادثة التالية. اقيم في (روقى) وهي قرية يسكنها رؤساء عشيرة الـ(گوران) حفلة رقص مختلط (رهش بهلهك) بمناسبة عقد قران دعا اليه الوجهاء ومن بينهم (محمد حافظ) ابن الشيخ محمد السورجى. وفي اثناء الرقص وقعت عينا (محمد حافظ) على احدى المشاركات في الرقص، فوقع في حبها، وشعرت هي بما يكنه، فبادلته العاطفة ونمت العلاقة مع الايام، وكانت المرأة ذات بعل له مقامة ومكانته في الوسط الـ(گورانى). اخيراً وبعد لقاءات سرّية، اتفقا ان يقوم (محمد حافظ) بخطفها. ولم يكن خطف المرأة المتزوجة عند العرف القبلي بالامر الهين، لانه يعد انتهاكا لأقدس الحرمات. وعلى اية حال سمحت (رهشى) لنفسها بان تُختطف، فتركت دار زوجها ليلا ونزلت من القلعة خلسة حيث كان حبيبها ينتظرها في مشارف القرية، فأسرع واردفها خلفه وانطلق بجواده فغاب في احشاء الظلام. وما لبث الامر ان انكشف، فتوجه زوج المخطوفة (شريف آغا) الى الشيخ محمد السورجى الذي روعته الحادثة واصابته بصدمة مؤلمة. فحاول هذا اقناع ابنه برد الزوجة الى بعلها دون جدوى. وعاد الشيخ محمد السورجى يلتمس من الزوج تسريح المخطوفة بالطلاق مخيرا اياه بين ان يختار لنفسه الفتاة التي يريدها من بين العشيرة او ان يطلب ماشاء من مال، إلا أن شريف آغا رفض رفضاً قاطعاً مقترحات الشيخ.

لابد من الإشارة الى استخدام (المرأة) كوسيلة في نزاعات وثارات القبائل الكردية لتسوية العداوات المستعصية، فتزواج رؤساء القبائل فيما بينهم يهدف الى تشكيل تحالفات تضيفي قوة الى القبيلتين بوجه التهديدات من القبائل الأخرى، وفي هذه الحالة تطيع الفتاة أبويها في تنفيذ مارسم اليها من مخطط، فتعمل على إزالة مصدر التوتر والخصومات وترسيخ مصالح عائلتها وقبيلتها، والجدير بالذكر أن أغوات الزيبار استخدموا هذا الأسلوب مع العائلة البارزانية بعد أن أعيتهم جميع الوسائل الأخرى في الإيقاع بهم، فزوج محمود آغا الزيباري ابنته بملا مصطفى الذي أصبح فيما بعد رئيساً للحزب الديمقراطي الكردستاني في خمسينيات وستينيات القرن العشرين، ولعبت هذه العلاقة دوراً كبيراً في توجهات ملا مصطفى السياسية ووراثة السلطة ومسار الحركة الكردية وبارزان كقيم ومبادئ، فقد كان وثبت هذا فيما بعد انه يمثل الحلقة الأضعف في البنيان البارزاني المتمسك بقيم العدالة ونصرة الفقراء، وبهذا تمكن الاغوات من بلوغ اهدافهم عن طريق (الدبلوماسية الناعمة) ان صح التعبير.^١

(١). للمزيد من التفاصيل يرجى مراجعة كتاب (الحركة التحررية الكردية وصراع القوى الاقليمية والدولية ١٩٨٥ - ١٩٧٥) الجزء الأول، فصل (الولاء المزدوج لرئيس حدك) أيوب بابو بارزاني، الطبعة الرابعة، دار نشر حقائق المشرق، جنيف ٢٠١٧.

شريف آغا رفض الزواج من (فاتنة القبيلة) ولم يعد أمام شيخ السورجيين بعد ان اعيتته جميع المساعي، لجأ الى طرد ابنه وحرّم على القبيلة ايواءه. فلاذ (محمد حافظ وحبيبته بكهف) وصار يعيش عزلة تامة حافلة بالقلق والتوجس من طالبي الثأر (مازال هذا الكهف يسمى باسمه الى يومنا هذا). وفي آخر ربيع تلك السنة احتّمى (محمد حافظ) برفقة قبيلة (الهركى) في رحلتها الصيفية الى مراعيها الجبلية. أسقط في يد شريف آغا وتبين له عجز الـ(گورانيين) عن الثأر له من محمد حافظ لضعف العشيرة بالمقارنة مع السورجيين، فسكت على مضض متربصاً بفرصته وقد جاءت بشكل غير متوقع عندما أقحم الشيخ محمد البارزاني في القضية من حيث لا يريد، فقد ارتأى بعض الفضلاء ان يوسطوه في الامر وزعم بعضهم بان اقارب (شريف آغا) قصدوه في العام ١٨٩١ وطلبوا منه ان يجد حلاً للمشكلة. فافتى بان يفصل الخاطف عن المخطوفة ولو ادى ذلك الى استعمال القوة إن تعذر باللين، وثم ردّ الزوجة الى زوجها شريف آغا.

فأوكل شيخ بارزان تنفيذ الأمر الى بعض خاصته ومنهم (أحمد آغا بيّرساقي). كان الوقت خريفاً وقد نزل الهركيون الرحل لتوهم من منتجعاتهم الصيفية ومعهم (محمد حافظ) في الوادي المعروف بوادي (سوران) واناخوا في موقع منه يعرف اليوم (گرافده لى رومى) القريب من قرية (شاندر) البارزانية. فتبعهم رجال الشيخ وتنكر أحدهم واختلط بالرعاة والقطعان خارج المضارب وتوصل الى ما يريد معرفته من المعلومات. وفي ساعة متأخرة من الليل اقتحموا خيمة

(محمد حافظ) الذي كان يغط في نومه مع (رهشى) فامسكوا بهما
وابلغوهما بان شيخ بارزان قد امرهم باخذهما اليه. ثم وقعت
المأساة.

لقد سجل الشعراء والمغنون^(١) قصة هذا العشق. قصة انتهت
بمأساة وجرت الوبال على البعيدين والقربين منها، مازال الناس
يرددونها شعراً وغناءً حتى يومنا هذا. ومما حفظه الرواة محاوراة
شعرية طويلة على لسان الحبيبين تسرد الوقائع والملابسات من
اولها الى آخرها حتى تنتهي برثاء (رهشى) لحبيبها القليل فتقول -

واحسرتا. في وادي سوران حيث مضارب الخيام

تتناثر فيها البيادر والندوب الغائرة

اقتحموا الخيمة وهجموا على حافظ وهو يغط في نومه.

الطعنة الأولى أتته من (ملاى شكر)

اما الثانية فمن (ملاى طيب)

والثالثة من (مالخوى شاندرى)

وتم تقول رهشى منتحبة في آخر المقطع:

حرام عليّ أن أمرّ في وادي سوران برفقة (الكوجر)^٢ بعد الآن.

يؤكد ذلك ما ذكره الرواة عن الذين قتلوا (حافظاً). لم يكن هؤلاء
مكلفين بقتله ولا راغبين في ذلك. ولكن كان يرافق هؤلاء الثلاثة مريد

(١) ومنهم المغني الشهير (كاويس آغا)

(٢) وتعني قبيلة الهركي الرحالة

من (الزورگقانيين) متهور مندفع، بادر من تلقاء نفسه بطعن (حافظ) طعنة قاتلة، ووضع اصحابه الثلاثة أمام الامر الواقع، فقد وجدوا ان غضب الشيخ سوف ينصب على رفيقهم (الزورگقانى) وحده، فوجدوا ان السبيل الوحيد لتخفيف الوقع عليه هو توزيع المسؤولية بمشاركته، فبادر كل منهم الى غرس خنجره في جسم حافظ الذي كان كما يقول الواقفون على الامر يعالج سكرات الموت على اثر الطعنة الاولى المميته. ولا يعرف ما الذي حدا بالزورگقانى الى هذه الجريمة. والتعليل الاقرب الى المنطق هو اعتقاد القاتل ان الموت هو العقاب الذي يستحقه (محمد حافظ). على اية حال وجد (أحمد بيرساقى) المكلف بالاشراف على تنفيذ اوامر الشيخ والذي كان يرافق هؤلاء الاربعة انه في مركز بالغ الحرج، لانه فشل في السيطرة على تطرف المريدين. ولذلك ثارت ثائرتة عندما علم واعتبر ذلك ازدراء لأوامر شيخ بارزان.

لما علم القتلة بغضب الشيخ، أدركهم رعب عظيم وتواروا عن الانظار. ووقع الشيخ في مأزق، إذ كان أجدى به ان لا يورط نفسه في مسألة لا ناقة له فيها ولا جمل. وهو الان يقف عاجزاً عن تفسير العمل للشيخ محمد السورجى او محاولة الاعتذار منه، إذ كان يدرك جيداً ان الوالد الثاكل لن يقتنع باي تفسير. لقد ادى مقتل (حافظ) الى نزاعات دموية كانت بارزان في غنى عنها ونالت من سمعة الشيخ محمد، انحاز الشيخ السورجى بقبائله القوية الى حلف اعداء بارزان وهم الاغوات، وقد زودهم هذا الانحياز بمبررات وحجج جديدة، فنشطت دعوتهم من جديد بانحراف شيخ بارزان عن سبيل الطريقة

القويم، حتى ان شيخ بجيل أصبح من اعدائه مع وجود رابطة المصاهرة بينهما والانتماء الى نفس الطريقة.

وتسرّبت الخصومة بثياب العقيدة واصول ممارسة الطريقة وأصبح بغض مريد هذه المشيخة للاخرى معياراً لا خلاصة لمشيخته نفسها. وتفاقم الامر بحيث انه كان يكفي ان يظهر البارزاني بعمامته الحمراء لتثور اعصاب السورجى ويتهيج الى حد الوثوب عليه والاشتباك معه في قتال دموي مثلما كان يحصل للبارزاني عندما يلمح عمامة السورجى السوداء.

وبدء شيخ بجيل يوجه حملات تاديبية وانتقامية ضد عدد من اعوان شيخ بارزان راح ضحيتها كل من (مالخو شاندرى - أحد المشاركين في قتل حافظ) و (عثمان ايسومرى)^(١) وكلاهما من ذوي المكانة في نزار. فساد الرعب بين أهالى القرى البارزانية المتاخمة وأصبح يتعذر على الرعاة والمزارعين الابتعاد عن حدود قراهم لمباشرة عملهم اليومي خوفاً من رصاصة تطلق عليهم او كمين ينصبه إحدى المفارز السورجية. ثم اكتشفت مؤامرة لاغتيال شيخ بارزان، إذ أرسل فدائي سورجى الى تكية بارزان مدعياً انه (طالب توبة) لكن أنصار الشيخ شكوا فيه ووضعوه تحت المراقبة، ولما ضيقوا عليه وأيقن بان امره افتضح حاول الهرب باتجاه البساتين، وكاد يفلت من المطاردين لولا امرأة يهودية دلتهم على مخبئه

(١) قتل عثمان ايسومرى وهو في اعلى شجرة منشغل بقطف العفص خارج قريته (ايسومرا) برصاص احدى مفارز السورجيين.

والاتجاه الذي سلكه. فادركوه وهو مختف في خرج فأطلقوا عليه النار واصابوه واكتشفوا مسدسا كان يحمله في طيات ثيابه لتنفيذ ما أو كل له تنفيذه.

وفي (نزار) توقفت الحياة اليومية تقريبا وأصبح الابتعاد عن تخوم القرية بالماشية وقطعان الغنم غير مأمون. وبنتيجة ذلك عملت كل قرية على اتخاذ احتياطات أمنية لردّ أي هجوم مباغت. واستهدفت بلدة (عقرة) مركز تسويق البارزانيين الرئيس الى شبه حصار، إذ أصبح طريق مرور قوافل البارزانيين اليها محفوفًا بالمخاطر.

ذكرنا ان شيخ بارزان تألم كثيرا لمقتل (حافظ) وقد سُمع وهو يقول لاحمد آغا بيرساقى الذي جاء بالمخطوفة الى بارزان ثم ردّت الى زوجها - : " اما أنا أو أنت. أحدنا سيكون ثمنا لدم حافظ". وبكت زوجة شيخ بارزان عندما علمت بمقتل ابن عمها.

دام التعرض المسلح زمنًا قبل ان يأتي الردّ من البارزانيين. وباشروا في الردّ عندما تجاوز السورجيين الحدود التقليدية المرسومة عرفا للاخذ بثأرهم. فتطرفوا كثيرا في عملياتهم الانتقامية.

كان موقف (خليفة) صهر (شيخ بارزان) عسيرا. على انه توفي قبل ان يشاهد بعينه مقره ومقر اولاده من بعده يُهاجم من قبل ابناء العمومة الذين كادوا يستولون على قرية (كولكان) لولا النجدة التي جاءتهم من الهركيين بقيادة (حاجى آغا الهركى) زعيم العشيرة.

الفصل الرابع عشر

الاشتباكات في كهلات وبجيل

وفي عام ١٨٩٢ وبعد ان ازادت غارات مغاز السورجيين على قرى البارزانيين. اجتمع هؤلاء لبحث الوضع، وارتأى معظم اعوان الشيخ مواجهة القوة وايقاف العنف باستخدام العنف. ويؤكد الرواة الذين ننقل عنهم ان الشيخ محمد بقي يعارض هذه الفكرة. فتألفت قوة من محاربي بارزان انقسمت الى رتلين اولهما كان بقيادة (فقى عبدالرحمن)^(١) و (وسمان آغا) مهمتها الاستيلاء على (بجيل) وثانيهما بقيادة كل من (ملا شكر) و (حجي حيدر) مهمتها احتلال (كهلات) وجرى التنفيذ بالدقة والسرية اللتين طبعتا فيما بعد سائر عمليات البارزانيين العسكرية وانتفاضاتهم ضد السلطة.

وجد (فقى عبد الرحمن) من الافضل التركيز على قصر الشيخ مقره في بجيل فاحتلاله كفيل بانهاء المقاومة وضمن الاستسلام السريع وتجنيب الطرفين الخسائر. في حين ظن قائد الرتل الثاني (حجي حيدر) ان (كهلات) غير محصنة وان بإمكانه احتلالها بهجوم مباغت. وبالفعل لم

(١) كان هذا قد درس على يد الشيخ عبد السلام وهو في آستة، قائد مرموق ذاع صيته، ولعب دوراً بارزاً في عهدي الشيخ محمد والشيخ عبدالسلام.

يشعر أحد باقتراب قوة (فقى عبد الرحمن) واحاطتها بالقصر ليلا وكانت الابواب موصدة، فانتظر فرصته بخروج خادمة من القصر فادركها وكم فمها ودخل الحصن بعدد من رجاله. الا انهم لم يجدوا الشيخ السورجي فيه وانما كان ثم ابنه (قيوم) وطمأن القائد الاسرى على حياتهم وقد اذهلتهم الصدمة - مؤكدا لهم انه ليس في النية الاعتداء على أحد ولا ارتكاب اعمال تأرية. على ان احتلال القصر بهذه السهولة لم يؤدي الى النتيجة المبتغاة. فقد تعذر على (فقى عبدالرحمن) الانسحاب من القصر بالرهائن، وفشلت بقية القوة التي تركت خارج القصر مبعوثين في انحاء القرية في السيطرة على القرية وتحقيق الاتصال من ثم حماية القوة عند انسحابها من القصر. فلم ير (فقى عبدالرحمن) مخرجا الا التحصن داخل القصر الذي اصبح الان مطوقا باهالى القرية وهم نهب للقلق والتساؤلات حول مصير اسرة الشيخ. وقاتل السورجيون باصرار وعناد وصمد المحاصرون في القصر امام الهجمات المتواصلة. بقي الوضع على هذه الصورة الى ان حضر (الشيخ السورجي) وكان مترددا وجلا لا يستقر على راي مخافة ان يفقد ابنا ثانيا فيما لو انصاع الى رأي الذين اقترحوا عليه اشعال النار في القصر لاجبار المحصورين على الاستسلام او حرق من فيه مؤكدا للشيخ ان المهاجمين قد قضوا على اسرته. إلا أن الشيخ أحب ان يتأكد من بقاء ابنه في قيد الحياة، فطلب من المحصورين ان يقدموا برهانا، فتقدم الشيخ قيوم واخرج يده من النافذة ملوحا بها الى والده، فصرف النظر عن احراق القصر. وفشلت محاولة تالية لاقتحام القصر عندما علا السورجيون سطح البناء وباشروا بازاحة التراب لثقب السقف ومباغطة

القوة المحصورة، إلا أن هؤلاء فطنوا الى العملية فتربصوا بالحفارين حتى إذا ظهرت فتحة من السقف، بادر القناص البباني المشهور (محمد شيخ يزدین) باطلاق النار فنزف دم وانساب من الفتحة وفشلت العملية بعد وقوع ضحايا، ومضى اليوم الثاني دون ان يهتدى الطرفان الى وسيلة يحقق بها كلُّ غرضه. واضطر (فقی عبد الرحمن) الى ان يصدر لرجاله امرا بعدم إطلاق اية رصاصة الا عند الضرورة القصوى بعد ان كاد عتادهم ينفذ. اما في كهلات فقد خسر الرتل الثاني عامل المباغثة. هوجمت القرية في عين الوقت الذي بدأ فيه الهجوم على قصر بجيل، إلا أن المدافعين عن القرية كانوا مستعدين لهم، ففوجيء المهاجمون بنار كثيفة ومقاومة عنيدة. ومما زاد في الطين بلة، ان فريقاً مهتم نسي المهمة الاصلية وانصرف الى السلب والنهب، فاستاق مواشي القرية والقطعان، فعاقبتهم عن الانسحاب في الوقت المناسب وانتهز السورجيون الفرصة يستقدمون النجدات من القرى المجاورة، وزاد الوضع حراجة وسقط كثير من القتلى من بينهم قائد الحملة (ملا شكر وحجي حيدر). وقتل ابن الثاني منهما ايضاً وبلغ عدد القتلى اثنين وعشرين، وهو عدد مقارب لقتلى السورجيين في تلك المعركة.

ماكان الشيخ البارزاني يتصور نتيجة كهذه ولا كان مستعدا لتلقى انبائها المحزنة. وأيقن انه مالم يقدم على عمل سريع فان رجاله سيقضى عليهم جميعا في (كهلاتي) لاسيما وان القوة المدافعة عنها ستتوجه بعد دحر القوة البارزانية والقضاء عليها- الى بجيل حيث يمضي القائد فقی عبد الرحمن مع رجاله اخرج ساعات حياتهم. وغمر بارزان شعور باليأس من امكانية عودة ذويهم أحياء.

تم تأليف قوة بقيادة (محمد امين بابسيقي) و (احمد اغا بيرسيقي) تطوع فيها عدد كبير من المتحمسين وعبروا الزاب باتجاه جبل (قريشو) وكان قوام قوة (احمد آغا) من عشيرة الشيراووني وقوام قوة (محمد امين بابسيقي) من عشيرة المزوري.

حسنت المعركة في (كهلات) بآبادة القوات البارزانية وأسرع السورجيون المنتصرون الى بجيل لنجدة اخوانهم وتشديد الحصار. واعلموا (فقي عبد الرحمن) بان قوة (ملا شكر) و (حجي حيدر) قد تم القضاء عليها وعرضوا عليه الاستسلام ونشروا امامه ثياب القائدين القتيلين في معركة (كهلاتي) إلا أنه رفض ذلك ومضى اليوم الثالث بليله. وصلت النجدة البارزانية مشارف بجيل واشتبكت فوراً في معركة عنيفة مع السورجيين اسفرت عن هزيمة الاخرين وتخليهم عن محاصرة القصر، فخرج المحصورون ومعهم رهينتهم (الشيخ قيوم) وانسحبت القوة جميعاً الى بارزان. ولما لم يكن من مخطط (الشيخ محمد البارزاني) الانتقام، إذ بادر فوراً باعادة الشيخ قيوم الى والده مكرماً ومحاطاً بالرعاية، الامر الذي يؤكد عدم رغبته من البداية في اللجوء الى الحل العسكري لفض النزاع بين المشيختين.

لا شك ان مقتل اثنين وعشرين بارزانياً كان كافياً لاهدار دم (الشيخ قيوم) إلا أن البارزانيين الذين كانوا يطمعون في غفران الشيخ للحماقة التي ارتكبوها لم يعترضوا على رد الابن الى ابيه. ومما يجدر ذكره ان هذه البادرة خلفت اثراً عميقاً في نفس (قيوم) فقد بقي طوال عمره وبالرغم من النزاعات الدموية التالية بين المشيختين يكن وداً للبارزانيين.

الفصل الخامس عشر

الحلف ضد بارزان وعودة النفوذ

لاغوات الزيبار

انتعشت آمال اغوات الزيبار باستحكام الخلاف بين مشيختي بارزان وبجيل، وكانوا يتابعون بعطف على السورجيين مجرى المعارك ويقدمون من تلقاء أنفسهم على مساعدتهم، من ذلك ان اغوات (ههرنى) ساعدوا عددا من المفارز السورجية فى ضرب قرية (صفتى) التى تقطنها غالبية موالية لشيخ بارزان وسلب مواشيها واغنامها. لذلك وعلى اثر عودة الشيخ قيوم فى صيف العام ١٨٩٣، توجه عدد من اغوات الزيباريين الى الشيخ محمد السورجي للتحالف على خطة عمل مشتركة تتم بها تصفية مشيخة بارزان. ونحى جانبا امر المجابهة المسلحة وفضلوا الجنوح الى الوقية والدس. ثم انهم شدوا الرحال جميعا الى الشيخ (محمد صديق النهري) فى حكارى، وكان معترفا له بالرئاسة من اغلبيية القبائل الكردية. واستعد الشيخ محمد السورجي للمناسبة فنظم شكواه وظلامته بقصيدة انشأها فى حضرة شيخ نهري جاء فيها:

توى د پرسی ل حهقى

توى صدىقى صادقى

تهمبى دكهى ناحهقى

تو سهيدى مطلقى

وترجمتها:

انت الحريص على الحق

انت الصديق الصدوق

انت مؤدب المارقين

انت السيد المطلق

وعرضت قائمة طويلة بجرائم الشيخ البارزاني، منها الانحراف بالطريقة عن تعاليمها الصحيحة. وقيام باعتداءات مسلحة (بشهادة الشهود الحاضرين من اغوات الزيبان). واعمال السلب والسطو بتواريخها، وتهديد تخوم المشيخة السورجيه باعمال الفوضى والشغب، وحذر الشيخ السورجى فى قصيدته من مغبة ترك الحبل على الغارب لشيخ بارزان، ولمحت الى ان ذلك قد يهدد نفوذ مشيخة الشيخ النهري نفسه بل ربما كان هدف شيخ بارزان الاستظهار عليه. وصادف كل ذلك هوى فى نفس محمد صديق. فبادر فى العام نفسه الى استدعاء الشيخ محمد الى (كاتيوننا) مصيفه. إلا أن أصدقاء الشيخ فى نهري حذروه من نوايا (محمد صديق) واكدوا له ان فى الامر مكيدة وفخاً منصوباً، وسعوا لاقناعه باهمال الدعوة. وفي بارزان تألفت رابطة تهدف الى منع الشيخ من الذهاب ولو بالقوة، مبدين استعدادهم لتحمل التبعات والنتائج. كان الشيخ يعلم ان رفضه الدعوة سيثير غضب شيخ نهري الواسع السلطان والنفوذ، فيتخذ من الامر ذريعة للاغارة بقواته المتفوقة على بارزان وقراها ومن ثم احتلالها وتعريضها للخراب. كما كان يدرك فى الوقت نفسه

ان ما ينتظره هناك ليس بالشيء الذي يجب. ومن هنا صحت عزيمته على تلبية الدعوة لعله يجد اذنا صاغية من شيخ نهري حين يطلعه على الحقائق التي شوها اعداؤه.

شد الشيخ الرحال الى (كاتيونا) ولما ارادت (الرابطة) الوقوف فى سبيله، أدركه الغضب الشديد واخذ يعنفهم ويوجه إليهم قارص القول، فنكصوا على اعقابهم وتركوه، الا انهم صاروا يتعقبونه بقوة مسلحة دون علم منه لحمايته. فقد كان قلقهم عليه عظيماً.

وفى (كاتيونا) وقبل مثوله امام (الشيخ محمد صديق) اتصل به اصدقاؤه سراً ونصحوه بعدم رؤية الشيخ والعودة من حيث أتى، إلا أنه لم يتحول عن قراره وقصد مجلس الشيخ ولم يستقر به المقام حتى شعر بالجو الخانق من الجفاء والبرودة. وبدا شيخ نهري عبوساً فظاً وراح يهدد عدة مرات بأنه سيسحب إجازة الارشاد من ضيفه، وأدرك شيخ بارزان ان الامر قد بت فيه قبل حضوره وان الحكم قد صدر عليه بغيابه وأبرم. ولم يكن استدعاؤه لغرض استيضاح الحقيقة وانما لاجل تفهيمه بالحكم. وراقب الشيخ اتباعه وهم يجردون من أسلحتهم. ولما لاحظ تمنعاً من بعضهم انتهرهم وامرهم بالرضوخ. وامر الشيخ نهري بأن يؤخذ البارزانى مع نفر من اتباعه الى (بدليس) حيث اودعوا سجن الحكومة العثمانية... لقد افهم شيخ نهري موظفى الدولة بأن المقبوض عليه مجرم سفاك وله تاريخ حافل بالشغب وأعمال الاعتداء، فلم يعترض القائمون بالامر هناك واطاعوه كأنما ينفذون امراً صادراً من جهة رسمية مسؤولة.

ان الدولة العثمانية لم تكن لترد طلبا لشيخ محمد صديق حتى ان الرحالة (ويگرام) يذكر كيف كان يتصرف فى منطقته، تصرف الحاكم المطلق ويقوم بتطبيق ادارته الخاصة عوضا عن ادارة الدولة ("فى نهري - نايرى يوجد (قائمقام) تركى مع مفتش انحصار التبغ، اسكنهما محمد صديق فى بيت جميل بناه من ارباح تجارته التي كان من واجب وظيفتهما ايقافها عند حد. الا ان هذين الحيوانين الاليفين تم تدجينهما تماما"^(١)).

في الحقيقة كان شيخ نهري قلقاً من بزوغ نجم بارزان، لذلك اتخذ شكوى الغير علة لتنفيذ مآربه وهو القضاء على مشيخة بارزان. كما قصد افهام الشيوخ المحليين الآخرين بأنه صاحب السلطة العليا فى المنطقة وشيخ الشيوخ كلهم.

بايداع شيخ بارزان السجن تحقق حلم الاغوات الكبير وعاد رجال الحلف مرتاحين مقتنعين بأن ابعاد شيخ بارزان عن المنطقة كفيل باعادة نفوذهم واستعادة سلطانهم المتقوض على القرى التي انحازت الى الشيخ. وفعلا بسطوا ايديهم ثانية على قرى الزيبار وشرعوا يعتصرون مواردها ويسخرون اهاليها، وعانى اعوان الشيخ ومريدوه كثيرا من العنت والظلم وتعرضوا لتدابير انتقامية وتأريية. وأعاد (فتاح آغا) كالسابق وكلاءه على القرى، على ان آل (مصطفى آغا) اغوات (بيره كهپره) وهم من اقرباء اغوات (ههرنى) لم يحركوا

(١) مهد البشرية، ص ١٥٣

ساكننا ولم يشاركوا، فقد كانوا أضعف واقل نفوذاً من اقربائهم الـ
(ههرنين). ولذلك بقيت للاحرين اليد العليا.

في تسعينات القرن التاسع عشر تردد اسما (حسن آغا) و (محمد
آغا) من اغوات آل مصطفى، ويظهر انهما كانا معاصرين لكل من
الشيخ محمد البارزاني وفتح آغا الزيباري.

واضطر الزيباريون بعامل الظروف ان يخدموا اسيادهم الجدد ظاهريا
دون ان يطرأ أي تغيير على ولائهم القديم في غياب شيخهم الذي شاع
حول مصيره مختلف الشائعات حتى ظن القوم إن أمره انتهى.

ههروالنامهي كتيب

الفصل السادس عشر

بعد السجن

العودة

ان قيام السلطات التركية باعتقال شيخ بارزان وايداعه السجن. كان جزء لا يتجزأ من سياسة دأبت على اتباعها فى مختلف ارجاء امبرطوريته، تلك الامبراطورية المتداعية التى عجزت إدارتها وجهازها القضائي عن ضبطها. تقضي هذه السياسة بتحاشي تقوية اي زعيم محلي على حساب جيرانه والمحافظة على الموازنة بين الزعماء المتجاورين وعدم تشجيع أحد منهم الى الحد الذي يمكنه من السيطرة عليهم ليصبح خطرا على نفوذها هي في المنطقة. ولهذا فمع الفوضى والتسيب اللذين يحكمان تصرفاتها الادارية، كانت تدرك اهمية الموازنة وأثرها فى المحافظة على هيبة موظفيها ومن ثم هيبتها. لذلك كان لا بد من ان تعتمد الى ايقاف سلطان (نهري)، إذ مازالت ذكرى ثورة (بدر خان بك البوتانى) فى اربعينيات القرن التاسع عشر بقصد الانسلاخ وتكوين كيان كردي لانها القت الحبل على الغارب له ولم تعتمد من البداية الى الحد من نفوذه - مازالت هذه الذكرى ماثلة لها. كما وأنها مازالت تشعر بمرارة ثورة الشيخ عبيد

الله النهري في ١٨٨٠ لأنها لم تكن يقظة بما فيه الكفاية لتقليم
اظافر الثائر قبل فوات الاوان. فلم تشعر إلا وقد خرج عليها بجيش
كامل العدة واستولى على مساحات مترامية من كردستان مخططا
للاستقلال. لقد كانت سياسة التوازن بين نفوذ الشيوخ المحليين هي
التي أطلقت سراح شيخ بارزان. ولم يكن الاعتذار منه وعرض المال
عليه إلا إشارة غير مباشرة لشيخ نهري، الهدف منها إفهامه بأن
لنفوذه حدودا يقف عندها ولا يتعداها. هذا فضلا عن تلقين الجميع
درسا في ان الحكومة العثمانية ليست بالغافلة عما يحصل هناك.
وبمختصر القول، انها لم تسجن الشيخ لذنوب الصقته به كما لم تحترم
ارادة شيخ نهري لانها تكن الود له او ثقة منها بولائه لها، بل فعلت
كل ذلك تمشيا مع سياستها وحرصا على مصالحها الخاصة.

بقي الشيخ سجيناً في ولاية بدليس حتى نهاية الربيع لعام ١٨٩٤.
وبعد ان أتيح له أن يفهم المسؤولين الترك الاسباب التي كمنت وراء
اعتقاله تم إطلاق سراحه. ولم يكذباً عودته يصل الزيبار، حتى عمت
الفرحة الاتباع وقد علموا انه مر ببادينان بحماية قوة من الجندرية
وانه رفض منحة مالية عرضتها عليها الدولة وكان هذا لهم دليل على
عودة مشرفة مقرونه برضا الدولة واعادة الاعتبار له.

أرسل الشيخ محمد كلا من (ملا سمايل) و (رسول ساكي) و (ملا
صالح بيبي) الى منطقة بارزان لأعلان خبر قدومه، وكان (خالد خمو) مع
جماعة من الرجال قد سبقوا اليه. وبلغ الرسل الثلاثة بارزان فخرج
الشيروانيون كلهم للقاءه، حتى ان بعض القرى واجهت ازمة قوت لكثرة

المستقبلين. وفي العمادية التقى بطلائعهم، وتوقف في بادينان و زار شيوخها شارحا لهم ظروف اعتقاله. وفي قرية بارزان احتشدت جموع القرويين في الساحة الكبيرة المعروفة به (ميدان) ورفع المسلحون بنادقهم وأطلقوا النار في الهواء تعبيرا عن فرحة اللقاء.

تبلور الصراع

توارت الاشاعات في الفترة التي تلت عودة الشيخ بارزان عن تحالف (نهري- بجيلي). وقيل ان شيخ بجيل وعد (محمد صديق) بقطع من الغنم مقابل القضاء على شيخ بارزان. ثم تلقى شيخ بارزان دعوة اخرى من (شيخ نهري) للحضور ومواجهته في (هورى) وجاء في رسالته انه سيكون بانتظاره هناك للمداولة الرامية الى تصفية المشاكل الراهنة والحيلولة دون تدهور الوضع. ولم يتردد الشيخ البارزاني من تلبية الدعوة رغم شكوكه. فغادر بارزان بحماية قوة كبيرة. الا انه لم يجد الشيخ النهري في مكان المضروب بل كان ثمة ممثلون عنه تساندهم قوة مسلحة، إلا أن المسلحين البارزانيين أحبطوا المحاولة (ان وجدت) بتطويقهم المحل، فاضطر هؤلاء الى المسايرة والملاينة وقالوا انهم تقدموا شيخهم لأجل استقباله وان (محمد صديق) هو الآن في قرية (بيندرو) المزورية بانتظار وصوله. بهذه اتسع الشق بين بارزان و (نهري) وسرت عدوى خصومة بارزان الى (ههرنى وبيره كه پره وبيجيل ونهري) لتؤلف أكبر حلف قبلي ضد بارزان.

الفصل السابع عشر

قوات الحلف تغزو بارزان

في صيف ١٨٩٥ عقد اوسع حلف قبلي ضد المشيخة البارزانية. وعمد الاغوات بزعامة شيخ نهري وبجيل الى ضم قبائل أخرى وجرها الى الحلبة. وهي قبائل لم يسبق لها علاقة مباشرة بالنزاع مثل قبيلة (الهورماريين) بزعامة (سيتو) و (الريكانيين) بزعامة (تتو) و (البرادوستيين) بقيادة (محمد شريف) فضلا عن رؤساء الزيبار والشيروان والمزوري الذين انقض عنهم معظم اتباعهم وبالتالي فقدوا نفوذهم بسبب انتشار الطريقة النقشبندية بين رعاياها. وتزعم الحلف (محمد صديق) الذي تدين له قبائل شمدينان كلها بالطاعة. كان الهدف القضاء النهائي على مشيخة بارزان بهجوم عام هدفه احتلال منطقة بارزان كلها. فتزحف قبائل شمدينان من الشمال الشرقي بينما تنطلق العشائر الاخرى بحكم الموقع الجغرافي لتطويق المنطقة من الجهات الاخرى وتضيق حلقة التطويق تدريجيا باحتلال القرى التي تقف فاصلا بينها وبين قوات شمدينان. لقد وصلت انباء الاستعدادات الحربية الى شيخ بارزان، فلم يحرك ساكنا ولم يأمر بتدابير مضادة، بل كان بعد يأمل في تفاهم يعقبه سلام دائم، وصرح بأنه لا ينوي المقاومة. لكن الحلف

كان قد قرر البدء بالهجوم فى شهر رمضان وتطايرت الاشاعات عن مدى الاستعدادات وحجم القوات التي ستشارك، وأنتاب الذعر تلك القرى التي كانت قد تنكرت لرؤسائها واغواتها او طردتهم، ومنها قرية (بيدارون) التي تعرضت أكثر من مرة لنقمة اغوات الشيروان وراح ضحيتها أنفـس كثيرة^(١).

أسقط فى يد الشيخ وأدرك ان المقاومة لا تجدي والمعركة غير متكافئة ومعروفة النتيجة، فأثر مغادرة القرية كيلا لا يزيد وجوده الامور تعقيدا. ترك (بارزان) مشيعا بالبكاء ووصل (گركى جهوى) فلقية رعاة فى (ساليكا) وعرضوا عليه ان يرافقه ويتركوا قطعانهم، فأبى وعبر النهر باتجاه (سهري مهزنا) ومعه عدد من الاعوان الذين التحقوا به خوفا من ان يتعرضوا الى انتقام شخصي. وبادر أهالي القرى يعرضون الدخالة على القبائل الزاحفة حقنا لدمائهم وصونا لممتلكاتهم. اعترض (احمد آغا بيړسياقى) سبيل شيخه اثناء مروره بقرى الشيروانيين والح بأن يقبله رفيق منفى، فأبى وامره بالبقاء والعمل على الاتصال بشيخ نهري والتفاهم معه،

(١) فى عام ١٨٨٧ كانت هذه القرية موالية للشيخ، تعيش فى سلام ودعة فأذا بها ذات يوم تستيقظ على ازيز الطلقات النارية تنهال عليها من كل جهة بهجوم كان يقوده (مير ملا) كان قد طوقها ثم اقتحمها واحرق منازلها واستاق مواشيها وقتل ثلاثة من رجالها وجرح امرأة بعد ان هرب سكانها الى الجبال. ولم يتركها (مير ملا) الا خرابا ورمادا.

فعاد احمد آغا ادراجہ مستاء و مترددا من مواجهة شيخ نهري، لا سيما وانه كان قد علم بسعي بعض رؤوساء الشيروانيين ضده^(١).

ترك الشيخ محمد منطقة الشيروانيين ومر بـ(بالكيان) حتى بلغ (رواندون) التي كانت مركز ناحية وفيها موظفون اترك وحامية، فحل ضيفا على علماء دينها.

اكتسحت القبائل المتحالفة منطقة الشيخ طولا وعرضا، ووقع بعض الذين كانوا قد هموا بمرافقة الشيخ في يد القوات الزاحفة المتحالفة فسلبتهم قطعانهم ومواشيهم. وفي (رهژوكهرا) تصدى (اوديش السيلكى) للقوات المتوجهة نحو قبيلة مزوري لاحتلالها فحصلت مناوشة قتل فيها اثنان من شمدينان ولقي (اوديش) مصرعه كما قتلت امرأة.

عادت القرى ترزح تحت نيران القوات المتحالفة وعاد الاستغلال والظلم وفرضت السخرة مجددا، وقام المحتلون بنصب اداراتهم فأخذ (قاسم آغا) رئيس أحد فصائل شمدينان من قرية (بان) مقرراً

(١) غادر احمد بييرسياقى قريته متوجها الى شيخ نهري وفى طريقه اليه اشار عليه (ملا ابراهيم بيسكى) و (بدر خان بنافوكى) ان يعود ادراجة والا فهو مقتول لا محالة. فلم يصغ اليهما ومضى لطيطته فبلغ (نهري) فأمر الشيخ بحبسه فى اسطبل حيواناته تحقيرا له، وبعد ثلاثة ايام استدعاه وطلب منه ان يقسم يمين الولاء كما فعل غيره من الوجهاء ومقدمى القرى، فأبى ذلك وصرح بشجاعة انه موال للشيخ محمد وانه لا يرد ان يمس القرآن كذبا. فوقف شيخ نهري حائر امام شجاعته واخلاصه ولم يسعه الا ان يعيده الى قريته دون ان يمسه بسوء.

له واوكلت ادارة مناطق اخرى الى الاغوات بأشراف ممثلى (شيخ نهري) واستدعى جميع مختاري القرى ومقدميها ووجهائها تباعا ليقسموا يمين الولاء لشيخ نهري، واحضر بعض الناس وطلب منهم الادلاء بمعلوماتهم عن ممتلكات الشيخ فلم يعثروا بعد تحقيق وتحر طويلين الا على بغل واحد، فصادروه.

اثقلت القبائل المحتلة كاهل القرويين، ان فرضت عليهم اعاشة وتموين المحتلين وسخروهم فى مختلف الاعمال، فزادت كراهيتهم واشتد مقتهم.

باحتيال شيخ نهري بارزان ومناطق حليفاتها وتروؤسه الحلف، اتسعت دائرة نفوذه فى نهاية العقد الاخير من القرن التاسع عشر لتشمل كل منطقة الزيبار التى كانت فيما مضى جزء من الامارة البابانية. واثبت وكلاؤه فى الكثير من القرى بأنهم لا يمثلون مشيخة دينية، بل هم مجرد وكلاء جباية وادارة وفرض اتاوة. وقسمت مناطق النفوذ بين الاغوات الصغار، فكان لاغوات المزورى والشيروان والزيبار حصة الاسد. فى تلك الاثناء كان شيخ بارزان وهو فى منفاه الاختياري (رواندون) يتابع ما يجرى فى بلاده بقلب كسير يديم زيارته واتصالاته ببعض شيوخ المنطقة الدينيين وزعمائها شارحاً لهم الحالة.

الفصل الثامن عشر

الخلاف بين أطراف الحلف الشمديناني

وانتفاضة العام ١٨٩٥

مضى الصيف واقبل الخريف والقوات المحتلة ماتزال متخذقة في المنطقة. إلا أن الخلاف سرعان ما دب بين الاقطاعيين رؤساء عشائر الزيبار (فتاح آغا هرني) و (آل مصطفى آغا) واغوات شيروان ومزوري من جهة وبين وكلاء شيخ نهري من جهة أخرى، فهؤلاء الاخرون وبتوصية من شيخ نهري نفسه عمدوا الى الاستئثار بخيرات المنطقة واستنزاف مواردها دون ان يتيحوا المجال للاولين او يتركوا لهم سهما واخذ التضامن يفقد قوته تدريجياً، ثم ان شيخ نهري خص فتاح آغا هرني ببعض الامتيازات فنقم عليه آل مصطفى آغا وخاصموا قريبهم فتاح آغا. وبرز من آل مصطفى حسن آغا ومحمد آغا يناصبانه العدا، وفي شيروان حاول شيخ نهري ان يمتلك لنفسه جزء من سهول (گرکه بهن) الخصبة، فاثار حفيظة اغواتها. وامتدت يد شيخ نهري بعد بارزان الى تخوم (بجيل) فثارت الشكوك في نيات الشيخ النهري الحقيقية لدى شيوخ المنطقة وكرهوا تواجد القوات النهرية على حدودهم. وشعر الاغوات ان شيخ نهري ينوى البقاء الى ماشاء الله عندما أرسل قطعانا كبيرة من غنمه الى المشاتي الممتازة

في (بهروژ) للمرعى. فزاد ذلك من قلقهم. لقد أمضت (قوات شيخ نهري) في تلك الربوع سبعة أشهر تزايد خلالها الشعور بالاختناق الاقتصادي وارتفع الاستياء والتذمر وبرم الجميع بالحالة رعية واغوات واخذوا يتمنون انسحاب هذا الجيش باسرع وقت.

انتفاضة ١٨٩٥

لم تكن الدولة العثمانية مستعدة باية حال لتجريد حملة في سبيل الدفاع عن حقوق أهالي بضع وعشرين قرية معزولة. ولم تكن وضعها يحملها على التدخل في نزاعات محلية وهي غارقة حتى ذقنها في حروب استقلال بلاد البلقان. فضلا عن أنه لاخطر من هذه الاحداث على هيبتها او كيانها. ولا شك ان شيخ بارزان وهو في منفاه كان يدرك ذلك تماما. وانه توصل الى ان لاسبيل لإزاحة الكابوس الجاثم على المنطقة إلا باستخدام القوة. وان لا أحد غيره يستطيع تعبئة مثل هذه القوة. فشرع يتصل سراً بانصاره واصدقائه ومريديه وما عتمت ان تبلورت نواة لقوات التحرير من الانصار والتلاميذ والملتحقين الهاريين من ظلم الاغوات. وبدء التعرض المسلح لهذه القوات بان تسللت وحدة الى قلب بارزان دون ان يشعر بهذا المحتلون بوصفها الهدف الاول الى جانب قرية (بالندا)، الا ان يقظة قوات نهري وتفوقه العددي حال دون نجاح الهجوم واضطرت القوة الى الانسحاب. لقد حقق هذا الهجوم رغم فشله نصرا معنويا بما أحياه من امل في القلوب اليائسة وما اشاعه من خوف في نفوس الاغوات، فبادروا الى اتخاذ احتياطات الدفاع وارسال

الكشافة لرصد تحركات القوات البارزانية وتعقيبها وتضييق الحصار عليها. حتى انها اضطرت الى الانسحاب باتجاه (بله ژيرى) حيث كان من الطبيعي ان يعلم الاخوان حسن آغا ومحمد آغا بوجودها وكلاهما كان من فريق المتذمرين الحاقدين على (فتاح آغا) لاستئثاره بالحظوة عند (الشيخ محمد صديق) وبالامتيازات دونهما، فقرر ان ينحازا الى الجانب الاخر وبعثا برسول موثوق هو أحد اتباع الشيخ البارزاني المقربين يعرضان موالاتهما. وكدليل على الرغبة وحسن النية عرض حسن آغا على القوة اتخاذ قرئته (بيره كه بره) وهي من أفضل المواقع الاستراتيجية مقرا علنياً لقوات بارزان.

تقع (بيره كه بره) في أسفل سفح جبل (بيرس) الشرقي وتبعد عن الزاب مسافة ستة كيلو مترات تقريبا وفيها قصر الاغا وقلعته الحجرية المنيعة. وعندما تم الاتفاق عبرت قوة الشيخ نهر الزاب، دخلت القرية وتحصنت فيها مختزنة كميات كبيرة من البارود ومؤونة كافية استعدادا لحصار محتمل طويل الامد. وقد صدق حدسها، اذ سرعان ما وجدت نفسها داخل طوق من القوات الشمديناية وأنصار فتاح آغا المحليين. وكان على رأس القوة البارزانية رجال مشهود لهم بالكفاءة والشجاعة منهم (فقى عبد الرحمن) و (حاجكى جهمى) و (سليمان وسمان آغا) والاخير ينتمي الى طبقة الاغوات، انسلخ عن جلده الطبقي واقتبل الطريقة من بارزان وأخلص للشيخ.

بدء الاشتباك في شهر ايار ١٨٩٦ بهجمة قوات الحلف على مواقع المدافعين باعداد كبيرة فصدت. وبعد ثلاثة ايام تجدد الهجوم واستمر القتال يوما كاملا دون نتيجة. واحبطت عدة محاولات لاقتحام القرية، فلم يجد المهاجمون بداً امام الخسائر التي تكبدوها الا ان يحكموا الحصار حول القرية بانتظار نفاذ المؤونة والعتاد. امتد الحصار بهم اكثر من اسبوعين، وفعلا كاد عتاد المدافعين ينفد واضطروا الى ذبح المواشى بعد نفاذ المؤونة ونجح ثلاثة منهم في خرق الحصار ليلا، فوصلوا عقرة وابتاعوا منها ما يحتاجونه من عتاد (رصاص) وعادوا، وحالفهم النجاح في التسلل الى اخوانهم دون ان تشعر بهم قوات العدو. واستمرت المقاومة وكأن شيئاً لم يحدث. وظلوا يصدون الهجمات ثم يباغتون الاعداء بهجوم مقابل. ثم ينسحبون الى مواقعهم كراً وقرأاً.

في تلك الاثناء دأب شيخ بارزان على رفع الظلامة تلو الظلامة الى (والي الموصل) طالباً التدخل وإيقاف القتال. وقد أدى استمرار المعارك وعدم ظهور ما يشير الى نهاية لها الى ان تتحرك الحكومة التركية وتخرج من دائرة صمتها المطبق. فأرسلت إنذاراً الى شيخ نهري تنهاه فيه عن مواصلة القتال وتنبيهه بصراحة الى انها سوف تتدخل عسكرياً مالم يرفع يده عن المنطقة وينسحب بقوته من الزيبار.

دخل القتال في (بيره كه بره) اسبوعه الرابع من دون ان يحقق الحلف الشمديناني غرضه في احتلال القرية، في حين كانت الضحايا بين صفوفه تزداد. وفي صبيحة يوم من ايام حزينان شاهد

المحاصرون في القرية واهاليها وهم لا يصدقون اعينهم، قوات نهري ترفع الحصار وتبتعد عن القرية على شكل زمر وجماعات تسير في اتجاهات متفرقة. وفي نشوة الشعور بالانفراج هم بعض المدافعين من ذوي الرؤوس الحارة بتعقيب القوات المنسحبة وحاول (حاجكى جهمى) اقناع هؤلاء المتهورين بالبقاء حيث هم فلم يجد نصحه ولا رجاؤه. واندفع (فقى عبد الرحمن) و (سليمان وسمان آغا) برجالهما حتى بلغا (الزاب) يراقبان على الضفة قوات نهري وهى تنهياً للعبور شرقاً ولم يتمالكا اعصابهما وفتحا النار عليها و دامت المناوشات فترة كافية لوصول الانباء الى (ههرنى) حيث كانت قوات فتاح آغا المنسحبة من (بيرهكهبره) قد وصلتها لتوها ولم تتفرق بعد. فقفلت مسرعة الى ميدان الاشتباكات و هاجمت القوات البارزانية من الخلف فوقعت في فخ غير متوقع وانهاى على رجالها الرصاص من كل جهة وسقط قتلى كثيرون علمنا منهم (فهزجيج بيدارونى) و (ملا باس زيوهيى) و كان من بين الجرحى (على فقى عبدالرحمن) وسادت الفوضى صفوفهم وراح كل منهم يفكر في النجاة بجلده فتفرقوا افرادا و ازواجاً. ولم ينقذهم الا حلول الظلام، إذ أخذوا يتسللون تحت جناح الليل من دون ان يعلم أحدهم ماذا حل برفيقه. ومضت ثلاثة ايام كوامل قبل ان تجتمع فلول القوة المبعثرة في (بيرهكهبره).

عرفت هذه المعركة بموقعة (دلان) نسبة الى القرية التي وقع الاشتباك بالقرب منها. اما في (بيرهكهبره) فلوجود (حاجكى جهمى) وملازمته موقعه، أمكن رد هجمات القوات المعادية وايواء القوات

البارزانية العائدة بعد الهزيمة في (دلان). كان من نتيجة هذا التحرش ان ضرب الحصار مجددا على (بيرهكهبره) واستؤنفت المناوشات الا ان ذلك لم يدم طويلا. اذ مالبت قوات نهري ان تفرقت ثانية.

بعد ان خلت المنطقة من قوات نهري، اخذ أنصار بارزان يفكرون في مناجزة اغوات الزيبار وتصفية الحساب معهم، اولئك الذين أفسدوا عليهم عملية تعقيب القوة النهرية وشجعهم على ذلك حسن آغا الزيباري فباغتوا (ههرنى) بالهجوم واستظهروا على الاغوات، ففر هؤلاء الى المرتفعات ماوراء جيل (بيرس) الا ان قوات الشيخ واصلت تعقيبهم حتى لحقت بهم وظفرت بـ (حاجى آغا) الذي قتل اثناء الاصطدام واصيب شقيقه بجرح مميت لم يمهل طويلا. وتوغلت القوة البارزانية في قرى الزيبار الغربية حتى بلغت مشارف (هزارجوت) وسقطت قلاع الاغوات في ايديهم واحدة تلو الاخرى فدكوها وساووها بالارض، نذكر منها قلعتى (ههرنى، نهپاخى) بصورة خاصة. لقد منى الاغوات بشر هزيمة عرفوها، وبادر البارزانيون بدورهم فعينوا وكلاء لهم في سائر الزيبار الغربية، حيث سلمت الادارة بيدهم. وعلى اثر هذا النصر الكبير عاد شيخ بارزان الى زاويته وسط ترحيب شعبي ضخم.

الفصل التاسع عشر

تجدد القتال

مناوشات (مهنگوره)

انسحبت قوات شمدينان من الزيبار نحو النهاية الشمالية الشرقية لمنطقة بارزان وتمركزت في جبل (مهنگوره) واتخذت قرية (نهاقا) مقراً. كان بإمكان هذه القوات ان تغير على قرى الزيبار والشيروان متى شاءت K وهذا ما حصل فعلا. فقد تلقى (احمد آغا بيرسياقى) نبأ من قريبه (محمد شريف لولانى) يفيد بان قوات شمدينان تستعد للاغارة على قريته فاحتاط (بير سياقى) لنفسه باقامة الربايا في ضواحي القرية وحصن المواقع المحاذية للمقبرة في (بير سياقا) بصورة خاصة.

استهدف الهجوم قريتي (بيرسياقا) و (كانيا لنجا) واظهر اهل القرية الاولى ضروبا من البسالة في الدفاع امام قوات متفوقة، ولما اضطر بعضهم الى ترك المواقع الامامية والتوجه الى القصر للاحتماء به انتهرهم (احمد آغا) وعابهم ولم يسمح لهم بالدخول فعادوا وواصلوا القتال. واصيب (قهتران) وهو من أشجع المحاربين الشمدينانيين، فتخاذل الهجوم على القصر وفشلت القوات النهرية في الاستيلاء على القرية، فانسحبت. كما منيت بالفشل ايضا تلك

القوات التي جردت على قرية (كانيا لنجا). اذ صدهم (حاجكى
جهمى) وتمكن من دحرهم.

لما بلغ الشيخ (محمد صديق) نبأ فشل قواته راودته الشكوك في
اخلاص قاداته، فصب جام غضبه على بعضهم وعزل آخرين. مع
ذلك بقي الخوف يساور النفوس من احتمال اعادة الشمدينانيين
الكرّة والقيام بهجوم من داخل حدود منطقة قبيلة (گهردى) التي
تقع شمال منطقة عشيرة (شيروانى) وتتاخم حدود القبيلتين^(١).

انقسام في الگهرديين

في زمن الشيخين (السيد طه نهري) وابنه (عبيد الله) انتشرت
الطريقة النقشبندية في اوساط قبيلة (گهردى) بتأثير مزدوج من
مشيختى (نهري وبارزان). ولم يكن ثم خلاف في حينه بين
المشيختين. لكن بعد ان تسلم (محمد صديق) رئاسة المشيخة
النهرية تدهورت العلاقات مع بارزان وبسبب تصرفات (محمد
صديق) الشخصية البعيدة عن آداب الطريقة اخذ نفوذ (نهري)
يتقلص في قبيلة (گهردى) وتحولت الانظار نحو بارزان واعتبر
بعضهم شيخها مرشدهم الروحى.

(١) هذه القبيلة تسكن حاليا في كردستان الشمال (تركيا).

ولما شعر (محمد صديق) ان نفوذه في انكماش حاول تدارك الامر. لكنه لجأ الى أساليب العنف والاكراه، أدى الى نتيجة معكوسة وزاد ابتعاد فريق من الكرديين عنه واقتربهم من مشيخة بارزان. ثم جاءت الاصطدامات المسلحة لتؤدي الى انقسام الكرديين على أنفسهم كل فريق يوالي طرفاً من الطرفين المتنازعين. وقام بعض الموالين لشيخ نهري منهم بالوشاية على الآخرين وعلى أثر ذلك أرسل شيخ نهري نفراً من مسلحية لجلب اثنين من زعماء الكردي الأقوياء وهما (ميرشكر) و (ملا محمود بيسكى) المعروفين بموالتهما لشيخ بارزان، فاقتيدا اليه مخفورين، إلا أن (ملا محمود بيسكى) وفق الى الافلات من ايدي الحرس وتواري، ثم اتجه الى بارزان في حين جيء بـ (مير شكر) الى نهري مخفوراً.

طلب ملا محمود بيسكى من شيخ بارزان ان يأذن له بنقل اسرته الى قرية بارزان خوفاً من انتقام شيخ نهري، فأرسل الشيخ معه (فقى عبد الرحمن) لجلبها وعندما بلغا (بيسكان) وعلم الكرديون الموالون بالحكاية توافد عدد كبير من سكنة القرى الاخرى (كرانه زيت وشهروژنا و بيگور) وغيرها، وحاولوا ان يردوا القادمين عما اعتزمه قائلين انهم قادرون على حماية رئيسهم. وهكذا بقى فقى عبدالرحمن ينتظر قرار الشيخ النهائي.

ثارت ثائرة شيخ نهري لما بلغه من موقف الـ(كرديين) وجهاز حملة ضدهم بقيادة (عبدالله رزهى) فتقدمت حتى بلغت قمة جبل (سهري سلو) واتخذت مواضعها فيه. ولما بلغ ذلك بارزان تحرك

قطاع (قول) سليم آغا شيقى و خوشهقى سيلكى فوصلا (زيت). وكان في هذه القرية (ملا حسن بابزدين) فانضم اليهما برجاله. أما (فقى عبدالرحمن) فقد الف مع (ملا محمود) قاطعا ثانياً. وألف (عبد الله حسكو) القاطع الثالث. وتمركز (احمد آغا) شقيق (مير شكر البيروخى) فى (سهروكانى) وكان (محمد سليم زيبارى) يقود ستين مسلحا وتقرر ان يتوزع الكرديون الموالون في تلك الجهات لكونهم اعلم بطبيعة المنطقة. ومن جهة ثانية تمركز (سعيد ولى بك) و (حاجك جهمى) في سفوح جبل (منگوره) خارج قرية بيسكا. وتمركز (مام آغا) القائد النهري المشهور آنذاك في قصر (نهاقا).

شنت قوات نهري هجومها في صباح مبكر على جبهة واسعة تشمل مواقع (زيت- بيروخ- بيجنى- مۇسكا- سهروكانى) وحمى وطيس القتال واستمات المدافعون ففشل الهجوم رغم شدته وانسحبت القوات المهاجمة فلحق بهم البارزانيون والـ(كرديون) وشنوا عليهم هجوما مضادا وراحوا يطاردون المنسحبين، فانقلب الانسحاب الى هزيمة ولحقت الهزيمة ايضا بالعدو في (سهروكانى) فانسحب لينضم الى القوة المنهزمة الاولى في اتجاه بيروخ. وهناك اعادت تنظيمها واتخذت مواقع محكمة بحيث اخذت تهدد القوات البارزانية في (بيروخ) ولكن البارزانيين لم يدعوا لهم مجالا وهاجموهم، فجرت معارك عنيفة اندحرت على اثرها قوات شمدينان فتقهقر بعضها الى جبال منگوره ذي الجرف الشديد الانحدار، واستلم نفر من القوة النهرية من ابرزهم نذكر (قورتاس ويونس باوى شمدينانى وعلى نافشارى وزينوك هركى وشيخ رشيد لولانى) الذي تزعم فيما بعد مشيخة عرفت بـ

(مشيخة لولان البرادوستى) وقد اطلق سراحه بفضل توسط قام به اقرباؤه الشيروانيون^(١).

لم يعد للقوات النهريية بعد هذه المعركة معنويات تذكر باستثناء قوة (مام آغا) المتحصنة في قصر (نهاقا). لقد ضيقت عليه قوة بارزانية الخناق وحاصرته عدة ايام ووقعت اشتباكات اصيب (عبد الله حسكو البارزاني) في احداها اصابة مميتة، الا ان نبأ وفاة هذا القائد لم يعلن لكيلا يشجع ذلك (مام آغا) على الصمود والاستماتة، وانتهى الحصار بعد ان اُردي (مام آغا) برصاصة. فطلبت بقية القوة الدخالة واستسلمت واخذ المستسلمون يخرجون من باب القلعة واحدا إثر الاخر ويسلمون اسلحتهم للبارزانيين عند باب القلعة.

(١) كان للشيخ رشيد لولان ادوار في العهود السياسية الاربعة التى توالى على العراق - العهد العثماني - عهد الاحتلال البريطاني - الحكم الملكي العراقي - الحكم الجمهوري العراقي وتوفى في ١٩٦٧ وقد اناف على التسعين.

الفصل العشرون

مرحلة الاستقرار

ايام الشيخ محمد الاخيرة

بعد العام ١٨٩٦ وبنتيجة الانتصارات المتوالية التي حققها البارزانيون في الزيبار هدأت الاوضاع وانصرف الشيخ محمد الى نشاطه الروحي. وتحقق الانقلاب الشامل في مفاهيم المجتمع القبلي الزيباري وتقاليده. كانت ثورة اجتماعية اصيلة ازيل بها معظم آثار حكم الاغوات الطويل وما طبع عليه من اعراف وعادات استرقاقية مقيتة. لقد انطفأت نار الثارات القبلية. وحل محلها الصفح ونسيان الاحقاد، وهذا ما مهد للاتحاد والتعاقد وأستتب الامن والاستقرار في المنطقة.

علم الشيخ اتباعه فضيلة احترام شعائر المسيحيين واليهود الذين كانوا يعيشون في المنطقة وفي قريته بالذات، واحاطهم بالرعاية. فكان يعاقب بصرامة غير اعتيادية من تسول له نفسه الاعتداء عليهم أو إلحاق الأذى بهم، مما أشعرهم بأنهم مواطنون حقيقيون، لا يمتاز عليهم الغير بسبب الدين والعقيدة بعكس المفاهيم التي غرسها الحكم العثماني في نفوس رعاياه المسلمين

بخصوص الاقلييات الدينية ضمن الامبراطورية. إذ كان الولاة ورجال الادارة الاتراك يشجعون ذلك لخلق الحجج وتبرير التدخل حيثما دعت الحاجة الى تأمين السيطرة وفرض الاحكام. لذا كان الشيخ البارزاني يكرم المسنين من اتباع الديانتين الاخرين إكراماً خاصاً، حتى اثر عن اليهود وصفهم للشيخ انه ((بمنزلة أحد كبار احبارنا)) وقال المسيحيون عنه "انه لا يختلف عن واحد من روحانييننا نرجع اليه في امورنا الخاصة كما نرجع اليهم"^(١).

خلال هذه الفترة ايضا امتدت رابطة الاخوة بين مريدي الطريقة تلاحما وارتفع بهم تعاطفهم الروحي وتأخيهم الى مرحلة الفداء والايثار المطلق، حتى بلغ الامر بجماعة قرية (دوري) ان أعلنوا الغاء الملكية الخاصة ووضع الاموال والمقتنى في حالة الشيع، لكن الشيخ نهاهم وحذرهم من ذلك خشية اثاره حفيظة الحاقدين واعطاء حجة للدسائين وللمغرضين لاتهمهم بالزندقة والانحراف، وإذ ذاك لن يكون خصمهم الا الدولة نفسها وليس شيخ نهري او اغوات الزيبار.

لقد توصل المريدون في المشيخة الى طريقتهم في التعاون الاشتراكي مستلهمين من استقامة شيخهم وعدالته وخشونة عيشته

(١) جاء في كتاب (طريق في كردستان) للسيد (هاملتون)، (ت. جرجيس فتح الله، ط بغداد ١٩٧١ ص ٢-١٧) ((ان الشيخ رشيد لولان هاجم الشيخ احمد البارزاني (ابن الشيخ محمد وخليفته) لأنه كما يزعم يميل الى النصرانية والواقع ان كلا الشيخين متعصب لدينه الاسلامي، إلا ان آرائهما مختلفة جداً وكذلك أخلاقهما، فالشيخ رشيد لا يؤمن له جانب وليس اهل للثقة مطلقاً...)).

وصدق تعاليمه وعدم اهتمامه بالمادة. فعاشوا سعداء في هذه البقعة المنقطعة عن العالم والمنعزلة عن التطور الحضاري في اوروبا آنذاك وفي العالم الجديد. توصلوا الى اشتراكيتهم الساذجة انطلاقا من واقعهم الخاص وإيمانهم الروحي وحاجة الحياة في منطقتهم الى التكاتف والتآلف والوقوف صفا واحد ضد ظلم الاغوات وقسوة الطبيعة، توصلوا الى ذلك من دون ان يلموا بشيء عن الافكار والمبادئ الاقتصادية الثورية المنطلقة في العالم.

كانت الفئة المستنيرة من حكام الدولة العثمانية تحاول بشتى الاساليب تحديد السلطة المطلقة للسلطان وخليفة المسلمين بسن دستور ينص على مبادئ العدل والمساواة وحماية الحقوق والحريات الشخصية والعامة من العسف والانتهاك وازالة الفوراق الطبقيّة الكبيرة والحد من الاستغلال الطبقي. فدفع (مدحت باشا) ابو الدستور وكثير من رفاقة الاحرار حياتهم ثمنا لتلك المحاولة.

لهذه الاسباب ولاسباب اخرى، يمكننا ان نستنتج بان شيخ بارزان كان ينظر الى المستقبل البعيد، فيسبق تفكيره أهل زمانه المجاهدين لاجل الحرية والعدالة حين يوقف عملية شيوع الملكية التي همّ بها مريدوه في قرية (دورى) ويحذرهم من مغبة مواصلتها. مع انه نفسه كان ضد فكرة التملك وحيازة العقارات. ويكره كل مظاهر الترف. والرواة يتناقلون حكايات كثيرة عن زهده بمتاع الدنيا وتقشفه. من ذلك، انه خرج يوماً لزيارة قرية من قرى الاغوات، وبعد ان قطع مسافة طويلة، توقف برهة لينال قسطاً من الراحة، فلمح كلباً

يتبعهم، فاستفسر من مرافقيه عنه. فقالوا انه كلبه. فطلب الشيخ ان يمنعوه من اللحاق به معللا الامر بانه لا يريد ان يعتاد كلبه طعام الاغوات، إذ ستلزمه العادة فيعاف العيش عنده.

وقد أدرك الشيخ الوفاة في العام ١٩٠٢؟ وكان قد تجاوز الخامسة والستين من العمر. موصيا بخلافته لابنه (عبد السلام)، وقد خلف مجتمعا متجانسا الى أبعد حد.

هه والنّامهى كئيب

الفصل الحادي والعشرون

عصر الشيخ عبد السلام الثاني

- اليقظة الوطنية الكردية -

احوال الدولة العثمانية

راح المواطن التركي يتابع شعبا بعد شعب يفلت من قبضته وجزء بعد جزء يقتطع من امبراطوريته: الصرب في ١٨٢٨ ثم اليونان في ١٨٢٩ ثم رومانيا وبلغاريا والبوسنة والهرسك في ١٨٧٨ ثم البانيا في ١٩٠٨، فيتعاضم شكه وتوجسه في نيات الشعوب الاخرى الباقية تحت حكمه (العرب، الكرد، الارمن والاثوريين)، إذ بدأت هذه الشعوب الخاضعة تتململ وتزداد ادراكاً وسخطاً لما تعانيه من اسغلال واضطهاد وقمع.

لقد عزت الطبقة التركية الواعية كل المصائب التي حلت بالامبراطورية الى طبيعة الحكم المطلق الذي يمارسه السلطان (خليفة المسلمين). لذلك كانت جهود الجمعيات السرية الوطنية العثمانية ومحاولات الطبقة المتنورة منصبة - كأول خطوة نحو الاصلاح - على الحد من سلطة هذا السلطان وتقييدها بقيود

دستورية. أو بكلمة أخرى سن دستور يتماشى مع الروح الديمقراطية التي هبت نسائهما من الغرب مكتسحة عدداً كبيراً من الحكام المستبدين ومفسحة المجال لشعوبها للمشاركة في الحكم. وبعد محاولة (مدحت باشا) ^(١) زعيم الاحرار العثمانيين التي لم يكتب لها النجاح وقبر دستوره. نشطت تلك الجمعيات وبالاخص جمعية (جون ترك - تركيا الفتاة) السريّة ولقيت لها انصاراً في اوساط فريق من ضباط الجيش العثماني والاصلاحيين المثقفين المنتتمين الى جمعية (الاتحاد والترقي) وهي الذراع الضارب لحزب تركيا الفتاة، فافلحوا بحركة انقلابية عسكرية في ارغام السلطان عبدالحميد الثاني في تموز ١٩٠٨ على اعلان تطبيق الدستور. ثم أسقطوا السلطان نفسه في نيسان ١٩٠٩. الا ان النظام الجديد الذي اقامه هؤلاء الضباط والمدنيون اخذ يعمل دائماً على تركيز السلطة في يده ويبتعد عن احكام الدستور ويحاول بتعصب أعمى (عثمنة أو تترك) كل القوميات الاخرى الباقية داخل إطار الامبراطورية العثمانية. الامر الذي الجأه الى الاخذ باساليب القمع والاضطهاد الوحشي، لانه قوبل بردود فعل عنيفة من سائر القوميات التي كانت تبني آمالاً على الدستور. وقد اصاب الكُرد من عمليات القمع هذه سهم كبير، فاغلقت نواديهم، ولوحق اعضاء تلك النوادي وسدت صحف كردية لم تكذب بعد ترى الضوء. كانت فكرة الاصلاح السياسي الى جانب اليقظة القومية قد شملت معظم الاكراد المثقفين

(١) الصدر الاعظم (١٨٢٢ - ١٨٨٣) مات مخنوقاً في السجن بأمر من السلطان عبد الحميد الثاني.

الذين اخذوا ينادون بالحرية سراً وجهاً احياناً كاكراد يعملون من اجل التحرر، وأحياناً كعثمانيين يضمنون نشاطاتهم الى جهود الأتراك لتحقيق (الحرية والعدالة والمساواة) وهو الشعار الذي نادى به الاتحاديون في مبدء الامر.

لابد من كلمة حول نشوء الفكر القومي العنصري لدى أعضاء حزب (تركيا الفتاة) حيث دفع الأرمن والكرد والآثوريين أثماناً باهظة من تترك وجرائم الإبادة واغتصاب الأوطان وتدمير التراث الحضاري والثقافي للشعوب المذكورة.

فطوال القرن التاسع عشر، وبسبب الضغوطات الخارجية والداخلية، والأزمات المتعددة والحروب على جبهات عديدة، ساهمت في تحديد المسار الذي تسير فيه عملية صياغة الامة التركية. كانت الإمبراطورية تتداعى في هوامشها بسبب تغلغل القوى الإمبريالية وثورات القوميات الانفصالية، دخل المجتمع العثماني خلال فترتين لتصميم هوية والتخلي عن أخرى. العملية الأولى كان تحولاً من (الوطنية العثمانية) إلى (القومية الإسلامية)، وفي المرحلة الثانية تحول من (القومية الإسلامية) إلى (القومية التركية). معظم الباحثين يؤكدون على أنه تمّ صياغة الهوية القومية التركية بالاقصاء والعنف.

ومن هنا نرى كيف أن بارزان تعرضت بين أعوام ١٩٠٠-١٩١٤ الى حملتين عسكريتين كبيرتين، اشترك فيها الجيش التركي الى جانب المرتزقة الكرد، تم حرق ونهب أراضي بارزان بالكامل، وفي النهاية

دفع شيخ بارزان الأكثر كاريزما في تاريخ بارزان حياته على يد القوميين العنصريين الترك.

يقظة الطبقة الكردية المثقفة

في نهاية القرن التاسع عشر بدء ظهور الطبقة الكردية المتنورة. ومعظم أفرادها هم من أصل ارستقراطي، أما اولاد الامراء نفتهم الحكومة التركية الى استنبول او ابناء زعماء قبائل درسوا في مدارس محلية او تخرجوا في الاكاديميات العسكرية للامبراطورية وكانت قد فتحت ابوابها للشباب الكرد في ١٨٧٠.

وفي استنبول وقف فريق من هؤلاء المثقفين على الافكار البرجوازية الوطنية، وبدأوا يصدرون جرائد وشكلوا جمعيات سرية وعلنية... وحتى قيام ثورة الجون ترك (تركيا الفتاة) كانت طلائع الحركة الكردية الوطنية مبعثرة في عدة حلقات وتجمعات. وفي نيسان ١٨٩٨ نشر (مدحت بدرخان بك) اول جريدة كردية باسم (کردستان) كانت ثقافية الاتجاه اصلا، لكنها ايضا مثلت دور الوسيط للحركة الكردية الوطنية واصبحت صفحاتها الأرضية التي التقى عندها الاكراد الوطنيون.

خلف عبد الرحمن بك بدرخان شقيقه (مدحت) في تحرير الجريدة، وعندما تبدلت الظروف السياسية واتسع نشاط محرريها، ارغمت الجريدة على الانتقال الى جنيف في سويسرا ثم الى لندن ثم

فولكستون في انكلترا. وبعد انقلاب (الجون ترك) ظهرت الجريدة ثانية في استنبول وكان محررها هذه المرة (ثريا بدرخان بك). لكن هذه الجريدة اختفت اثناء الحرب العالمية الاولى فانتقلت الى القاهرة حيث صارت تصدر مرتين من كل شهر.

ظهر اول تنظيم كردي في الفترة التي قبض فيها (الجون ترك) على زمام الحكم وقد أيدهم الزعماء الكرد على امل الاستمتاع في ظلهم بالحقوق القومية، مغتنمين فرصة وجود مناخ ملائم وجو من الحرية.

وأسس على بدرخان بك والجنرال شريف باشا والشيخ عبد القادر ابن الشيخ عبيدالله نهري (كان الاخير رئيسا لمجلس الشيوخ العثماني) جمعية عرفت بـ (جمعية تعالي وترقي كردستان) واصدرت جريدة باللغة التركية باسم (كورد تيقون وترقي غازيت) كان (جميل بك) رئيسا لتحريرها. نوقشت على صفحات هذه الجريدة مشاكل الثقافة الكردية واللغة والوحدة الوطنية، فما لبثت ان نالت شعبية طاغية في اوساط جميع المبعدين الكرد الى استنبول.

وفي خريف ١٩٠٨ تشكلت (الجمعية الكردية لنشر المعارف)، ويظهر أن (جمعية تعالي وترقي كردستان) كانت هي الممول لها. وتم فتح مدرسة كردية في حي (جمبرلي) باستنبول، وتوخيا للدقة نقول ان هذه الجمعيات لم تكن منظمات سياسية ذوات برنامج واستراتيجية واضحة. إلا أنها مع هذا تمكنت من تعبئة المثقفين المهاجرين والوطنين الاكراذ على اختلاف آرائهم ومشاربهم. وتمكنت ايضا من خلال نشاطها الاجتماعي والثقافي من تسليط

اضواء العلم على العقول المظلمة لعتالي الشوارع الكردي. مؤملة ان يكونوا سندا جيدا للحركة السياسية الكردية فيما بعد.

وإذا كانت البداية المشجعة والحماسة هما اللتان حققنا هذا النجاح السريع فان النزاع على الزعامة سرعان ما تفجرت براكينه بين قادة الحركة: البدرخانيون من جهة، والشيخ عبد القادر وقبيلته من جهة اخرى، فهبت أعاصير المنافسات القديمة من جديد وتهاجم الزعماء الاقطاعيون متهمين بعضهم بعضا بالخيانة. فما كان من (الشيخ عبد القادر) الا ان يادر الى اصدار جريدة جديدة باسم (هتاو كورد- شمس الكردي) ان هذا الانقسام أضعف الحركة بشكل ملحوظ.

بينما كانت استنبول تشهد نشاطاً كردياً ذا اهمية كبيرة بدأت كردستان نفسها تستيقظ على الحياة السياسية العصرية، فأقام مناضلون ومثقفون كرد نواد كردية في المراكز الرئيسية من مدن مثل بدليس وديار بكر وموش وارضروم والموصل، واخذت تقوم بنشاط فعال، على سبيل المثال: اقام (نادى موش) علاقات مع العشائر المهمة في الولاية. وعندما افتتح نادي بدليس في نهاية العام ١٩٠٨ كان اعضاء النادي لايتجاوزون السبعمئة وفي غضون أشهر قليلة وقبل ان تغلقه السلطة قفز عدد المنتمين الى عدة آلاف^(١).

1. Edited by Gerard Chaliand. People without A Country. P34-35

خلافة عبد السلام

في هذه الفترة المملأى بالزوايع السياسية المتميزة بيقظة الوعي القومي والسياسي لدى الشعوب الراححة تحت نير الحكم العثماني ومنها الشعب الكردي، استخلف الشيخ عبد السلام الثاني اباه وهو شاب لم يتعد سن الثامنة والعشرين بعد. كانت الفترة الاولى من مشيخة فترة هدوء واستقرار نسبي. لقد راقب وعاش وهو فتى يافع أخطر التطورات في المشيخة ورافق الصراع الحاسم- صراع الحياة والموت بين المشيخة والسلطة الاقطاعية، ولم تتح له الظروف القاسية تلقي العلم بصورة منتظمة والامام الكافي بأطرافه وبإكمال تحصيله في مراكز العلم المعروفة آنذاك حسبما درجت عليه أسرة الشيخ، وكان والده مصدر المعرفة والعلم الوحيد له.

مضت فترة غير قصيرة (١٩٠٢-١٩٠٧) عاش فيها الخلف الجديد تقريبا في ظل وبفضل منجزات والده. وارتكز على الرصيد من الحب الذي زرعه والده في قلوب انصاره والاحترام الذي انتزعه من خصومه قبل ان تتكامل شخصيته ليبرز لاعبا ماهرا في ميدان التعامل القبلي ووطنيا جليل القدر في الحلبة السياسية والجهاد القومي، ثم شهيدا ووطنيا خالداً ماتزال ذكراه عالقة بالانهاض مقرونة بالاعجاب.

وضع والده بين يديه فضلا عن السمعة والصيت، ثروة لا تقدر من مجموعة أعوان مخلصين، طحنتهم المعارك وصقلتهم التجارب، فكانوا خير من يعتمدون في الملمات. ومال في مطلع شبابه الى طائفة (الديوانه) من الصوفيين وظل مقيما على ميله هذا حين غدا شيخا فقد اشتد فيه

وتأصل. ولم يحاول استبدال الاعوان الذين أثبتهم والده في مراكزهم مع ان عهده اقترن بظهور شخصيات قيادية كفوءة شابة^(١).

لما أخذت الحركات السرية الكردية تنشط من عقالها اتسعت رقعة تحركها خلال فترة قصيرة جدا لتشمل منطقة بادينان، وكان الشيخ عبد السلام من أولى الشخصيات التي عمل المثقفون الكرد على الاتصال بها نظرا للسمعة التي حازتها مشيخة بارزان في أيام والده. ووصول أنباء المعارك الناجحة التي كان قد شنها على الاغوات المحليين عملاء السلطة للحد من سلطانهم. وكذلك بسبب التغييرات التي أحدثتها ارشاده في المجتمع المحلي وهو كله لا يخلو من طابع الوطنية والحرص على مصلحة الجماهير الكردية والاهتمام بمصائرها وواقع حياتها. وكان من الطبيعي ان تتناقل الافواه أنباء هذه الانجازات فتبلغ، اسماع اولئك الشباب الطلائعي الذين اتخذوا العاصمة العثمانية مركزاً لبث مفاهيمهم في الوعي القومي الكردي بصحفهم وجمعياتهم.

لقد أدركت الجمعيات الكردية الوطنية سرّيتها وعلنيها من سلسلة المعارك التي خاضتها المشيخة الفتية ومن طبيعة واتجاهات العدو الذي تنازله والانتصارات التي حازتها ان الشيخ البارزاني يملك الى

(١) ابنتى عبد السلام بزوجين الاولى واسمها (سعاد) عقراوية الاصل نشأت في الموصل وكانت تتكلم العربية تزوجها قبل وفاة والده والثانية تزوجها بعد ان تولى المشيخة واسمها (سمياء) وهي ابنة الحاج عبد العزيز آغا من رؤساء بلدة العمادية ووجهائها.

جانب العقيدة والمبدء قوة ضاربة اطوع له من البنان، وهذا عامل
جوهري لا يمكن اغفاله عند حساب احتمالات نجاح اية حركة وطنية-
اذن، فجرّ هذا الشيخ الى ساحة الجهاد الوطني سيكون مغنماً عظيماً.

اخذت بعد هذا تتسرب الى بادينان وبارزان طائفة من الصحف
والبيانات والمناشير من الجمعيات الكردية كجمعية (تعالى وترقى
كورد) و (استقلال كورد) المار ذكرهما وجمعية (هيتقى) وجمعيات
سريّة اخرى. كانت هذه المناشير ترسل الى تكية بارزان خصيصاً^(١).
وكان الشيخ عبد السلام من جانبه يتابع باهتمام تنامى الوعي القومي
في صفوف المثقفين الاكراذ ويحاول اقناع وجهاء بادينان بوجهة نظره
الاصلاحية وجرّهم الى التعاون، فكان ينجح في ذلك تارة ويفشل في
اخرى. فالشيخ بهاء الدين النقشبندى صاحب تكية بامرني لم يكن
يساعده في موقفه للمشاركة في هذه الحركة وهو ليس صاحب عصبية
قومية ولا يرى ثمة فائدة في زج هذه العشائر في حركة لا تعرف
نتائجها. كما انه من الرجال الداعين للسلام. لذا كان موقفه من
البارزانيين غير صريح وواضح. اما الشيخ نور محمد القادري الدهوكي
فكان موقفه موقف مشجع وهو الرجل الجريء الذي خبر السياسة
وكان يشعر بفساد الحكم وينقم على الدولة ويريد الاصلاح^(٢). ووجد
الشيخ لنفسه حليفاً قوياً من المار شمعون بنيامين جاثليق الكنيسة

(١) امارة بادينان، ص ٩٤ - ٩٥.

(٢) مقالة (العائلة البارزانية) بقلم (ف. نيكييتين وترجمة الدكتور كاوس
قفطان) منشورة في مجلة (شمس كردستان عدد ٥).

الشرقية الآثورية الذي كان يجمع السلطتين الزمنية والروحية لجميع
الاثورين القاطنين حكارى وبادينان بحكم منصبه.

مما لا شك فيه ان شيخ بارزان اظهر في حينه تجاوباً مع تلك الجمعيات
الكردية وأيد برامجها الاصلاحية، لاسيما بعد ان قلب (الاتحاديون) ظهر
المجن وظهروا على حقيقتهم بتعصبهم القومي الذي بدا باقبح وجه من
وجوه الشوفينية والتمييز العنصري. ليسوا دعاة اصلاح ولا بناشري
العدالة بين الشعوب التي تحكمها الدولة العثمانية، بل دعاة صهر واذابة،
حل طغيانهم محل طغيان السلطان واخذوا ينكرون بالائتلافيين دعاة
المساواة الاترك. ويقيمون المذابح العنصرية لاسيما مذابح الارمن
والمسيحيين التي هزت مشاعر العالم المتمدن. لقد أدرك الشيخ عبد
السلام ان خطر النظام لتركي الجديد على مشيخته هو أكبر من خطر
الاقطاعيين والاعوات، وان البنيان الروحي الذي شاده اسلافه. وأضحى
وديعة في يديه مهدد الآن بريح التعصب القومي فضلا عن الاقطاعيين
المتربصين وانه لا قبل له بمنازلة هذين الخصمين الحليين معا وفي وقت
واحد بمفرده، وانه من الضروري ان يوسع دائرة تحالفه. لذلك تعدت
نظرة الشيخ البارزاني منطقته لتشمل افاقا اوسع، فأخذ يتنقل من مكان
الى اخر مبشراً بأرائه. وأكثر من زيارته للرؤساء والزعماء جيرانه مؤكدا
على ضرورة الاتحاد والتكاتف "... وبذلك استطاع ان ينال احترام جميع
الفرق والطوائف الدينية لشخصه وروحانيته^(١).

^١مقالة (العائلة البارزانية) بقلم (ف. نيكييتن وترجمة الدكتور كاوس قفطان)
منشورة في مجلة (شمس كردستان عدد ٥).

الفصل الثاني والعشرون

بروز شخصية الشيخ عبد السلام

ان فترة الهدوء التي سادت سنوات ولاية عبد السلام الأولى ساعدته على ان ينصرف بشكل خاص الى شؤون الناس وسماع شكاواهم والتعرف على حاجاتهم والعمل على ازالتها والتخفيف منها، وقد أدرك التأثير المدمر للجهل وضرورة تيسير تلقي العلم والمعرفة للناس. ويغلب على الظن أن شعوراً بالحسرة والألم ظلاً يلازمان الشيخ طوال حياته، لان الظروف لم تتح له اكمال تحصيله العلمي، لذلك وجدناه يحاول التعويض عن هذا القصور بملازمة العلماء والسماع منهم وتقديره لهم والرغبة الشديدة في نشر المعرفة والثقافة بين ابناء عشيرته. فقد استقدم الى تكيته العالم المعروف (ملا احمد ابن عبد الخالق العقراوي) وخصص له راتباً. كما استقدم عدد من العلماء للتدريس في بارزان. ويؤكد (ف. نيكيتين) ان الشيخ كان يدعوا الشعب الى التضامن والوحدة وكان يردد دائماً "اتحدوا وتضامنوا فيما بينكم، وعند ذلك لن يستطيع أحد قهركم" ثم يستتلي "... وزع الشيخ أوقاته على ثلاثة اغراض: الارشاد والتدريس، وقضاء حاجات الناس، ثم حل النزاعات القبلية وفض مشاكلها"^(١).

(١) مقالة (العائلة البارزانية) بقلم (ف. نيكيتين وترجمة الدكتور كاوس قفطان) منشورة في مجلة (شمس كردستان عدد ٥).. (المصدر السابق)

وقد كان هذا شغله الشاغل منذ العام ١٩٠٢ حتى ١٩٠٧، وفي غضون هذه الفترة كان نفوذه يتعاظم وتتسع رقعة مشيخته، ولم يكن هذا بالذي يروق لأغوات الزيبار المندحرين أمام والده الذين دفعوا الى أطراف عقرة " .. إن أغوات الزيبار الذين كانوا يحكمون الزيبار حكما اقطاعيا لم يرق لهم توسع نفوذ الشيوخ البارزانيين وانضواء كثير من العشائر تحت لوائهم والانخراط فى سلك طريقتهم النقشبندية. فأخذوا يقاومونهم ويعملون على الحد من نفوذهم ". خلق الشيخ هذه المنزلة لنفسه بحسن تطبيقه قواعد العدل على الجميع، واهتم بأوضاع شعبه وتعاطف مع مشاعره، واختط لنفسه سنة فى ايام العيد، حيث كان يشتري الملابس لأيتام القرية ويجمعهم ثم يحادثهم ويكسوهم، وهو عمل لم تكن له سابقة فى مشيخات كردستان. وقد عرف عنه مواساته الفقراء والمنكوبين، كما حرص على تفقد أحوال الأسر التى فقدت معيلىها. ومن الاقوال التى اثرت انه كان يوجهها لهم قوله مثلاً "أرجو ان لا تشعروا بالوحدة او الخوف مما يخبئه الغد لكم لقد مات ابوكم وبودي ان تعتبرونى فى مكانه) وكان يعزز قوله هذا بالعمل. ونذكر على سبيل المثال، ان أحدهم توفي مخلصاً اطفالاً، فما كان منه إلا ان منحهم حصته من مطحنته وجعل كل ربحها لأعاشتهم بعد ان يستخرج الطحان حصته، وظل يتابع احوال هؤلاء الايتام، وحين شعر بحاجتهم الى (بقرة) أعطاهم واحدة وبلغ من شدة حرصه على امورهم انه امر بأن يباع ثور نطاح شמוש كانت تملكه الاسرة ويشترى بثمنه ما هو أفضل منه متبرعا بفرق السعر. وكان يأمر اتباعه ومريديه بان يحتطبوا لهم. وقصده ذات يوم (ملا عمر بيره كهبرى) يشكو له ضيق

ذات اليد وصعوبة الحصول على ما يكفي لاملأ بطون افراد عائلته التسعة، ورجا من الشيخ ان يسمح له بالنزوح الى احدى قرى السهل لعل كربتته تنفرج ووضعه يتحسن، فلم يسمح له الشيخ بالنزوح، وأمر وكيله بتزويده بمقدار كاف من مختلف البذور، ثم طلب منه مراجعته فى كل حاجة تعن له ولم ينسى ان يدفع عنه أجرة عبوره عبر نهر الزاب الى (بيره كهبرى).

واهتم الشيخ عبد السلام بأمور عصرية لم تكن تعتبر فى ذلك الحين من الضرورات او من مقومات الشخصية وهي بعيدة كل البعد عن صفته الروحية وزعامته الدينية، منها تشجيعه رياضة الفروسية، وحث اتباعه على تعلم السباحة والتمرن على اصابة الهدف بالبندقية (الرماية). وأكد على ضرورة الجسم السليم واهمية صحة الانسان، مثلما كان حريصاً على سلامة احكامه وموافقته للشرع بالاستعانة بالعلماء البارزين عند حسمه المشاكل والدعاوى. تمسك بمبادئ العدل بادئاً بنفسه عندما أشرف على تقسيم ميراث والده بين اعضاء أسرته البارزانية، فجنبها مشاعر الريبة المتبادلة التى تنشأ بين اسرة كبيرة فيها ضرات وأبناء ضرات عديدون، ولم يدع للاحساس بالغبن بأن يتسلل الى نفس اى واحد من الاسرة.

الفصل الثالث والعشرون

الصراعات مع الجيران

عودة الى اغوات الزيبار

انتعشت آمال الاغوات بعد وفاة الشيخ محمد عام (١٩٠٢) وخيل لهم ان مهمتهم ستكون أسهل مع خلفه فى اعادة سيطرتهم على القرى التى ازيحوا عنها، وقد مر بنا ان الاسر الاقطاعية فى الزيبار كانت متنافسة فيما بينها ايضا وان آل مصطفى آغا فى ايام (حسن آغا) و (محمد آغا) قد انحازوا الى جانب شيخ بارزان ضد اسرة (تتر خان) الذين يفوقونهم قوة ونفوذاً. وبتعاونهم مع شيخ بارزان تمكنوا من اضعاف منافسيهم الى حد طردهم من بعض القرى والحد من سلطانهم الى درجة كبيرة. وظل آل مصطفى آغا على علاقات حسنة ببارزان طوال فترة الهدوء التى استمرت حتى العام ١٩٠٨ بل وأكثر من هذا، فقد قدم (محمود آغا الزيباري) الى بارزان طالباً التوبة والهداية على يد الشيخ عبد السلام وخدم لديه فترة من الزمن.

لم يكن الشيخ منغلقة على نفسه قط، لا فى تعامله مع الرؤساء والزعماء الكرد ولا مع الادارة العثمانية المحلية، فقد كان ينشد السلام والاستقرار مدركاً ان الحروب القبيلية لاتجر إلا الدمار والخراب، إلا أنه اضطر كما سنرى الى ركوب اشد مايكره، وخوض

معارك فرضت عليه فرضاً لم ينل من ورائها غير التشريد. وقضى حياة عاصفة تآلب عليه فيها اعداؤه، وراح في النهاية وهو شاب ضحية ايمانه بعدالة قضيته.

مع شيخ نهري

يذكر (ف. نيكيتين) ان الجفاء الذي ساد علاقات نهري ببارزان في السابق بقي كما هو ".... كان الشيخ محمد صديق النهري من جيرانه (الضمير يعود الى الشيخ عبد السلام) وقد غمره السرور عندما توفي والد الشيخ. وكان يراقب الشيخ الجديد عن كثب ويحس ببروزه واتساع نفوذه ويحسده على ذلك. وحاول عدة مرات ان يؤكد له، إلا أنه لم ينجح في مسعاه ومات ولم تتحقق رغبته هذه^(١)... وخلف السيد طه الثاني والده الشيخ محمد صديق، وكان الشيخ عبدالسلام من الذكاء وصفاء النية بحيث استغل الفرصة، فارسل الرسل لتعزية السيد طه ومحاولة افهامه ان جديهما كانا صديقين وعلى وفاق وان والديهما هكذا كانا ايضاً وانه من الخير نسيان الماضي بما فيه من ضغائن واحقاد لتحل محله الصداقة والسلام^(٢) وكان السيد طه من الذكاء بحيث وافق على ذلك وهكذا عاد تأريخ

(١) الفقرة وما بعدها (العائلة البارزانية) من مجلة شمس كردستان (العدد ٥) ص ١٩.

(٢) لم يكونا في الواقع على وفاق كما يتبين من الفصول السالفة.

العلاقات النهرية - البارزانية الى مجراه السابق بعد طول انقطاع
تخللته احداث دامية.

الروابط مع مشيخة بجيل

لا شك ان الشيخ عبد السلام كان يرغب في تحسين روابطه مع
مشيخة بجيل، الا انها بقيت راكدة مثقلة بالضغائن والاحقاد،
وظلت تلك المشيخة منغلقة على نفسها لا تحاول تغيير موقفها
العداوي من بارزان، في حين ظهرت بوادر تبشر بعلاقات طيبة بين
الشيخ وبين رؤساء العمادية ووجهاء بادينان.

يروى الدملوجي عن قدوم الشيخ عبدالسلام الى العمادية في العام
١٩٠٥ فيقول "الاخبار تدور حول مجيء الشيخ عبدالسلام
البارزاني بقوة عظيمة الى العمادية ليجتلبها ويقيم فيها حكومة
كردية ويقتل موظفي الحكومة ويقضي على البيت الفلاني والفلاني
ويخرب تكية بامرني ويستولى على دهوك وزاخو يفعل كذا وكذا.
والناس صنفان: صنف يتمنى مجيئه بفارغ الصبر وهم بيت حاجي
عبد العزيز آغا، ومن هم على اتفاق معهم واخرون يرتعدون خوفاً
وفرقاً وهم بيت المفتي وبيت المدرس وحاجي شعبان آغا، وهؤلاء
على اتفاق مع مشايخ بامرني. كنت بصفتي قائمقاماً (بالوكالة)
ارفع التقارير الى الولاية عن هذه الحوادث. والاجوبة التي اتلقاها
(عن تلك التقارير) لم تخرج عن ملاحظة الموقف بدقة ورفع ما
يستجد من الاخبار دون تأخير.... واخيراً تحقق الخبر وحضر

الشيخ عبدالسلام في ٢٢ كانون الاول ١٣٢٣هـ (١٩٠٥م) مع قوة تبلغ خمسمائة مسلح من الزيباريين والمزوريين والشيروانيين يقودهم (فقى عبد الرحمن). ونزل ضيفا على صهره (الحاج عبد العزيز آغا العمادي) وسارع اغوات العمادية المواليون للشيخ عبدالسلام وغير المواليين الى أخذ أعوانه ضيوفاً إلى بيوتهم. ولم يظهر ما يعكر صفو الأمن. وكان الشيخ بهاء الدين قد حضر العمادية بناء على دعوة سبقت له من الشيخ عبدالسلام وقد اجتمع به نحو ساعتين على انفراد ولم يعلم مادار من الحديث بينهما، إلا ان الذي علمته ان الشيخ عبدالسلام تلقاه بحفاوة واحترام وقبل يده وقد قابله (بهاء الدين) بالمثل، وتلك عادة جارية"^(١).

لم يكن قد مضى على وفاة الشيخ محمد سوى عامين حين بدأت الاوضاع تتردى في منحدر خطر، حيث اخذت تتركز الدعايات بشكل مكثف حول نوايا الشيخ عبدالسلام وخاصة بعد زواجه من ابنة الحاج عبدالعزيز آغا في العام (١٩٠٣) وكثرة ترده الى بادينان والعمادية. يقول الدمولوجي مستطرداً "...طلبت مقابلته (يقصد عبدالسلام) فاجاب وحدد لي موعدا بعد صلاة العشاء من تلك الليلة فذهبت اليه بمفردي وانا اشق صفوف البارزانيين الذين تجمعوا حول القصر الذي اقام فيه ودخلت عليه ولم يكن احد لديه سوى كاتبه (ملا حسن ابن ملا عبدالجليل)^(٢) وخادم واقف بالباب

(١) امارة بادينان، ص ٨٩ و ٩٠.

(٢) الصحيح هو (ملا أحمد ابن عبد الخالق العقراوي).

فتلقاني ببشاشة واجلسني بجانبه وقد ظهر لي منه انه كان يرغب في مقابلي بقدر رغبتى فيها ليجاهر باخلاصه للحكومة ويعرف منى شيئاً عن وجهة نظرها بحقة وصورة تلقيها حركته. كان في الاربعين ^(١) من العمر اسمر اللون وسيم الصورة في عينه اليمنى قليل من العوار (الماء الأبيض) ^(٢) يلبس عمامة متوسطة الحجم وجبة من الجوخ الاسود فوقها عباءة وهو الى زي العلماء أقرب منه الى زي الصوفية. بعد ان علم انى أحسن التكلم بالكردية انبسط كثيراً. كان يتكلم بهدوء والحديث الذي لا يستوعبه يعيده ثانية وثالثة ليفهمه جيداً انه يريد ان يفهم كل شيء وهو ذكي للغاية حاد الذهن سريع الانتقال وليس فيه ما يعاب سوى انه غير متعلم وكان يظهر لي أسفه على حرمانه من العلم وان أباه وجدته من العلماء "

هنا بعض المقتطفات من الحديث الهام الذي جرى بين شيخ بارزان وصديق الدمولوجي، في العمادية ليلة ٢٢ كانون الاول ١٣٢٣هـ. (١٩٠٥)م:
"سالت الشيخ-

- ماذا تريد الحكومة منكم بعد ان تخلصوا لها؟

قال- نخلص لها ولا تؤمن باخلاصنا وتعدنا خارجين عليها.
وغيرنا لا يخلصون وتعدهم مخلصين.

(١) كان في الثلاثين من العمر.

(٢) يذكر (ويگرام) انه كان يشكو من التراخوما المزمنة.

قلت له- كان عليكم ان تتفاهموا معها وتزيلوا ما علق بذهنها
بحقكم

قال- ان الطريق مسدودة امامنا وليس لنا من يدافع عنا وإذا
تبرع أحد للدفاع عنا فانه لا يدافع لوجه الله وكلهم اصحاب غايات
ومصالح وليس لدينا قرى نعطيها لوجهاء الموصل كما يفعله
خصومنا (كان المقصود فعلا اغوات الزيبار). واننا ندافع عن
انفسنا بأنفسنا.

سألته: من هم خصومكم؟ قال:

ليس لنا خصوم سوى اغوات الزيبار وهؤلاء بضع بيوت استولوا
منذ القديم على عشيرة الزيبار واخضعوهم لحكمهم وساموهم الذل
والهوان وجعلوهم عبيداً لهم، وهم لا يملكون دفاعاً عن أنفسهم
وواحد منهم يموت كما يموت الكلب ولا من يسأل عنه، وقد شمل
اعتدائهم علينا ونحن ضعفاء بالنسبة

إليهم. كان جدي الشيخ عبد السلام رجلاً صالحاً ولم يطق صبراً
على الظلم الذي يلاقيه الزيباريون ولم يكن له قوة سوى جماعة من
المريدين سلاحهم المسبحة والسواك، وإذ كان شيء اسمه حكومة
فهو اسم لا أثر عليه، فأعلن الحرب عليهم بهؤلاء المريدين وحاربهم
وكسرهم وانتصر عليهم في عدة مواقف، وكانت قوته تزداد من يوم
الى آخر، الى ان تم له الأمر، وقد استمرت الحروب أعواماً على عهد
والدي الشيخ محمد الى أن أخرجناهم جميعاً من الزيبار، ولكن بعد
أن لم يبقوا قرية معمورة واصبح الحد الفاصل بيننا نهر الزاب، واذا
كانوا اندحروا في ميدان الحرب ولم يبق لهم القوة التي يحاربوننا

بها فقد أخذوا يحاربوننا بواسطة الحكومة وينادون بالشكوى علينا ويملاؤن الدنيا ضجيجاً ويسبئون الى سمعتنا، فصارت الحكومة تعتقد فينا عصاة معتدين اخرجنا اناساً آمنين من ديارهم، ولم تفكر بأننا أنقذنا امة مقهورة مضطهدة من ايدي اناس جبارين واعطيناها حريتها، ولو كانت الحكومة على شيء من القوة وقامت بنفسها بانقاذ هذه الامة لانقطعنا الى اعمالنا وعشنا في امن وسلام. اننا رفعنا شكوانا كثيراً الى الحكومة فلم تلق الينا بأذن صاغية. جاهرنا باخلاصنا لها فلم تؤمن بنا. اننا لم نفعل أكثر مما يقتضيه الواجب الديني من دفع الظلم عن امة مضطهدة وتخليصها من الرق." فكانت التقارير التي يرفعها الموظفون المسؤولون عنا جميعها كاذبة بجانب الحقيقة، كأن المطلوب منهم ان يوجهوا الينا المثالب لتحل النقمة بنا.

"اننا نريد ان يجرى بحقنا تحقيق عادل وليستمع الى شكاوينا وليقم بالتحقيق رجال عسكريون، والتحقيق الذي يجريه الموظفون (المدنيون) لانرضى به هؤلاء اعداء لنا لانتق بهم. وأني مستعد لان احضر الموصل بعد ان يعطينى الوالي والقوماندان (القائد العسكري) التأمينات على حياتي وشرفي وليحضر اغوات الزيبار وغيرهم ممن يدعون الخصومة علينا ولتجر محاكمتنا، وهناك تتحقق الاكاذيب التي يلصقونها بنا. ونحن لانريد الا الحق".

سألته: ولكن كيف اعلل مجيئك بهذه القوة الى العمادية وما هو الغرض منها؟

قال: ان مجيئي الى العمادية هو لزيارة صهري (الحاج عبد العزيز آغا) ثم التعرف الى شيخ بهاء الدين النقشبندي الذي تربطنا وياه رابطة الطريقة وبقية زعماء العمادية. إلا انهم لم يحضروا. ولكن كان في حضور الشيخ بهاء الدين الكفاية. ثم لما كان لي خصوم كثيرون ولايمكنني الذهاب خارج الزيبار دون هذه القوة، فقد أتيت بها معي ولم أجيئ محارباً بل مسالماً لزيارة اخواني"^(١).

ان الاحداث اللاحقة تثبت بشكل قاطع بان ماصرح به شيخ بارزان لقائمقام العمادية هو الصحيح وطبق ماصرح به، إلا ان الاوساط الحاكمة التركية الفاسدة لم تبدي اية مبادرة إيجابية.

لا بل كانت السلطات التركية متوجسة من كل مطلب اصلاحي وترى فيه تحريضاً من الدول الاجنبية. والجدير بالذكر بان الباحث المعروف عبد الرقيب يوسف قضى ٧٥ يوماً في اسطنبول للبحث عن الارشيفات التي تتعلق بكردستان، وعثر على عدد من الوثائق عن شيخ بارزان وموقف الحكومة التركية منه، وكلها تشير الى الاهتمام الكبير بجميع تحركات الشيخ، خاصة فيما يتعلق بجولات القنصل البريطاني في كردستان وصلاته بشيخ بارزان، وبسبب ذلك تم ابعاد القنصل من ولاية الموصل.^٢

(١) امارة بادينان، صديق الدملوجي، ص ٩٣.

(٢) هذه الوثيقة (رقم ٣) وجهها رئيس الوزراء (الصدر الأعظم) الى وزارة الداخلية موجهة من والي الموصل الى وزارة الداخلية مؤرخة في ٢٣ ذي القعدة ١٣٢٧ هجري (١٩٠٩/١٢/٢م) نشرها الباحث المعروف عبد الرقيب يوسف.

الفصل الرابع والعشرون

نهاية فترة الهدوء والاستقرار

جفاء مع الحكومة ومؤامرات الاغوات

تحول الاغوات المندحرون في ساحة القتال الى سلاح المال لمقارعة شيخ بارزان، أو بكلمة أخرى، نقلوا ساحة النزاع الى أروقة وقاعات الدوائر الحكومية بالتقرب الى موظفيها بالرشاوى والهدايا والزلفى. واخذوا يلفقون التهم ويضمنونها شكاوى رسمية حافلة بالتهويل وبالمبالغة حول قيام مشيخة بارزان واشتداد شوكتها والضرر الكبير الذي سيحقيق بأمن الدولة من جراء النزاع المسلح المحلى الذي لن ينتهي مادامت لمشيخة بارزان ومرشدها الشيخ عبد السلام البارزانى الكلمة العليا والنفوذ الاوحد في المنطقة، ولـ (ويگرام) في هذا الصدد تعليق طريف قال "كان الشيخ (عبد السلام) حتى العام ١٩٠٩ في حرب معلنة مع الحكومة ولم يكن هو الملموم في هذه الحرب. والمذنبون الحقيقيون الاساسيون هم: ص. باشا^(١) وبعض رجال العصاة المتفسخة الذين كانوا يتولون

(١) يقصد به (محمد باشا الصابونجي) احد كبار الملاكين الموصليين واصحاب النفوذ وعضو المجلس البلدي.

الادارة في الموصل. فهؤلاء طمعوا في بعض القرى التي تقع ضمن نفوذ الشيخ وأبى هو ان يتخلى عنها"^(١).

اجل أصبح الشيخ عائقا حقيقياً امام جشع ملاكي الموصل الاقوياء الذين كان طمعهم بالاراضي الزراعية يدفعهم حتى الى التآمر على أرواح الناس وحریاتهم. ثم ان جولات الشيخ في بادينان والبرقية التي ارسلها الى استنبول العثمانية موجهاً فيها انطار الحكومة الى وجوب الاهتمام بأوضاع المنطقة والاهتمام بالمواصلات والتعليم واصلاح الادارة. ثم علاقاته مع (السيد طه النهري) وشكوك الحكومة العثمانية حول اشاعات قيامه باتصالات سرية مع روسيا القيصرية لايجاد نوع من التحالف ضد تركيا. كل ذلك ادى الى اعتباره من الخارجين عن طاعة الدولة العثمانية. ولم يكن الشيخ عبد السلام بالغافل عما يحاك في الخفاء. لذا حاول ضمان أكبر دعم من الاصدقاء واصحاب النفوذ. وقد روى للمؤلف أحد مرافقيه المدعو (مين ملا عبزید) أن قام بعدة جولات في مناطق بادينان. وفي إحدى جولاته زار صهره (حاج عبد العزيز آغا) في العمادية ثم زار (سيدآفا) وحل ومرافقوه ضيوفاً على كبير القرية وفي اليوم التالي غادرها الى قرية قريبة من دهوك ثم ذهب الى دهوك

(١) مهد البشرية ص ١٣١ ويضيف المؤلف في الهامش (حاول الشيخ البارزاني ان يشتري السلام من كل قلبه، لكن اعداءه الطامعين به اثاروا عليه حتى الرأي العام المحلي بل انهم قبلوا منه مبالغ كبيرة من المال دفعها لرد أذاهم ثم استمروا في مكائدهم ضده مع هذا.

نفسها وحل ضيفا على (الشيخ نور محمد القادري) ومكث عنده ليلتين. ثم غادرها الى قرية (بيسفي) ومنها الى قرية السيد (عبيد خزال) وشاهد هناك بعض العاب الفروسية وسباق الرمي على الهدف الذي اقيم تكريماً له ثم غادرها الى (بهروثوك) ثم الى (بامهرنى) لزيارة شيخها ثم عاد الى العمادية ومنها الى بارزان. وقام في زمن لاحق بجولة واسعة امتدت الى ديار العرب واجتمع بعدد من شيوخهم وبعض رؤوساء العشائر البروارية والدوسكية والمزورى ثيرى. وانضم كبارهم الى موكب الشيخ وتوجهوا جميعاً الى تكية الشيخ (نور محمد القادري) في (دهوك) حيث عقد اجتماع وجرت مداولات. واتفقت الكلمة على اختيار رئيس لرابطتهم واتحادهم يمثلهم في مراجعاتهم الحكومية وينطق بلسانهم. ووقع الاختيار على (الشيخ نور محمد) فاعتذر بحالته الصحية و اشار في عين الوقت الى كفاءة الشيخ عبد السلام واهليته في تحمل هذه المسؤولية. فوقع الاختيار عليه. بعد هذا الاجتماع مباشرة قدمت المذكرة الكردية^(١) المعروفة الى الحكومة العثمانية. عن طريق والى الموصل على الارجح في العام ١٩٠٧^(٢).

(١) سيرد ذكر البرقية بتفصيل في الصفحات التالية.

(٢) استقيننا هذه المعلومات عن جولات الشيخ من مسودات السيد صالح محمود البارزاني الذي نقلها عن لسان مرافق الشيخ عندما كان الاخير في الموصل في العام ١٩٥٤.

وفي كتاب الضحايا الثلاث ما نصه "جاءت مطالب الشيخ عبدالسلام بن الشيخ محمد التي رفعها الى الحكومة ورجا فيها ادخال بعض الاصلاحات الى منطقتيه من حيث الادارة وانتشالها من وهدة الفقر والتأخر العلمي والتدني الاقتصادي كتاييد لما كان ينسب اليه من عصيان وسوء نية. واعتبرت الحكومة هذه المطالب موعزاً بها من قبل الجمعيات الكردية التي كانت تسعى لاقامة حكم لامركزي في البلاد الكردية وهو ما كان يسعى اليه احرار العرب ايضاً".^(١)

مضمون المذكرة

اراد الشيخ عبد السلام ايصال نسخة من البرقية الى كل من (الشيخ عبد القادر ابن الشيخ عبد الله النهري) و (امين عال بدرخان) و (الفريق شريف باشا ابن سعيد باشا). وكان هذا خلافاً لرأى الموقعين على البرقية الذين ارادوها ان تكون رسمية بحتة. إلا ان الشيخ عبد السلام هكذا شاء. وكانت البرقية تتضمن المطالب الآتية:

أولاً - جعل اللغة الرسمية في الاقضية الكردية الخمسة اللغة الكردية (الاقضية هي: دهوك، زاخو، العمادية، عقره، سنجار).
ثانياً - جعل التعليم باللغة الكردية.
ثالثاً - يعين القائمقامون ومدراء النواحي وبقية الموظفين ممن يحسنون اللغة الكردية.

(١) عبد المنعم الغلامي (انظر فصل عبد السلام البارزانس).

رابعاً- لما كان الاسلام دين الدولة الرسمي، فمن المقتضى ان تجري الاحكام بموجب الشريعة الاسلامية.

خامساً- يعين لمنصب القضاء والافتاء من اصحاب المذهب الشافعي.

سادساً- تؤخذ الضرائب من المكلفين بمقتضى ما نص عليه الشرع ويلغى ما يزيد عن ذلك او يخالفه.

سابعاً- تبقى ضرائب بدلات العملة المكلفة كما هي على ان تخصص لاصلاح الطرق في الاقضية الخمسة^(١).

مع الاسف الشديد لم نعثر على صورة أصلية لهذه البرقية التاريخية التي تعتبر نقطة تحول هامة في المشيخة البارزانية وبداية عهد صراعها المرير مع الحكومات التي تعاقبت على حكم المنطقة منذ ذلك التاريخ وحتى يومنا هذا^(٢).

هذا البرقية التي تمت صياغتها في دار الشيخ نور محمد بدهوك والتي تضمنت مجرد دعوة سلمية الى الاصلاح وتعبير عن الحاجة القومية الى التطور والثقافة كانت تعني بالمنطق التركي مقدمة

(١) صديق الدمولوجي، ص ٩٦، المرجع السالف.

(٢) انبأنا السيد جرجيس فتح الله المحامي انه سأل مؤلف امانة بادينان في اثناء نظره في كتابه قبل طبعه عما اذا كان بالامكان العثور على النص الاصيلي للبرقية في ارشيفات الوثائق الرسمية للدولة العثمانية المباداة، فاجاب ان الدار التي كانت تحتزن الشكاوى والاخباريات الواردة من الولايات الى العاصمة استنبول قد اتت النار عليها وعلى محتوياتها اثناء تواجد قوات الاحتلال فيها بعد الحرب العالمية الاولى، ولم تعلم اسباب الحريق مطلقاً.

لحركة انسلاخ عن جسم الامبراطورية. فهي اذن دعوة انفصالية تستلزم استخدام القوة لقمعها.

بعد ارسال البرقية بفترة وسكوت السلطات عنها سكوتا مطبقا. تلقى الشيخ عبد السلام دعوة من قائمقام (بيرهكهبرا) يطلب حضوره لديه للمداولة في امر النزاعات والمشاكل المتعلقة بأغوات الزيبار والسعى لفضها بمداخلة حكومية نزيهة. وقد سبقت هذه الدعوة عدة مقابلات اجراها أغوات الزيبار مع هذا القائمقام اسفرت عن توجيه الدعوة لشيخ البارزان بالحضور والقاء القبض عليه ان استجاب او قتله ان تعذر ذلك. كانت مؤامرة مشتركة حكومية وقوى الاقطاع من أغوات الزيبار وآخرون، والهركية اعترفوا بأن القائمقام هو الذي طلب منهم الاشتراك في خطة تصفية شيخ بارزان.

توجه الشيخ مع عدد من رجاله، ضمنهم (ملاى ملا محمود) الى (بيرهكهبرا) بحماية قوة صغيرة وعبر الزاب الى مكان الاجتماع وهو خالي الذهن مما دبر له وكان الوقت خريفاً. وفي طريقه وصله من أحد انصاره في القرية تحذير من عاقبة مواصلة الرحلة وقد اضحى شكه في التحذير يقينا عندما اكتشف رجاله مواقع على الطريق فيها كمائن مسلحة، فبادروا الى تغيير خط سيرهم ثم انكفأوا على اعقابهم. ولدى وصولهم مجرى ماء (قورهبهگ) وهم بعضهم بالصلاة إذ بالرصاص ينهال عليهم من كل جانب. بهذا الشكل بدأت المفاوضات التي دعا اليها القائمقام العثماني. ووجد الشيخ نفسه في مأزق. إلا ان أعوانه أسرعوا فوضعوه في وسطهم وستره

باجسامهم واتخذوا مواضع دفاعية واخذوا يردون على النار بالنار وكانت كفة المترصدين في البداية راجحة ولكن مالبت أنصار الشيخ الا وصارت المبادأة بأيديهم بعد ان اصابوا برصاصهم عددا كبيرا من المهاجمين وبخاصة عندما صرعوا (كنعان هرنى) ^(١) المتعصب في ولائه للاغوات. ولما أصرّ قائدهم (عثمان آغا الزيباري) على البقاء ومواصلة القتال رغم حراجه موقفه صاح به صائح من أنصار الشيخ (ايها الاغا تكرم بالانسحاب قبل ان تفوتك الفرصة) فانصاع الاغا للنداء (المؤدب) ولاذ بالفرار وامر الشيخ قواته القاصدة (بيرهكهبرا) وراء فلول المهاجمين بان لايمسوا القرية بأذى و اشار على أعوانه بالعودة والتوقف عن مطاردتهم.

ومن المفارقات، أن يصل الرحالة البريطاني في اليوم الثاني من معركة (قورهبهگ) الى قرية (ريزان) ووجد هناك (أحمد آغا بيرسافي) مع رجاله المسلحين جاؤوا لنجدة شيخهم الواقع في الكمين، وقد هموا بالعبور من الضفة الشرقية للنهر الى الضفة اليسرى وكان القتال لايزال جارياً، يكتب: "LT. Col. Sir Mark Sykes عن أحداث تلك الأيام حيث شرح له مرافقوه ما يحصل وهو غير دقيق لكنه يعطي

(١) كان (كنعان هرنى) قد ثبت في خندقه اثناء المعركة وفشلت جميع المحاولات لاقتلعه من مكانه او القضاء عليه. وهنا اقترح (ملاى ملا محمود) على عدد من رفاقه إلهاء (كنعان) برشقات متواصلة من الرصاص حتى لا يتحرك من مكانه ريثما يتسنى لملاى ملا محمود الاقتراب منه لقنصه. وتم ذلك فعلا حيث كمن له في مكان قريب جدا من الخندق فاتيح قنصه وذلك حينما رفع راسه قليلا فنالتة في جبينه رصاصة (ملاى ملا محمود) وأردته قتيلاً.

فكرة عنها، فيقول: "توجهنا مع بعض المجازفة نحو قرية أحمد آغا، شعرت بالتأكد ببعض القلق مع اقترابنا من جدران القلعة ذات الثغرات، ولحسن الحظ لم يثير دخولنا القرية اهتمام الناس. لكن كانت تعج بالشائعات، حسن آغا الزيباري ينهب الشيروانيين وشيخ بارزان كان في عقرة ليشتكي لدى القائمقام نيابة عن الشيروانيين، القائمقام اخذ رشوة من حسن آغا وأبى أن يستمع لشيخ بارزان، وعندما كان شيخ بارزان في طريق العودة حاول حسن آغا اغتياله، والنتيجة ان اندلعت المعارك، وقتل عدد من جنود الحكومة، وأنهم ذهبوا إلى زيبار وقد احترقت خمس قرى تابعة لشيروان ... "

وكانت مشكلتنا هي كيف يمكن أن نصل الى (ريزان) من دون اثاره شكوكه بأننا سنهاجمه. "

"أرسلنا رسولا لإعلام (أحمد آغا) المتمرد بقدمونا، لقد استغرق سفرنا ستة ساعات ونحن نمرّ خلال عدد من القرى الخاوية، مهجورة من جميع القادرين على العمل، لا يوجد فيها غير أطفال ورجال ونساء هرمين بلا أسنان. وباقتراب وقت العصر، وصلنا الى الهضاب المطلّة على قرية (ريزان) هنا وجدنا خراطيش فارغة وبقع من الدم... " وفي الجانب الآخر من النهر شاهدنا خمس بقع من الدخان المتصاعد، وهي قرى تعود الى الشيروانيين. وبعد قليل شاهدنا أحمد آغا برفقة خمسة عشر مسلحاً، الأغا كهل وسيم طويل القامة ذو تعابير وجدانية مشوبة بالقلق. "

"ذهب القائمقام الى الزيبار برفقة مائتي رجل وأحرق خمس قرى تابعة للشيروانيين، - الواقع كانت القرى المحروقة تابعة لمقاطعة

نزار ولم تكن تابعة للشيروانيين كما يذكر الرحالة البريطاني _
تعليق من المؤلف. أو بالأحرى لم يتدخل لكي يمنع العشيرة
الهركية بحرقها، فقد طلب القائمقام من العشيرة الهركية الرحالة ان
تقوم بهذا العمل. أحمد آغا كان على ضفة النهر الشرقية لمنع رجال
حسن آغا عبور النهر".

بعدها يناقش الرحالة البريطاني أحمد آغا بيرسياقى فيقول عنه:
"أشار بحزن الى بقع الدخان المتصاعد من المنازل وراء النهر
وأرانا البيوت البائسة التي ألهمتها النيران، كانوا يجمعون الأخشاب
والصخور لبناء منازل جديدة، قال لي شيء كنت أعرف أنه على
حق _ قال عندما تتقاتل العشائر فيما بينها، فانهم لا يمسون
الأراضي والمنازل، لكن عندما تتدخل القوات الحكومية، فان رجال
القبائل يتخذون أشد الاجراءات ولا يلتزمون بقوانينهم الغير مكتوبة.
وعندما شاهدت الدمار الحاصل، راودتني الشكوك عن مدى فوائد
الحكومة المركزية لو قورن بالحقبة الاقطاعية".¹

ثم التقط LT. Col. Sir Mark Sykes صورة لأحمد آغا
بيرسياقى مع مجموعته المسلحة، تجدون الصورة ضمن الملاحق.

ففي اليوم الثاني بعد أن التقى LT. Col. Sir Mark Syke
بأحمد آغا بيرسياقى، عبر النهر مع فريقه الى منطقة (نزار) التي جرى
فيها القتال، ويشير في كتابه الى ماشاهده من خراب وحرق المساكن

1. The Caliphs' last heritage. A short history of the Turkish Empire. LT. Col. Sir Mark Sykes. First published in 1915. By Macmillan And Co, London. Garnet Publishing. P.434

وقد اعترف له مسلحي رجال عشيرة (الهركي) بأن القائمقام التركي هو الذي طلب منهم الاشتراك في خطة القضاء على شيخ بارزان واعترفوا أيضاً بممارسة القسوة في حرق القرى وأن ذلك مبعث خجل. بعدها يواصل (مارك) مع فريقه طريقه الى (دينارته) وثم (عقره).

هذه المكيدة كشفت النوايا التركية، فزاد حذر الشيخ وزالت ثقته نهائياً بالموظفين الاتراك. وعندما تولى الفريق (محمد باشا الداغستاني) ولاية الموصل في زمن الاتحاديين الذين سيطروا على الحكم اثر انقلاب ١٩٠٨ (اعلان المشروطية) لم يخف التوتر، بل ازداد بسبب سياسة التتريك التي اتبعها هؤلاء، وادرك الشيخ خطورة الحال وان لا النوايا الحسنة ولا المساعي المخلصة ستوقف الامور عند حد، اي قبل ان تؤول الى المواجهة المسلحة.

1. Caliphs' last heritage. A short history of the Turkish Empire. LT. Col. Sir Mark Sykes. First published in 1915. By Macmillan And Co, London. Garnet Publishing. Page 434-

الفصل الخامس والعشرون

معركة بئرس الاولى – خريف العام ١٩٠٨

الصفحة الاولى من المعركة :

"... من اولى اجراءات محمد فاضل باشا الداغستاني بعد توليه ولاية الموصل وقيادة الجيش فيها أنه أرسل الى الشيخ عبد السلام يدعوه الى مركز ولايته الموصل. إلا ان اصداقاً الشيخ فى كل من الموصل وعقرة نصحوه بالتريث وحذروه من الذهاب الى الموصل. وكان جواب الباشا (على هذا التلكؤ) تجريده (جيشاً) قوامه ستة آلاف جندي نظامي مع ستة مدافع. وفى عقرة أُنذر الشيخ بأنه فى حالة عدم اذعانه لأوامره ورفضه الذهاب الى الموصل فأن جنوده سيزحفون ويخربون زاويته..."^(١). فرفض الشيخ الحضور وابتى الانصياع لأمر الاستسلام ونفذ والي موصل تهديده وزحفت قواته حتى بلغت عقرة وبعد مشاورات مع الاغوات ورؤساء القبائل المعادين الذين هللوا وكبروا للتطور الجديد، تقرر أن تقوم الحكومة بنشر قطعاتها العسكرية للهجوم بمساندة قوات المرتزقة الكرد لاستخدامهم كطلائع كشفية وكأدلاء واداء بعض الخدمات الاخرى وحمل الاثقال، وهذه هي المرة الاولى التى عمدت الدولة العثمانية الى

(١) ف.نيكيتين (العائلة البارزانية) مجلة (شمس كردستان) العدد الخامس.

استخدام الجيش والمرتزقة معاً ضد شيخ بارزان. لقد استغرق خروج الحملة من الموصل ووصولها الى عقرة ثم اكتساح بارزان فالعودة منها ستة أشهر كاملة. وسنحاول الآن فيما يلي تسجيل صفحات المعارك في منطقة (بيرس- بارزان) كما سمعناها ممن ساهموا فيها وكانوا طاعنين في السن، وكما تلقينا بعضها عن طريق التواتر.

لم يتهول الشيخ وانصاره هذه القوة التي لاعدد للمنطقة بها من قبل (منذ الفتوحات الاسلامية) ولم يفقدوا معنوياتهم بل أخذوا يتدارسون الموقف بأناة وبرودة دم.

لقد جعلت الحكومة العثمانية لهذه الحملة اسبابها الرسمية وتتلخص في تمرد الشيخ البارزاني على الحكومة وشقه عصا الطاعة واتصاله بدولة اجنبية للقيام بحركة انفصالية، وانشاء علاقات مضرّة بأمن الدولة بين المشيخة والجمعيات الوطنية الكردية السريّة في استنبول وبوتان.

عبرت قوات الشيخ نهر الزاب الى الجبل (بيرس) وتمركزت في سفوحه الغربية، وكانت وحدات القوة بقيادة كل من (فقي عبد الرحمن) و (خوشوى سيلكى) و (عبدى بيكولى) و (حاجى دورى) و (سليمان وسمان آغا). كان هؤلاء القادة ولأول مرة يواجهون قوات نظامية ذات اسلحة عصرية بضمنها المدافع وهو مما لاعدد لهم به من قبل وهم الذين لم ينازلوا الا رجال القبائل يستخدمون نفس سلاحهم العتيق ونفس تكتيكهم الحربي. وكان يساند القوات

النظامية قوات كبيرة من المرتزقة الكرد الخبراء بجغرافية المنطقة
- خوانقها، شعابها، كمائنها، موانعها الطبيعية الخ...

كانت خطة الشيخ وأعوانه دفاعية صرفه، وهي ان يمسكوا جبل
بيرس ومداخله ويحولوا دون وصول القوات الحكومية والمرتزقة الى
قراهم عبره، لأن جبل بيرس يؤلف العقبة الغربية وهو خط دفاع
طبيعي ممتاز ومن الدرجة الاولى.

تحرك الجيش التركي من عقرة الى (دينارته) ونصب مدافعه
هناك، وشرع مشاته في التقدم نحو بيرس في الصباح الباكر
وأخذت المدفعية تقصف سفح الجبل. وعندما اصبحت القطعات
العسكرية التركية ضمن مدى مرمى بنادق القوات البارزانية التي
فتحت النار ودام الاشتباك عدة ساعات، وفي الوقت نفسه كانت
قوات المرتزقة تهاجم السفوح من جوانب عديدة بهدف تطويق
القوات البارزانية وارباكها، ففرقت وأضطرت الى اخلاء بعض
المواقع والتقهقر خوف التطويق وصعوبة الاستمرار في الصمود
امام قوات متفوقة بنسبة غير معقولة. لكن (فقي عبد الرحمن) بقي
صامداً في قطاعه ولم تبرح قواته مواقعها وواصل المقاومة امام
الوحدات النظامية العثمانية الى ان أوقع بها الهزيمة بعد اصابة عدد
كبير منهم. ثم انتقل الى الهجوم وراح يطارد فلولهم المنهزمة نحو
(دينارته) وكان هذا ايذاناً باشاعة الهزيمة والبدء بالتقهقر العام
نحو موقع الانطلاق الاول. وفي اثناء المطارة وقع خمسون اسيراً من
الجنود النظاميين بيد قوات بارزان مع كل اسلحتهم. وقتل من زعماء

المرتزقة (توفيق آغا هرنى) ومُنِي الجيش العثماني عموماً بخسارة جسيمة فى الرجال والمعدات ولم يفقد البارزانيون غير قتيلين هما (سارم) و (مامل) وجرح (صالح بير سيافى) شقيق (احمد آغا بير سيافى). توقفت قوات الشيخ من ملاحقة الجيش المنهزم الذي أنهارت معنوياته. وقد قصد الشيخ عبد السلام من وراء ذلك تأكيد رغبته فى السلام وحقن الدماء مراقباً رد الفعل الحكومى.

الصفحة الثانية

انتصر الشيخ فى الجولة الاولى من معركة بيرس، ووزع الكميات الكبيرة من الاسلحة الجديدة التى اغتمنت وأطلق صراح الاسرى لحسن نواياه، لكن والى موصل وقائد الحملة كان ابعد من ان تطمئنه مظاهر الرغبة فى انهاء القتال التى بدرت من الشيخ ولعله عد الهزيمة التى منيت بها قواته إهانة شخصية ولطخة على سمعته العسكرية، فقرر ان يكرّ عليه بحملة ثانية وخطة جديدة.

كانت هذه الخطة الجديدة تركز على عزل الشيخ عزلاً تاماً، وتحشيد أكبر ما يمكن من القوة الضاربة. فألب عدداً أكبر من القبائل وفتح جبهة قتال جديدة من ناحية الشرق فضلاً عن الجبهة الغربية فى بيرس. يقول (ف.نكيتين) "... قام الباشا بتحريض عشائر السورجى وخوشناو ومامش وأشنو على مهاجمة مواقع

الشيخ عبدالسلام بالتعاون مع قوات الحكومة...^(١) ثم نسق خطته مع حركة عشائر (الريكان) و(هورماري) و(هركي) و(برواري) و(نيروي) و(زيباري) و(گوران) و(زراري) و(دزهيي) و(گهردي) و(رهقه ندوك) و(بيره سني) و(برادوست). فكان اشبه شئ بالنفير العام. واستغرق اعداد هذه القبائل للقتال واعادة تنظيم الجيش العثماني المنهزم أكثر من ثلاثة أشهر.

بدأت عشائر (مامش ومنگور واشنو) بالزحف من شرقي منطقة بارزان، وبنتيجة الضغوط التي مارسها الحكومة رسميا فقد اضطر عدد كبير من الذين يعطفون على الشيخ الى المشاركة في حملة ضده، إذ لم يكن في وسع أحد منهم البقاء على الحياد وإلا أتهم بالتعاون مع البارزاني. وهكذا اضطرت بعض العشائر خوض القتال ضد بارزان رغماً عنها، لذلك حاول افراد هذه العشائر أن يخففوا قدر المستطاع من جريمة مشاركتهم بالترفيع عن عمليات الحرق والتخريب واتلاف المزروعات وسلب ونهب القرى التي يدخلونها. ويروي بهذه المناسبة انه عندما اغار أحد افراد الخوشناو على قفير نحل يعود لمنزل أحد البارزانيين وجنى منه مقدار من العسل وعرف بذلك رفاقه ضربوه ضرباً شديداً وجردوه من سلاحه ونبذوه عنهم عقاباً له، على ان هذا السلوك لم تلتزم به عموم القبائل.

(١) ف.نكتين (العائلة البارزانية) مجلة (شمس كردستان) العدد الخامس.

وشاركت قبائل شمدينان ايضاً فى غزوا المنطقة، فأكتسحتها
جحافلها من الشمال بأحتلالها منطقة مزوري. وهكذا بدأ الجيش
العثمانى بحملته الثانية.

قلنا كانت خطة (باشا الموصل) تهدف الى تشتيت المقاومة
البارزانية بفتح عدة جبهات لتشعرهم بأنهم مطوقون من كل جانب
ولا امل لهم فى الافلات ولا حظ لهم فى النجاح.

اجتمع الشيخ بقادته فى بارزان وبحث معهم النتائج الناجمة عن
تصميم الحكومة العثمانية على الاحتيال الشامل لكل المنطقة
وكيف ان الاصلاح الذي طلبه وسعى اليه ادى الى سوق حملة
عسكرية ستكون عاقبتها المزيد من الخراب والدمار، وأعترف بأن
مواصلة القتال ضد القوات المتفوقة جداً هو محض جنون ومعناه
الخراب الشامل الذي لا طائل تحته. فتم الاتفاق على (عدم
المقاومة) وعلى اختفاء الشيخ واعوانه المقربين فكانت لحظات
حزن عميق وساد الوجوم والكآبة الوجوه حين راح الشيخ يودع
قاداته العسكريين ومريديه. ثم ترك المنطقة الى جهة مجهولة. وبدأ
سكان القرى يطلبون الدخالة والامان تباعا. وأرسل الشيخ أسرته
من النساء والاطفال الى قرى الأثوريين موضع ثقته. وضاعت آثاره
وكأن الارض ابتلعتة. أما اعوانه فقد حلوا تشكيلاتهم الكبيرة
ونظموا بدلاً منها مفارز صغيرة العدد سريعة الحركة انتشرت فى
منطقة واسعة، ولأذت النسوة الكبيرات السن من بيت البارزاني فى
اوساط المزوريين.

من ذيول الحملة – بطولة حاجك جهمي

اكتسحت قبيلتا المامش والمنگور أراضي الشيروانيين من جهة الشرق وتقدمت القوات النظامية من الجهة الثانية (دينارته) الى بارزان والتقت جميعا في قلب منطقة الشيخ، فنهبت المواشي والقطعان واحرقت دور بارزان وحقولها وعاث مرتزقة الجيش التركي في المنطقة فساداً شفاءً للحقد القديم التي تكنه هذه القوات لبارزان وشيخها وأهاليها.

كان حاجك جهمي أحد قواد الشيخ قد حلّ اسوةً بغيره تشكيلته العسكرية الكبيرة واحتفظ بمفرزة صغيرة، وفي اثناء هجوم جماعة المرتزقة على الشيروانيين كان هو في طريقه الى ديارهم، فسمع دوى الرصاص ونداءات الاستغاثة تأتي من بعيد، فأرسل من يستطلع جلية الامر، وعاد الرسول ليخبره ان المرتزقة ينهبون مواشي القرى ويعتدون على اهاليها العزل الذين لم يستجب طلبهم الامان والدخالة. فلم يتمالك (حاجك) نفسه وتوجه الى القرى المعتدى عليها واشتبك مع المعتدين وتمكن بقوته الصغيرة من ايقاف تقدمهم وكبدهم خسائر. إلا أنه أصيب برصاصة في يده عندما كان يهجم بأخراج الرصاص من اجنته. استهان (حاجك) بجرحه البسيط الا انه عجز عن ايقاف النزف وفقد مقداراً كبيراً من دمه فخارت قواه فحمل الى أحد الكهوف حيث لفظ انفاسه الاخيرة. بقيت ذكرى بطولته هذه راسخة في اذهان البارزانين حتى اليوم يرددونها في مجالسهم وأخذوا (جريا على عاداتهم) يسمون اولادهم بأسمه تخليداً له.

من الجانب الحكومى اعتبرت الحركات العسكرية فى منطقة بارزان منتهية فى حدود آذار ١٩٠٨.

تمركز الجيش فى المنطقة

عسكر حوالي ألف من الجنود الاحتياط (الرديف) فى بارزان، وتمركزت وحدات عسكرية اخرى فى مناطق حساسة اخرى مثل (بيره كه بره) و (ههرنى) و (ميرگه سور) و (سيلكى). ورأى الاغوات أن الفرصة التى انتظروها قد سنحت لهم ليعيدوا السيطرة على قرى المنطقة ويستغلوها. أما آل مصطفى آغا فقد انحازوا الى جانب الحكومة بعد ان اخذت رياح مصالحهم تأتي من تلك الجهة.

كانت الاجراءات التى اتخذها الجيش التركى فى منطقة الشيخ تتضمن تعقب ومطاردة قوات الشيخ المشتتة والمختفية. ومساعدة الاقطاعيين على ممارسة نفوذهم القديم واستخدامهم فى عمليات التعقب والمطاردة والتفتيش عن المطلوبين والقبض عليهم، وتثبيت السيطرة الحكومية فى المنطقة عن طريق اسناد الادارة المدنية.

تحقيقاً لكل هذا فرضت القوات المحتلة رقابة دقيقة على سائر القرى لضمان عدم تقديم المعونة للمجموعات المتخفية، فقد كانت تخشى أن يشن قادة بارزان المختفين فى الجبال شن حرب عصابات على مواقع الجيش التركى، وقام المرتزقة المحليون وهم مناوئوا الشيخ بتجريد دوريات فى المناطق التى كان يتواجد فيها الثائرون، وجندت الدولة بعض الاغوات وأعاونهم لعمليات التجسس

داخل منطقة الشيخ والمساعدة فى اجراءات التفتيش وفرض عقوبات صارمة على كل من يعتدى على افراد الجيش وكل من يقدم المأوى او الطعام (للعصاة). وهذا ما جعل أنصار الشيخ يعانون أشد الضيق والمصاعب فى ايام الشتاء القارسة. وكثرت الوشايات واقتيد المخبر عنهم الى سجون الموصل وعقرة.

كانت مجاهل الجبال ذات الأخاديد والاجرراف الشديدة الانحدار والشعاب الضيقة الصعبة المرتقى والكهوف والوديان العميقة ملاذاً لأعوان الشيخ وملجأً حصيناً، إلا أن القوات كان مشكلتهم العظمى. لذا اضطروا الى العيش كانسان الغابات الاول، يقتاتون على النباتات وجذورها وعلى الاعشاب. ولم يكونوا يستقرون فى مكان واحد زمناً طويلاً خوف الوشاية. وركزت السلطات البحث عن شيخ بارزان ولجأت الى كل وسيلة متصورة، فكانت تعذب القرويين لإرغامهم على الإدلاء بمعلومات عن تنقلاته. وكان مجرد ظهور أحد رجال الشيخ فى قرية ما وعلم السلطات بذلك معناه الحكم بالدمار على تلك القرية وزج الكثيرين من ابنائها فى السجون، وهذا مما اضطر الكثير من المعلنين حيادهم فى النزاع (وهم يؤيدون الشيخ فى السر) الى التعاون مع السلطات علناً.

بسبب نشاط الجواسيس اكتشف مخبأ والدة الشيخ والنساء المسنات فى أحد الكهوف مخفيات، فرحفت قوة الى (ولات ژيرى) وحاول الحراس المرافقون للعائلة وهم قلّة، الدفاع عنهم ووقع اشتباك، إلا ان القوة الحكومية كانت كبيرة، فترك المدافعون مواقعهم

ولاذوا بالفرار مخلفين النسوة والاطفال (ومن بينهم ملا مصطفى البارزاني) تحت رحمة الحملة. فسيق الجميع (...هؤلاء المتآمرون- على حد تعبير ويغرام). الى سجن الموصل^(١).

ولقي أفضل قوات الشيخ (فقي عبد الرحمن) مصرعه في ظروف غامضة. واختلفت الروايات حول ظروف مقتله. والمعروف ان السلطات الحكومية احتزت رأسه بعد قتله وأرسلته الى عقرة. أما جسده فدفن في كهف سمي فيما بعد بأسمه، واعتبرت الحكومة التركية هلاكه ظفرا كبيرا.

لقد رزحت المنطقة تحت وطأة الوضع الاقتصادي القاسي وعاشت كابوس الاحتلال طوال اربعة أشهر ابتدأت من كانون الاول ١٩٠٧ حتى آذار ١٩٠٨.

(١) مهد البشرية، ص ١٣٣.

الفصل السادس والعشرون

أيام الاختفاء

تنكر الشيخ بزّي الدراويش وطلاب العلم، ووهب بغله لأحد المحتاجين امعانا في التنكر، وواصل سيره على القدم يرافقه امين سره (محمد هوكى) ووجهته بادينان، وكانا وهما يجتازان قراها العديدة يلتقيان بدوريات التعقيب التركية، فتمر بهما دون ان تظن لهما. وكثيرا ماغادرا قرية لتدخلها بعدهما بساعة او اقل دورية تركية جادة في تقصى آثارهما. كانت السلطة شديدة الاهتمام بالقبض على الشيخ وعرضت مكافآت نقدية مغرية لمن يأتي به حيا أو ميتاً، و يدلي بمعلومات تؤدي الى القبض عليه.

مكث الشيخ أياماً في كهف يقع في ضواحي (نيروه) بعلم من مرافقه الوفي (محمد آغا هيشه تي) والأخير كان معاصراً لشيخ بارزان الثالث والرابع، وكان المسؤول عن حمايته وتزويده بما يلزم من طعام وحماية ومعلومات، والكهف تحيط به اشجار البلوط الضخمة وهو يحمل الى اليوم اسمه اذ يعرف بـ (كهف الشيخ). وبعد ان أحس بخطورة البقاء فترة أطول غادره واختفى.

وفي قرية (سبينداروك) مكث ليلتين في دار (الحاج بدري السندي) ثم غادرها الى مكان مجهول. لقد كان وضعه يختلف عن وضع والده

عندما هرب هذا الاخير الى رواندوز، فقد وقفت الدولة العثمانية إذ ذاك موقف الحياد في الصراع بين الشيخ محمد وبين الحلف القبلي الذي تزعمه الشيخ محمد صديق النهري. أما الشيخ عبد السلام فلما كانت الحكومة التركية هي الطرف الثاني والرئيس فانه أصبح بالمصطلح القانوني (طريد العدالة) لايأمن على نفسه من أحد ولايستقر في مكان إلا ليرحل عنه الى آخر. واضطر الى اخفاء هويته تماما غير معتمد إلا على أخلص اصدقائه.

من بين اصدقائه المخلصين الذين آووه (الشيخ محمد نور القادري) الذي أقدم على اخفائه فترة من الزمن. وبطيريك الاثوريين (المارشمعون بنيامين) الذي استضافه رداً. وكان والي (ولاية وان) هو مكلفاً بالبحث عنه وتعقيبهِ، فأرسل قوة من الجندرية الى دار (البطيريك) في عاصمته قرية (قدشانس) فدخلت غرفة الاستقبال وكان عبد السلام فيها. فانشأ أمر القوة يتحدث الى البطيريك حول مهمته قائلاً ان والي (وان) أرسلنا اليكم بعد ان بلغتنا اخبار عن وجود الشيخ عبد السلام في حماكم وأني بأمر الوالي اطلب منك تسليمه".

أنكر (مارشمعون) وجوده بقسم فريد في بابه ينم عن ذكاء والمعية في تفادي الكذب، إذ أجاب أمر القوة بقوله: "اقسم لك بالانجيل اني اراه بمقدار رؤيتك له انت لا اكثر ولا اقل". وكان قسماً صحيحاً في الظاهر لكنه يفيد انكار وجود الطريدة، إذ ان الشيخ (عبدالسلام) كان موجوداً فعلاً وكلاهما كانا يشاهدانه. اقتنع

أمر القوة وأسرع بمغادرة مقر البطيريك مطمئناً الى ان حبراً عالي
القدر مثله لا يمكن ان يكذب.

كان (مارشمعون البطيريك) الآثوري من اصدقاء الشيخ
الحميمين، وقد برهن على مبلغ وفائه في وقت المحنة، إذ لم يكن
وحده في حمايته وانما كانت معه زوجته الثانية.

حادث وفاء آخر للشيخ يرويهِ (ويگرام)^(١) ((.... ظل الشيخ
أشهرًا وهو شريد، لا سقف يظله متنقلاً بين الجبال. وهنا جنى
ثمرة معاملته الكريمة للقرويين، فلم يخطر ببال أحد من رعيته
مسيحيين كانوا أم مسلمين - ان يخونه ويسلمه الى أعدائه.... وكان
أحد الارتال العسكرية يعقب الشيخ.

اثناء ذلك قبض على صبي تأخر عن جماعة الفارين فطلبوا منه
مهددين ان يدلهم على الجهة التي سلكها شيخه، إلا ان الصبي كان
أصلب من الحديد وأجابهم: أقسم باسم الشيخ انى لن أخبركم. وكان
هذا ما استطاعوا انتزاعه منه صنوف الترغيب والتهديد. وتشاء
الصدف أن يكون قائد الرتل التركى طيب القلباً فلم يسيء معاملة
الأسير الصغير. لكنه أسرع ليستخلص حكمة من سلوكه بعد ان
أخلى سبيله فقد قال لضباطه وهو يبتسم: "لن نربح من هذه
الحرب شيئاً وبامكانكم ان تحكموا من هذه الواقعة على طبيعة
الرجال الذين نقاتلهم. فهذا الطفل كان تحت رحمتي تماما ولن

(١) مهد البشرية، ص ١٤٢

يحاسبني أحد على قتله لو شئت. ومع معرفته هذه الحقيقة فقد تحداني وحلف باسم شيخه كأنه يحلف باسم الله"^(١).

من اعوان الشيخ المقربين الذين قاسموه المحنة (عبد الرحمن افندي العقراوي) ومرافقه (رؤوف). شاءت الصدفة ان تدفع بهذين الاثنيين الى قرية (باسيلان) في (التيارى العليا) واستأذنا بدخول بيت المختار، فرحب بهما، وما ان اقتعد كل مجلسه حتى لاحظا وجود ضيفين آخرين على مقربة منهما، أحدهما ملثم لايبين من وجهه شيء، والآخر مستلق على ظهره وقد بدا عليهما الارهاق والتعب. وبعد قليل لاحظا المختار يدنو من الجالس الملثم ويكلمه همساً ثم يعود ليهمس في اذنه ثانية. فساورت (عبد الرحمن افندي) المخاوف واخذ يفكر بالفرار لشكه بان يكون هذان المجهولان من جواسيس السلطة وان المختار متواطىء معهما. وارتبك (عبد الرحمن) وركبه الجرع، وفيما هو نهب للهواجس المخيفه إذ يصاحب الوجه الملثم يكشف عن وجهه فاذا به شيخ بارزان، فتحل البهجة محل الخوف ويكون لقاء منشود على غير ميعاد. والح (عبد الرحمن) على الشيخ بالبقاء معاً وان لايفترقا لكن الشيخ ابدى خطورة تجمع اربعة وهو اجلب للشك وأكد ضرورة اخفاء هوياتهم فانطلق، كل في سبيله.

انقضت أشهر الشتاء واعقبه ربيع العام ١٩٠٩ المبكر، وهنا قرر الشيخ وضع حد لتشرده وتنكره، فعاد الى منطقتة المحتلة وهو لايزال متخفياً ونزل في بابسيّفا) وهى قرية منقطعة تقع خلف جبل

(١) المرجع السابق، ص ١٤٢-١٤٣

(شيرين) في أعماق واد تتناثر على طوله قرى عديدة بأئسة صغيرة. في البدء استقبلوه استقبالاً اعتيادياً كأبي ضيف، ولما كشف لهم عن هويته انفجرت اساريرهم غبطة وزادت حفاوتهم به. وكان من الطبيعي ان يسري خبر ظهوره الى القرى المجاورة. وهكذا حتى بلغ جماعات الشيخ المسلحة التي كانت قد انحلت الى مفارز صغيرة، فخرجت من مكامنها للترحيب به وتجمع اعوانه ومحاربوه حوله من جديد مع جميع قادته العسكريين.

ظلت الحكومة تراقب تنامي قوة الشيخ دون أن تحرك ساكناً حتى كأن المفاجأة شلت افكار المسؤولين الحكوميين.

ههـ والنّامهى كئيب

الفصل السابع والعشرون

معركة سهريّ باز – ١٩٠٩

كما يبدو كان ثم خلاف في وجهة النظر الرسمية بخصوص معالجة الوضع والتعامل مع الشيخ عبد السلام، ففريق من رجال السلطة كان يدعو الى المسالمة واستخدام الدبلوماسية. ويمثله القائمقام العسكري (العقيد) صفوت بك. كان هذا الضابط يجذب التفاوض والتفاهم، في حين كان الوالي (محمد فاضل باشا الداغستاني) يريد المضي في استخدام القوة. وطال الجدل بينهما حتى غضب الوالي من صفوت بك واخذ يعمل لازاحته من منصبه متوسطا بالجهات الرسمية في استنبول.

ومن جديد استنفر الوالي عشائر السورجي والگوران والزيبار والهركي، وبدء يزحف بمعظم قواته نحو بارزان، وهدفه جبل شيرين صعوداً الى موقع (سهريّ باز) المشرف تماماً على الوادي وكل قرأه، حيث يتمركز الشيخ.

احتشدت القوات الحكومية ومرتزقتها في اعلى الجبل اي (قمة سهريّ باز) ونقلت مدافعها اليها بصعوبة شديدة، وتهيأت القوات النظامية والمرتزة للهجوم نزولاً لاحتلال قرى (وهلات ژيڤرى) وعلى وجه خاص (بابسيقا). وكان الشيخ طوال هذه الفترة التي اعقبت ظهوره في تلك القرية قد التزم جانب السكون ولم يصدر منه

مايمكن اعتباره حجة لقتاله. إلا انه لم يكن غافلاً في عين الوقت، فقد بادر فعياً قوته تعبئة تامة وقام بتحسين بعض المواقع.

بدأت المدفعية تقصف القرى الداخلة ضمن مدياتها، مركزة على (بابسيفاً)، إذ كانت الخطة التركية تعتمد على التمهيد بالقصف المدفعي ثم تقدم الجيش والمرتزة نزولاً الى أسفل الوادي. فشرعت بالتقدم، بينما بقيت وحدة عسكرية تحتل المواقع التي نصبت فيها المدافع الثلاثة لحمايتها "كانت اول الاشتباكات التي رقيت الى مرتبة المعركة بالمفهوم العسكري"^(١). وقد ادرك الشيخ خطة العدو وما ينويه تماماً، فترك القرية الى أطرافها وفوق جرف مشرف على قرية (داويدكا) امسك ببندقية واطلق طلقة النجدة، واسرع قواده الى تنفيذ الواجبات المناطة بهم، إذ كلف جماعة (ملاى ملا محمود) و (محمد هوكى) و (محمد مل بىانى) و (رجب مل هسنى) بمواجهة القوات الزاحفة على الميمنة في حين تولى جماعة (ملا حسن دلانى) و (قادر سبرى) وآخرون مهاجمة عدد من المواقع في موضع يعرف بـ (كهليا شيرين) وبهذا كانت قوات الشيخ منتشرة على جانبى خط زحف القوات المنحدرة، وكانت الخطة تقضي بأن تحجم قوات الشيخ عن الاشتباك مع الطلائع الزاحفة تاركة لها الحرية التامة في الانحدار الى الوادي واحتوائه ومن ثم احتواء كل الوحدات العسكرية النظامية.

(١) مهد البشرية، ص ١٣٣

لقى الجيش الحذر جانباً عندما لم يجد مقاومة لزحفه، وتوهم ان لا خطر بعد على مدفعيته التي كانت ترسل قنابلها باستمرار نحو أهدافها، وظن آخرون ان الاشتباكات ستدور في ضواحي قرية (بابسيقاً) في بطن الوادي، وكانت قوة بارزانية ترابط هناك بالقرب من القرية. تريتت القوات البارزانية وهي في مواقعها التي اتينا الى وصفها حتى ابتعدت القوات التركية مسافة طويلة عن قاعدة مدفعيتها، وإذ ذاك باغت البارزانيون مواقع المدفعية وحرسها، وبابل من الرصاص وأطبقوا عليهم من جميع الجهات، فتوقف القصف ودافع جنود القاعدة عن مدافعهم وانفسهم، إلا ان قوات الشيخ شدت من ضغطها، فاخذ الجنود يتركون مواقعهم ويلوذون بالفرار ولم يقد معهم زجر ضباطهم وتهديدهم، واخذت قوات الشيخ أخذ المبادرة بيدها، فطوقت القاعدة واحكمت تصويبها من مواقعها الممتازة، فتساقط عدد كبير من المدافعين ولقى عدد من الضباط مصرعهم. وكانت مجموعة صغيرة من البارزانيين تشاغل القوات الحكومية المنحدرة من القمة حينما وصلت أمريها أنباء ما يحصل في قاعدة المدفعية فوق الجبل، فصدرت الاوامر بوقف الزحف والنكوص على الاعقاب لفك الحصار عن القاعدة وانقاذ المدافع من الوقوع في أيدي قوات بارزان، إلا ان البارزانيين كانوا قد احتلوا القاعدة واتموا تصفية المدافعين عنها، وفوجئت القوات الحكومية الصاعدة بنار حامية من الاعلى ومن الجانبين ومن الاسفل تتخطفهم واحدا اثر الاخر، فتسمروا ولم يتمكنوا في الوصول الى القمة واصابهم ارتباك عظيم، فاستسلمت القوات النظامية وافلحت

اعداد من المرتزقة في كسر الطوق والافلات وتفرقت اشتاتا في
مجاهل جبل شيرين. لم تصب قوات الشيخ بأية خسارة واغتنمت
كميات كبيرة من السلاح والعتاد فضلاً عن المدافع الثلاثة، ووقع
بيدها عدد كبير من الاسرى. وفي بارزان خارت معنويات القطعات
العسكرية المرابطة في بارزان وتفشت فيها روح الهزيمة وتهيات
للانسحاب من المنطقة. بقول (ويگرام) بصدد المعركة ونتائجها
"... وهكذا وجدت ثلاثة افواج من أصل سبعة زحفت عليه وجدت
نفسها في فخ بين الصخور فاستسلمت له بكل اسلحتها وذخائرها
ومدافعها ولم يلحق الجليبين خسارة مقابل ذلك. واخليت الموصل
من قطعات الجيش المرابط فيها وارسلت لمواصلة القتال ودب في
قلوب سكانها رعب شديد وخافوا ان يقتحم مدينتهم اولئك
الجليون العتاة بقضهم وقضيضهم. لكن الشيخ آثر ان لا يخطو هذه
الخطوة التي قد تجعل الشق كبيراً يتعذر التحامه..." "ولقد مررنا
ونحن في سبيلنا بميدان احدى المعارك: انه تجويف بركاني في قفر
بباب تقوم على جانبيه جبال صخرية شديدة الانحدار. ها هنا
اصطدام احد افواج الحكومة بالشيخ ومقاتليه، إذ كان موجوداً
بشخصه في هذه المواقع. على انه ترك مهمة ادارة القتال بصورة
فعلية شخص يدعى (عبدالقادر)^(١) الذي كان بمثابة ضابط ركن له.
وتلك هي اولى الاشتباكات التي رقيت الى مرتبة المعركة بالمفهوم
العسكري، إذ كان رجال الشيخ يتهيبون فكرة الالتحام بجيش

(١) المقصود هو (قادر سيرى)

الحكومة. فلأجل ان يلهب الشيخ حماسهم ويقضي على ترددهم اطلق الرصاصة الاولى. وإطلاق رصاصة واحد في عرف شعب كردستان معناه الاستنجاد وطلب العون. امسك الشيخ بالبندقية وأطلق طلقة واحدة نحو السماء بحركة رائعة كأنه يستمد العون من الله نفسه. فكانت معجزة اليوم، إذ تم اسر الفوج كله مع ثلاثة مدافع جبلية. كان الجيش الذي جرد عليه خليطاً من النظاميين والمرتزقة انصاف المدربين ولم تكن ضمائرهم مرتاحة لحربهم شخصاً له هذا المقام الديني المقدس. ولم تتعد اجراءات الشيخ بعد انتصاره نزع سلاح أسراه وإطلاق سراحهم بعد اخذ العهود والميثاق منهم بان لا يحاربوه ثانية. لما لم يكن لديه سجن يحفظهم فيه، فالبديل الوحيد هو ان يقتلهم وهذا معناه إبادة، وهو شيء لم يكن يرغب فيه قط"^(١).

على إثر هذه المعركة تألق نجم الشيخ في الاوساط الشعبية، واخذت الدوائر الرسمية تحسب له الحساب، كما ان معنويات بارزان وحلفائها ارتفعت كثيراً، وقد كفل لها السلاح والعتاد المغتنم تسليح عدد كبير من المقاتلين الجبليين بسلاح جيد.

بعد هذه المعركة طرأ تغير ملحوظ على نظرة الحكومة الى الشيخ وبدأت علائم تشير الى نية استنبول في استرضائه وتسوية الخلافات. ومع أننا لاننكر أثر هذه المعركة في التبدل في وجهة النظر الحكومية إلا ان مؤرخي تلك الفترة يذكرون بان التحقيق الرسمي في شكايات

(١) المرجع السابق، ص ١٣٣

الاغوات على شيخ بارزان ولائحة اتهاماتهم التي اتينا الى ذكرها وكانت السلطات قد بدأت بها قبل الاشتباكات وانتهت منه بعد هزيمة (سهريّ بان) اثبت براءة الشيخ مما نسبته اليه اعداؤه والوشاة به، لم يكن له اي علاقة بحكومة روسيا القيصرية ولا بالتخطيط للانسلاخ عن الدولة العثمانية. وممن نوهوا بذلك التحقيق الرسمي صاحب كتاب (مهد البشرية).

وقد يضاف الى ذلك سبب آخر، وهو إدراك الحكومة انها بحملتها المركزة على مركز واحد من مراكز القوة في بلاد كردستان قد ابتعدت عن سياستها التقليدية، أعني المحافظة في تلك الربوع على توازن القوى بين الرؤوساء والزعماء وعدم السماح لكفة الواحد بالرجحان على كفة الآخر. لذلك فالغلو في (معاقبة) بارزان او القضاء على التكية لايعني غير استعلاء سلطة الاغوات وسيادة المشيخة النهرية على الموقف، ولم يكن هذا الوضع بأقل خطراً عليها من بقاء تكية بارزان قوية.

بناء على هذا او ربما لعجز في الدولة لاغير، أسرعّت الحكومة فأوعزت للقائمقام التركي في المنطقة بدعوة الشيخ للمفاوضة وابلغته بان الدولة قد اصدرت فرماناً بالعفو عنه وهي تسعى الى اعادته الى بارزان وفتح صفحة جديدة من السلم والاستقرار ودفن الماضي. وطلب منه الحضور الى قرية (بان) لإجراء المحادثات وانه (اي القائمقام) سيكون في استقباله هناك.

كان شيخ بارزان في (بابسيّقا) وكان العديد من انصاره وافراد اسرته في السجون وبضمنهم امه العجوز وأخوه الاصغر. فلم يتردد في انتهاز الفرصة وخرج من (بابسيّقا) بحرس قوي وعند وصوله (بهروث) توقف في (رهزيا) حيث كان ثمة من ينتظره ليخبره بان قرية باز محل الاجتماع المقرر محاطة بالجند، فعاد ادراجه متوجها الى (بالندا) ولم يتم الاجتماع. ان احداً لايدري هل كان حشد الجند جزء من فخ منصوب للشيخ ام مجرد استعراض قوة لغرض الحماية؟ لكن الشيخ على اية حال آثر الحذر على ضوء تجاربه السابقة.

هه والنامهي كيتير

الفصل الثامن والعشرون

الانتصاف من الاقطاعيين

قلنا فيما سبق ان الاغوات استغلوا اختفاء الشيخ عن الانظار واحتلال قوات الحكومة سائر المنطقة فعادوا ليتحكموا جوراً بمصائر الاهالي تسندهم حراب الجيش. بعد (سه ري باز) وفيما كانت الحكومة العثمانية تحاول الاتصال بالشيخ لاصلاح ذات البين اخذت الاشتباكات المحلية بين الاهالي وقوات الشيخ من جهة وبين مراكز قوى الاغوات تنتشر في طول المنطقة وعرضها. كانت هناك ثورة شعبية قيد التكوين جرأء مالحق بالسكان من ظلم وتعسف على يد الاقطاعيين في المنطقة. فمعظم القرى البارزانية واحلاف بارزان منها كانت تحت سيطرة الاغوات فتقاسموا فيها النفوذ كالسابق، وممن استعاد قبضته (عبد الله آغا الزيباري) الذي أرسل ابن اخيه (نصر الله آغا ابن فتاح آغا) نائباً له في قلعة (سيري). يصف (ويگرام) هذه القلعة قائلاً انها تقع على مرتفع من الارض وهي بناية ساذجة الهندسة الا انها محصنة بالاسوار وكأنها برج مراقبة من الدرجة الثانية^(١). على انها كانت في ذلك الحين تقوم بخدمة لاتثمن للاغوات في التضيق على اهالي (ولات زيري) اقتصادياً. كان خطر المجاعة ماثلاً للجميع، اضافة الى خطر قيام

(١) مهد البشرية، ص ١٣٥

المذابح وأعمال الشقاوة نتيجة لتراكم النعمة ضد هذا الاغا ورفاقه الاغوات عند كل القبائل المنتمية الى المشيخة، بسبب معاملتهم السيئة اثناء الاحتلال العسكري للمنطقة ودورهم المخزي اثناء الحركات العسكرية. كان (نصرالله آغا) هذا شابا جاف الطبع حاقداً محدود الفكر، لاسبيل للتفاهم معه ولا يعرف للمرونة والليونة معنى، فضرب حصاراً محكماً على تنقل الأهالي ومنعهم من الذهاب الى عقرة والعمادية وغيرها لشراء الارزاق، الامر الذي دفع القوم الى مراجعة الشيخ وطلبهم منه ان يضع حدا لاعمال هذا المتجبر، كان الشيخ آنذاك في (بالندا) ففكر أن يعالج القضية بالروية و الحسنى واستدعى أحد اعوان نصرالله واسمه (ملاشيخ) وطلب منه ان يذهب الى صاحبه ويبلغه بان شيخ بارزان لايرغب في خصومته مطلقا وكل ما يطلبه منه هو السماح للباحثين عن الاقوات بالمرور وعدم التعرض لهم. وانه لا بد عالم بأزمة الغذاء والمجاعة المتفشية. وأكد له نيته في لقائه للتفاهم. خرج الرسول متوجها الى القلعة وظل الشيخ ينتظر الرد، وفي اليوم التالي عاد (ملا شيخ) ووقف امام الشيخ عبد السلام والجمع الحاشد متهيبا لا ينبس بحرف، فأبى عليه الشيخ إلا ان ينهى اليه بالجواب علنا. كان الجواب كصاحبه خشناً بديناً يتضمن الرفض البات، وإذ ذاك قرر الشيخ تصفية الحساب معه بشكل حاسم وجرّد حملة لاحتلال القلعة.

تالفت قوة من المقاتلين ذوي خبرة في ميادين القتال منهم (سعيد ولي بك) الشيروانى و (شريف ملا حسن دلانى) عبرت هذه القوة الزاب الى ضفته الغربية واتجهت نحو قلعة الآغا. كانت ليلة ربيع

غزيرة المطر شديدة الريح. كانت القلعة نسبة الى قلاع اغوات كردستان تعد من القلاع المنيعه الصعبة الاقتحام ذات الاسوار المتينة العالية. وكانت أبوابها موصدة وقد طلق كلب الحراسة خارجها. لقد لعب هذا الحيوان دورا هاما في احتلال القلعة، كان مالكة هو القائد البارزاني الشهير (فقي عبد الرحمن) الذي لقي مصرعه كما بينا في فصل سابق، وقد هام الكلب على وجهه بعد ان فقد سيده، فعثر عليه آغا القلعة، فضمه اليه ودربه على حراسة القلعة ليلا، فكانت صدفة خدمت المهاجمين ان تعرّف الكلب على معظمهم، فأستقبلهم ولم ينبح او يأت بحركة تنذر من هم في الداخل.

وكانوا يقضون ليلة انس وسمر ويرقصون ويدبكون على أنغام الزنناى تتخلها الضحكات والهتافات، فشرعت الحملة في توسيع الثغرة التي ينفذ منها الماء في قناة تمتد من عين الجبل الى داخل القلعة. بعد ان أحدثوا فتحة كافية لجسم الانسان، تسللوا جميعا الى داخل الصهريج ثم الى القلعة، وفاجأوا الاغا طالبين منه الاستسلام، وعندما رفض ولجأ الى المقاومة، هجم عليه البارزانيون. كانت المعركة قصيرة، لان المقاومة ضعفت بعامل المباغته وبسبب الارتباك الذي اشاعة دخول هؤلاء غير المتوقع، وكانت النتيجة ان قتل نصر الله آغا. وتم احتلال القلعة.

نظمت أغان شعبية عديدة في اقتحام القلعة، وهي لاتخلو من عنصر المبالغة، نختار منها القصيدة التالية –

طوق ذوو العمائم الحمر قصر (سيري) المنيع.
(ونصر الله) ينادى الخدم والاعوان ان هلموا. قاوموا
لقد صدر من (بارزان) امر بقطع رأسي
قصر (سيري) قصر شامخ
يقع فوق مرتفع.
يطوقه رجال هبطوا من تحت ظلال الغيوم
(نصر الله) ينادي. اعزائي هلموا واصمدوا.
لن نكف عن القتال
الابعد ان تذيق ذويهم طعم العزاء والعيول
(سعيد اولى بك) يخاطب (نسو)^(١).
استسلم واطلب الدخالة
فالنجدة البعيدة عنك لن تصلك من عمك في (شوش)
ولن تصلك من (شرمن) كذلك فهي بعيدة.
واحربتي على قصر (سيري) المنيع
الذي احتله المريدون من جهاته الاربع
هاهم فتيان (كوره شهر) يهتفون بقوة.
الا فلنقاوم الا فلنقاوم
غير ان اصدقاء (شوش) و (شرمن) لا تستجيب
وفي زخم القتال لا أحد يدري (أنصر الله) حتى بعد؟
ام هو مثخن بالجراح؟ ام انه لقي مصرعه؟ عجا لا أحد يدري

(١) نسو هو تصغير لاسم (نصر الله)

قصر (سیری) منیع يتكىء على جبل.
وامامه نهر أزرق اجتازه ذوو العمائم الحمر
ثم دخلوا القصر من خلال قناة الماء الى الداخل.
أوثقوا كتاف (نصر الله) واقتادوه.
ثم اردوه قتيلاً برصاصة الـ (ماوزر) والـ (سوزنى)
وقذفوا بجثته الى النهر الازرق
عندها وجه (سعيد ولى بك) خطابه لـ (نصر الله) قال: ^(١)
انذرتك مرارا بان لن تصلك نجدة فهى عنك بعيدة -
لامن (شوش)

ولا من (شرمن)

ولا من عمك (عبد الله آغا)

ووجد الشيروانيون فرصتهم المواتية للانتصاف من الاغوات
عندما عمد هؤلاء الى قتل (حادى) من أنصار شيخ بارزان فالفوا من
بينهم قوة قضت على معظم هؤلاء الاغوات رميا بالرصاص في (سه
روكانى) مركزهم الرئيس.

وثارت قبيلة المزوري على اغواتها وفتكت بهم، وساد شعور عام
بوجوب القيام بتصفية شاملة لجميع الاغوات، فدب الذعر في القلوب
واحتمى عدد من اغوات (كانى بوت) بالشيخ في بارزان خوفا من
هجوم المريدين، وفرّ بعضهم الى المناطق التي يحتلها الجيش طلبا
للمماية مثل (آل مصطفى آغا) من الزيبار.

(١) سعيد ولى بك من قادة المريدين الذين احتلوا القلعة.

كل هذه التصفيات كانت اعمالا عفوية قادها أناس من ذوي الرؤوس الحارة بدون علم الشيخ او امر منه، وقد آلمه الوضع كثيراً واجتاحه الغضب من المحرضين والفاعلين وخشى التماذى فى الاعمال الانتقامية و سريانها الى الاغوات الصغار الذين لم يكن اعتداؤهم يستحق مثل هذه التصفية الجسدية وهم كذلك ممن يمكن كسبهم، فاستدعى (خوشهقى سيلكى) الذي كان قد تزعم حملة تصفية اغوات المزورى، واقبل عليه ينتهره بعبارات قاسية مهينة، ثم اندفع نحوه وانتزع من يده بندقيته ووضعها فوق صخرتين ثم هوى على وسطها بصخرة كبيرة فكسرها نصفين، وهي اهانة عظيمة توجه الى محارب قبلي - فانفجر (خوشهقى سيلكى) باكيا لفرط ما ناله من الازلال والتحقير امام الملاء.

فكان بذلك نهاية عمليات التصفية للأغوات، ولم يجرؤ بعد هذا أحد على ممارسة العنف. هذا وقد اقتحم الأهالى قصور الاغوات فى القرى، فاستولوا على ما هو مخزون فيها من الحبوب واقتسموها فيما بينهم.

الفصل التاسع والعشرون

سياسة السلطة الجديدة تجاه المشيخة

المفاوضات

جاء في (الضحايا الثلاث) «سقطت الوزارة الاتحادية وتولى الحكم رجال حزب (الحرية والائتلاف) وكان ناظم باشا قد عين والياً على بغداد، وذلك قبل ان يستدعى الى تولي وزارة الحربية في استنبول من قبل اركان الحزب المذكور، وكان هو أحد اقطابه. فرأى هذا الوالي الحكيم ان المصلحة تقضى بوجوب إسدال الستار على كل ما أسند الى البارزاني وما الصق به من تُهم، فأصدر العفو عنه وعن كافة المشردين البارزانيين، بل وذهب (اسعد باشا الدرزي) والي الموصل بالوكالة الى ابعده من هذا، فطلب من الباب العالي منح وسام الى الشيخ عبد السلام.^(١)

ويتفق هذا تقريبا مع ما جاء في (إمارة بادينان)، إذ جاء فيه، يأتي (ناظم باشا) والي بغداد فيصدر العفو عنه (اي الشيخ عبد السلام) ويعوضه الخسائر التي اصابته في حرب (محمد فاضل باشا) ببضعة آلاف من الليرات وتبع امير اللواء (اسعد باشا) قائد الفيلق الثاني عشر ووالي موصل بالوكالة) هذه السياسة نفسها،

(١) عبد المنعم الغلامى، الضحايا الثلاث.

ويطلب من الباب العالي تلطيفه بوسام تقديرا ل صداقته واخلاصه،
فيوجه اليه الوسام المجيدي من الصنف الثالث^(١).

على اية حال فأن نتائج المعارك فى (سهريّ بان) ان لم تكن
العامل الاساسي لتغير سياسة المسؤولين وموقفهم من الشيخ فقد
كان لها الاثر الاكبر فيها. وبهذا أصبح بإمكان دعاة السلم والتفاهم
وعلى رأسهم العقيد (صفوت بك) ان يجهروا برأيهم. وهذا هو الذي
كان قد نصح بالحل السلمي والتفاوض بدلا من اللجوء الى العنف.

وكان قد أدلى برأيه هذا قبل الهزيمة العسكرية فى (سهريّ بان)،
ولذلك اناطت الحكومة التركية به مهمة اللقاء بشيخ بارزان
والتفاوض معه، فغادر (صفوت بك) الموصل وهو شديد الرغبة فى
لقاء شيخ بارزان والتوصل الى اتفاق تام.

ووصل الى بارزان وأرسل يطلب اللقاء بالشيخ الذي كان فى (بابسيقًا)
وخيرّه بتعيين مكان الاجتماع، ففضل الشيخ ان يكون ذلك فى مصيفه
(تاتوك) وتوجه اليها بحرس قوى والتقى بـ (صفوت بك) وأجريا
محادثات اسفرت عن الاتفاق على المسائل الملحة التالية: -

اولاً- افراج الحكومة عن السجناء الذين اتهموا مع الشيخ فى حركته
وإطلاق سراح نساء الاسرة البارزانية.
ثانياً- التعويض عن الأضرار التى لحقت بالمنطقة جراء الحروب
واعمال السلب والقتل.

(١) صديق الدملوجى، ص ٩٨.

ثالثاً- البدء فوراً ببناء المدارس والمستشفيات وايصال الخدمات الاجتماعية الاخرى الى المنطقة.

رابعاً- تسليم المدافع والبنادق وسائر المهمات الاخرى التي غنمها البارزانيون الى السلطة.

خامساً- انسحاب الجيش من المنطقة على ان تبقى حامية رمزية قليلة العدد.

سادساً- بناء مراكز للشرطة و للادارة المحلية.

سابعاً- عزل او نقل الموظفين الذين دفعوا بالأمر الى هذا المسار السلبي وتسببوا فى الكارثة، وتعيين موظفين نزيهين يحسنون اللغة الكردية.

ثامناً- فرض العقوبات على الاقطاعيين الذين تحالفوا مع الموظفين المرتشين الذين كانوا سبباً فى الخراب والمأساة وشوهوا موقف الشيخ وحجب الثقة الرسمية عنهم.

أعلن الاتفاق وعودة السلام الى المنطقة من منبر أكثر الجوامع فى أثناء خطب أئمة الجمعة. وكان الممثل التركي يردد قوله لـ(عبدالسلام)- "انني أدرك مدى الاضرار والغبن الذى لحق بكم وقد جنئت لإصلاح ذلك" وقال له ايضا " أرجوا رفع التكليف فلست اظن انكم ستحضرون بهذا العدد القليل من المسلحين" وهو هنا يشير الى تجارب الشيخ السابقة و المحاولات العديدة التى دبرت لاغتياله. ومن هنا أوماً الشيخ إلى أتباعه، فظهروا من مكانهم خلف الصخور، وانحدروا الى مكان الاجتماع. وقد اقترح (صفوت بك) المزيد من

المحادثات فى قرية بارزان، فوافق الشيخ، فى حين امتعض اتباعه من قبول الشيخ الدعوة وساورتهم الشكوك.

ونزل الجمع الى قرية (بارزان) للمشاركة فى المأدبة التى اقامها (صفوت بك) على شرف الشيخ.

كانت المنطقة بحاجة الى اعانة اقتصادية سريعة، وكانت بحاجة الى عمل عاجل للتخفيف من الضائقة الناجمة عن الاحتلال ومحوا مخلفات الحرب وآثارها.

وفى عام ١٩١٠ كان بإمكان كل زائر لبارزان ان يسمع النشيد الوطنى التركى الذى يشيد بالحرية والعدالة والمساواة ينشده اطفال المدرسة الجديدة كل صباح^(١). فلأول مرة فى تاريخ بارزان تؤسس مدرسة رسمية على قطعة ارض للشيخ. لقد حرص الشيخ على القيام بزيارات اسبوعية لهذه المدرسة وتفقد احوال الطلبة والمدرسين. ويروى انه كان مرة فى زيارة أحد الصفوف، فلمح تلميذاً قد خبأ

(١) تروى هذه الحادثة الطريفة التى وقعت اثناء المباشرة ببناء المدرسة. وكان الشيخ يشارك الحفارين فى العمل عند تخطيط اساس البناء وبيده الفأس. حين اشار(صفوت بك) الذى كان حاضراً الى الجنود الاتراك بالتحرك هرولة نحو الشيخ (ربما لمساعدته) إلا أن الأمر اثار الريبة لدى مريدي الشيخ، فبادروا الى رمى فؤوسهم ورفع بنادقهم لدرء الخطر الموهوم، فأسرع (صفوت بك) مشيراً الى البوقي لينفخ نفير التقهقر، فأدار الجنود ظهورهم لبنادق رجال الشيخ قبل ان يتحول الهزل الى جد. اما الشيخ فقد واصل عمله كأنه لم يلحظ ما جرى.

خنجرا تحت حزامه التقليدي العريض، فنهاه عن ذلك ووجه كلامه له ولبقية التلاميذ مؤكداً بأن الانقطاع الى الدرس والتحصيل اهم مما عداه، وان الجميع بانتظار ما سيقدمونه من خدمة بعد ان يصيبوا من العلم حظاً. وبذل الشيخ جهوداً كبيرة في اقناع الآباء بمنافع الدرس والعلم، وكان في اتباعه صدود تقليدي من هذا الشكل من التحصيل العلمي ومن المدارس واجبر أولياء امور التلاميذ على ارسال أولادهم الى المدرسة فلم يسعهم الا الانصياع.

تطلعات الشيخ الوطنية

إن الروح الوطنية التي تحلى بها الشيخ عبد السلام لم تكن سراً ابداً، وهو من جانبه لم يحاول اخفاء ذلك قط. فبعد الوقائع والمعارك التي أسلفنا ذكرها بفترة قليلة نجده يصارح (الرحالة ويغرام) عند زيارته (بارزان) في احدى جولاته في بادينان. بكل ما يعتلج في نفسه من احساسيس تجاه تطلعات الشعب الكردي الى التحرر والاستقلال والأخذ بأسباب الحضارة "... كانت الساعة تقترب الخامسة مساءً عندما بلغنا اول بيوت القرية (بارزان) وكان حشد الرجال والجياد المجتمع حول القلعة دليلاً على وصول الشيخ وحاشيته قادما من العمادية.

وسبقتنا أنباء وصولنا واستقبلنا وفد من لدن قداسته ينقلون لنا دعوة او بتعبير آخر امراً منه تحت الظروف الراهنة كيما ننعم بضيافته تلك الليلة فترجلنا عند باب القلعة بين حلقة من الاتباع

الغلاظ الشداد. وأستقبلنا الشيخ على رأس درج حجري خشن المرقى محييا مرحبا وقادنا بنفسه الى (كهـيره كان يستخدمها بمثابة قاعة استقبال مؤقتة ورجانا ان نجلس على المطارح التي بسطت لنا حالا قبـالته.... كان تنازلا عظيمـا من رجل عظيم يخرج للقائنا على رأس الدرج. ان اغلب الشيوخ البارزين يتعمدون ان يكونوا خارج الغرفة عندما يدخل الزوار الاوروبيون كى لا ينهضوا فى استقبالهم مؤكدين بذلك تقدمهم عليهم. لكن الشيخ البارزاني كان يدخر لنـل تكريما أسمى من هذا بتنازله الى تناول طعامه معنا وهذا ما اصاب اتباعه بتردد واضح. كيف يمكن ان يأكل (قداسته) مع اثنين من الكاور؟ (الكفار).

ويصف ويكرام ملامح الشيخ كما رآه هو كمعظم سكان الجبال متوسط القامة ضامر الجسم ممتلىء حيوية ونشاطاً، ذو وجه مهيب بشوش. يضع على رأسه عمامة بيضاء فوق قلنسوة. ويرتدى صداراً وسروالاً بلون ابيض وعليهما جبة سوداء مطرزة بالاحمر. وفوق الجميع عباءة خضراء. وتتألف حاشيته من ثلاثين الى اربعين تابعاً مريداً يتميزون بعمائمهم الحمر ذات الاهداب السائبة. وأكثرهم كان يحمل مائتي اطلاقـة او نحوها من الخرطوش الكردي وبنادقهم هى من طراز (شنايدر ومارتيني) كانت قد اسندت الواحدة فوق الاخرى على حائط (البلايى - الكبره). وكان الجميع يظهرـون لزعيمهم الشاب مظاهر الاحترام والطاعة."

اما عن روح التسامح الديني التي كثيراً ما أشرنا اليها في السابق فيقول ويگرام ((بعد زيارتنا (للشيخ) بزمان قصير. انفجرت براكين نزاع قبلي طويل الامد بين قبيلة التخوما^(١) وبين بعض جيرانهم الكرد المسلمين مؤخراً وبات يندز بشر مستطير، وحاول الطرف المسلم محاولات غير مستحبة لاقناع اخوانه الآخرين في الدين بالانضمام اليه لشن حرب جهاد. ولقد أصبنا براحة عندما علمنا ان شيخ بارزان تدخل لفض النزاع تدخلاً جدياً حازماً بعد ان رفض الموافقة على الجهاد رفضاً قاطعاً ومنع اتباعه ومريديه من التدخل.

أقم نفسه في القضية لانه غيور على استتباب الامن واشاعة النظام ولصنع معنا جميلاً، إذ انه لم يكن مرتبطاً بأي التزام ادبي مع (التخوما) لاسيما بعد ان رفضوا ايواه عندما كان الجيش التركي يتعقبه. " (٢)

وفي نطاق حديثه عن قرية آثورية منقطة في الجبال يقول: "ان (ارديل) وهو اسم القرية - تستحق التهنئة من عدة نواح. فأهلها يقرون انهم لا يجدون سبباً للشكوى من الناحية السياسية لان صاحبها هو آغا (سورايي) فيكون سيدهم الاعلى والحالة هذه شيخ بارزان الذي عرف بلقب (شيخ النصاري) لانه يعامل النصاري وأتباعه المسلمين على قدم المساواة. وتسامحه هذا جعلهم ينعمون بالامن والحصانة من الاضطهاد والنهب والسلب. وهم (أي النصاري) يقدمون عنه نفس الشهادة التي جاءت بحق (بريان بورو). Brian Borouangh King

(١) هي واحدة من القبائل الأثرورية الأربعة الكبرى.

(٢) مهد البشرية، ص ١٣٥.

of Irland. ملك ايرلندا في الازمنة الغابرة، إذ قيل عنه - انه بإمكانك ان تترك حليه ذهبية في دغل على مقربة من الطريق ضمن املاكه وانت آمن عليها تماما." (١).

ويستطرد ويگرام "أبدى الشيخ استعداده لمرافقتنا الى (انكلترا) لكي يطلب شخصياً من رئيس اساقفة كاتبري فتح مدارس في قراه" (٢)... ويسره في الوقت نفسه ان يعتبر الانكليز اصداقاً شخصيين له (٣) ويذكر ويگرام انتقال الشيخ الى الشؤون السياسية ". كانت الشؤون السياسية المحلية للريف الكردي مدار حديثنا معظم الوقت، وكان ينعى فقدان سيادة القانون في كل مكان. وهو في رأيه من سوء حظ المسيحيين والمسلمين واستغرب من عجز بريطانيا وروسيا عن ادخال الاصلاح الى هذه البلاد وتساءل قائلاً - لقد ذهبتم - يقصد الإنكليز- الى الهند وبقيتم هناك مع انهم لا يريدونكم؟ لماذا لاتأتون الى هذه البلاد، فأهلها يريدون التعلم منكم... ولما سمع الشيخ اننا عائدون الى انكلترا بعد أشهر قليلة

(١) المصدر نفسه ص ١٤٤.

(٢) المصدر نفسه ص ١٣٧

(٣) المصدر نفسه ص ١٢٩ كان مؤلف كتاب (مهد البشرية) عضواً في البعثة الدينية التي ارسلها (رئيس اساقفة كاتبري) من انكلترا بناء على طلب من بطريك الكنيسة الشرقية الأثرورية المار شمعون للتحقيق في الطقوس والعقائد الكنسية التي تتبعها هذه الكنيسة التي كانت مجهولة عند طائفة الانكليكان (المذهب الرسمي في انكلترا) وهذا هو سر تواجد المؤلف في تلك الاصقاع.

على الاغلب أبدى استعداداه لمرافقتنا ليزور (الملك جورج) ويجلس معه للبحث في قضية (کردستان) والبت في أمر استقلالها. ولم يكن في وسعنا مع الاسف الشديد ان نؤمله بشيء. لكن اقتراحه كان مخلصاً نابعاً من قلبه بلا شائبة.

لقد كان الشيخ مدركاً بان بريطانيا وهي بلا جدال أعظم و أقوى امبراطورية في العالم، كانت تستطيع ان تملي ارادتها على الدولة العثمانية متى شاءت وكما فعلت في مواطن عدة، فضلاً عن بريطانيا وفرنسا و غيرها من الديمقراطيات الغربية بصرف النظر عن تطلعاتهما الاستعمارية وشهوتهما الى مناطق النفوذ في بلاد (الرجل المريض) كانتا تعتبران من حماة الاقليات العنصرية والمذهبية المضطهدة في الدولة العثمانية، كما كانت عواصمها ومدنها ملجأ وملاذاً لجميع الاحرار العثمانيين الهاربين من جواسيس السلطان وسجونه ومن بينهم الوطنيون الاكراد كما اسلفنا^(١). لذلك كان شيخ بارزان يطمع في تدخل إحدى هذه الدول لمصلحة الشعب الكردي وتأييده في كفاحه من اجل الحرية والخلاص من نير الحكم العثماني إلا أن روسيا القيصرية كانت تحتل الدرجة الاولى في تفكيره لقربها جغرافياً من كردستان في حين تأتي بريطانيا وهي الدولة البحرية البعيدة بالدرجة الثانية.

(١) كانت التهم الاصلية التي وجهها جمال باشا السفاح (والي سوريا ولبنان) لشهداء عالية ومن ثم شنقهم ، هو صلتهم بالقنصليتين الانكليزية والفرنسية ومراسلاتهم مع حكومتيهما لمساعدة الوطنيين العرب على الاستقلال والتحرر، وقد اكتشفت الوثائق التي ادينوا بمقتضاها عندما كبست القنصليتان على إثر اعلان تركيا الحرب على الحلفاء في الحرب العالمية الاولى.

الفصل الثلاثون

الغيوم تتجمع

عاد الشيخ عبد السلام الى بارزان وأطلقت السلطة سراح السجناء الذين بقوا على قيد الحياة^(١). بما فيهم النسوة والأطفال والأخ الصغير للشيخ (ملا مصطفى) الذين عادوا من سجن الموصل. وتفرغ الشيخ الى مطلب الساعة وهو تنظيم الحياة الاقتصادية للمنطقة. كلف أعوانه بالاشراف على جباية زكاة المحاصيل وفق تعليمات الشريعة الاسلامية، وأزال عن كاهل الفلاحين الاعباء التي كان الاغوات قد كلفوهم بها، فلم يعد ثم سخرة ولا ضرائب. وامتد نفوذه فشمّل منطقة واسعة من بادينان من نهر الخازر الى (دهشتا زي) والنيروه حتى بيروخ الى نهر (موسه كاف) وجميع (بياقه) وعمد وقف واردات التكية على الفقراء وعين (اسماعيل عمر زال) و (زبير چاربوتى) و (سليم گورگه قاي) مشرفين ووكلاء على القرى التي كان أغوات الزيبار يحكمونها كما عين (نعمان طه بيهر كهبرى) في (نزار).

ونشر العدل بين الناس، وكان حساساً من هذه الجهة الى ابعاد الحدود، مدركاً عاقبة الظلم، يتبع في تصريفه الامور مبدأ (اذا بلغتني مظلمة ولم اعجل في ازالتها كنت انا الظالم). وأصبح شخصه

(١) توفي عدد كبير من المعتقلين في السجن بسبب سوء المعاملة والاهمال.

رمز ردع لكل من تسول له نفسه الاخلال بالأمن أو الاعتداء. ولُقب بأبي الفقراء لتفقدته احوالهم وقضاء حوائجهم. إلا ان الزمن لم يتح له الاستمرار في عملية الاصلاح الجذرية التي بدأها وهي ثورة اجتماعية كاملة الابعاد في بلاد كردستان، فقد اغتيل (ناظم باشا)^١ ناظر الحربية بموآمره دبرها رجال حزب الاتحاد والترقي، وحول هذا الانقلاب، كتب الصحفي التركي (ماركار ئيسان Markar Esayan) : "في حالة تركيا، الدولة العميقة هي الدولة نفسها، فالجزء المرئي من الدولة هو ديمقراطي، لكن الجزء غير المرئي كان دائماً حكماً شمولياً ووحشياً، هذا النموذج تأسس عام ١٩١٣ إثر انقلاب قاده حزب الاتحاد والترقي، مصطفى كمال باشا حول هذا النموذج، انها دولة تحكم وطنها كمستعمرة، وتستخدم أقسى الأساليب ضد شعبها، هذه هي الدولة العميقة."^٢

ولم يفقد الشيخ به نصير فحسب، بل ان اغتياله في العام 1913 كان يعنى عودة خصومه الالداء (الاتحاديين) الى الحكم. عادوا واستأنفوا تطبيق سياستهم الاولى باستخدام الارهاب والشدّة في ضرب الخصوم ومعالجة الامور ولاسيما قمع اصوات الاقليات المضطهدة. فعزلوا (اسعد باشا الدرزي) صديق الشيخ الحميم عن

(١) تم اغتيال ناظم باشا من قبل جمعية الاتحاد والترقي في ٢٣ يناير ١٩١٣ خلال الانقلاب العسكري العثماني عام ١٩١٣ وانتقاماً له قام أحد أقاربه باغتيال الصدر الأعظم المدعوم من الجمعية، محمود شوكت باشا في ١١ يونيو ١٩١٣.

(٢) جريدة الزمان. ماركار ئيسان ، ٢٠١٢، ١٢، ٢٦ باللغة الإنكليزية .

ولاية الموصل وعينوا بدله (سليمان نظيف بك) أحد أعضاء حزبهم المقربين. "... تمكن الاتحاديون من اسقاط الوزارة الائتلافية وتسلموا مقاليد الحكم للمرة الثانية واسندوا رئاسة الوزارة للفريق محمود شوكت باشا. وكان في الموصل اثناء هذه الحوادث (صفوة بك) القائمقام العسكري وهو من رجال حزب الحرية والائتلاف. فاختفى على اثر ذلك فجأة من المدينة، وبعد مدة قتل محمود شوكت باشا رئيس الوزراء فالصق الاتحاديون هذه الجريمة بخصوصهم من حزب الحرية والائتلاف وشاع الخبر بأن القاتل هو (صفوة بك) نفسه وانه قد التجأ الى الشيخ عبدالسلام"^(١).

لا احد يدري هل ان يد (صفوة بك) هي التي اطلقت الرصاص على (رئيس الوزراء) فأردته؟

ولكن مسألة لجوء المتهم بالقتل الى الشيخ عبد السلام هي حقيقة ثابتة. ففيما كان الراعي (لقرؤك) يرعى قطيعه في (بهروژ) خارج القرية، انتبه الى نباح كلابه الفجائي، فدنا من المكان يستطلع، فاذا به وجهاً لوجه أمام (صفوة بك) الذي كان قد عبر نهر دجلة متخفياً وقطع هذه المسافة الطويلة سيراً على قدميه حتى انتهى الى منطقة الشيخ. زجر الراعي كلابه فكفت عن النباح وكشف (صفوة بك) شخصيته للراعي وحذره من إذاعة النبأ وأمره ان يتوجه الى الشيخ عبد السلام ويخبره بوجوده. فأسرع الراعي الى بارزان بعد ان اوكد للطريد الهارب ناراً يستدفىء عليها. وما ان

(١) الضحايا الثلاث (فصل عبد السلام البارزاني).

وصل النبأ الشيخ حتى بادر الى استقدامه وأُخليت له غرفة و تقرر ان يكتم سره حتى عن اهل قرية بارزان نفسها. وظل (صفوة بك) في دار الشيخ يلقي كل تقدير ورعاية، وكان الشيخ يديم اللقاء به خلال فترة الاشهر الثلاثة التي أقامها هناك، فيحادثه في قضايا الساعة ومشاكل الحكم في تركيا. ويستفهم منه عن التيارات السياسية المتصارعة ومستقبل علاقات بارزان بالحكومة الجديدة وموقف الائتلافيين في الميدان السياسي حالياً الخ... وقد استخلص الشيخ من تلك الاحاديث ان الاتحاديين لن يدعوه في راحة وانهم سيخلقون ما امكنهم من المتاعب، إذ كانوا قد وضعوه في قائمة اعدائهم من المبدء. وقد تحقق ذلك بأسرع مما توقع.

كانت القوات الروسية مرابطة في شمال ايران، وكان العداء التقليدي بين الدولتين يضاعف من مخاوف الاتراك على الحدود، لاسيما بعد ان وقفت الدولة العثمانية على المحاولات التي تبذلها روسيا القيصرية للتقرب من شعوب الشرق الاوسط الداخلة ضمن الامبراطورية العثمانية. كان الشيخ بدوره يدرك هدف الحكومة العثمانية من إثارة النعرة الدينية في نفوس الشعوب الاسلامية الخاضعة لها بوصفه أضمن وسيلة لقطع الطريق على روسيا وبريطانيا الى تلك الشعوب. فالدين عند الاتراك كما يقول (ويگرام) يعنى حكم الترك لاغير.

في الواقع وكما بينا آنفا كان المجتمع الكردي يشهد مخاضاً سياسياً واضحاً قبيل الحرب العالمية الاولى، وكان يتطلع بأنظاره الى

الخارج للمساعدة في كفاحه للتخلص من نير الحكم العثماني. فمثلاً، هرب أحد زعماء الكرد الوطنيين وهو (الشيخ عبدالقادر النهري) من استنبول الى مدينة نوفوروسيك في روسيا عندما شعر بنية السلطة في القبض عليه^(١). وكان الشيخ عبد السلام قد أوصاه عندما تم لقاء بينهما ان يعمل على تنمية العلاقات مع الروس لاعتقاده بحسن نواياهم^(٢). وقد علمت السلطات التركية بأمر هذا التوجيه. أجل، كان الشيخ يرغب فعلاً في الاستعانة بإحدى الدولتين، ولم تكن رغبته هذه بالخفية عن السلطة. على ان الشيخ لم يتجاوز حدود تلك الرغبة حتى ذلك الوقت، أعني لم يتصل لا بروسيا ولا ببريطانيا. كما اتهم فيما بعد من قبل السلطات العثمانية.

في اوائل العام ١٩١٣ طلب والى الموصل الجديد سليمان نظيف من الشيخ عبد السلام تسليم العقيد صفوة بك (كان هذا الوالي وهو أحد اقطاب الاتحاديين من اشد المتعصبين للطورانية مع انه كردي قح). فقد اكتشفت استخبارات حزب الاتحاد والترقي مخبأه ولم يعد وجوده عند الشيخ سراً، ورفعاً للخرج ومحافظة على حياة اللاجيء، رتب ان يغادر صفوة بك بارزان ويقيم عند السيد طه النهري، فتركها بحراسة كافية، وفي لحظات الوداع الاخيرة تواعد الصديقان على اللقاء عندما تنجلي الامور، وكان آخر ماقاله هذا الرجل الشهم للشيخ- لاتعتمد على حسن نية المسؤولين الاتراك

(١) هو عم السيد طه النهري وأحد اقطاب حركة التحرر الكردية.

(٢) مجلة (شمس كردستان) مقالة العائلة البارزانية بقلم ف. نيكيتين، ص ٣١.

فهم مجردون عن الضمير ولا امان يرجى منهم ولا يفهمون الاخلاص
والخدمة ولا يقدرونهما. اذهب الى الروس واعقد اتفاقاً مع السيد طه
النهري وعبد الرزاق بك... هذه المرة لن تنجو منهم وسيعدمونك
الحياة ان ظفروا بك، فدافع عن نفسك حتى الرمق الاخير وان اعجزك
ذلك فاهرب الى روسيا، ثم افترقا.

كانت رسالة (سليمان نظيف) للشيخ بمثابة انذار بتجريد حملة
عليه في حالة عدم تسليمه (صفوة بك) فقد وصف ايواه له بأنه
إيواء عدو لدود للدولة وقاتل رئيس وزارئها، كما اتهم الشيخ
بالاتصال بدولة أجنبية وطلبه المساعدة العسكرية منها لمحاربة
الدولة العثمانية. ان سليمان نظيف كان ينقم على الشيخ بصورة
خاصة لعلاقته الحميمة بحزب الحرية والائتلاف.

عند هذا اغتتم اعداء الشيخ فرصتهم، فزادوا من تحريض الوالي
ضده، واشتد الوالي في ضغطه على الشيخ بتسليم (صفوة بك)،
على ان الشيخ لم يكتف بانكار وجود المطلوب عنده، وانما رفض
القدوم الى الموصل، فكان هذا إيذاناً بتجريد الحملة العسكرية
الثانية ضد بارزان.

وفي الوثيقة رقم ٨ التي نشرها الباحث المعروف (عبدالرقيب
يوسف) موجهة من والي وان (تحسين) بتاريخ ٢٥ شباط ١٣٢٩
(١٩١٣) تتعلق بانتفاضة شيخ بارزان الثالثة، يستشف ان الأوامر
صدرت من وزارة الحربية بتوجه طابورين للهجوم ضد شيخ بارزان
وان تتحرك القوات من الفرقة العسكرية لولاية (وان) لإسناد قوات

الجيش من الموصل. والطابورين مؤلفين من ٢٠٠٠ جندي مع المدفعية والرشاشات.

وأبلغ والي (وان) وزارة الداخلية ان خزينة الولاية لا تملك أكثر من ٣٠٠٠٠ ألف قرش، وارسال هذه القوة يتطلب ليس أقل من ٥٠٠٠٠ ألف قرش، وهو لا يستطيع تأمين هذا المبلغ قبل حلول شهر نيسان، لذا طلب تأخير موعد ارسال هذه القوة.

وحاول الوالي اقناع وزارة الداخلية بالتريث، لأن شيخ بارزان سوف لن يفلت هذه المرة، وان حاول الفرار سواء من (شمدينان، هكاري او كهقهرى) فان قوات الحدود تمنعه من الفرار.....

لكن وزارة الداخلية ردت عليه بعد مضي ستة أيام، أن تأخير الموعد غير ممكن وانه يجب التحرك.^١

(١) الوثيقة رقم (٨) طبعتها الباحثة المعروف (عبد الرقيب يوسف) مع الترجمة الكردية.

أصدقاء الشيخ وقت المحنة

حاول الشيخ سبر غور اصدقائه وانصاره ليتأكد من مدى اخلاصهم وتعاونهم وقت الشدة. ونذكر نموذجاً واحداً لما تلقى من ردود مخيبة للأمال. فقد أرسل (شريف ملا حسن) أحد اعوانه الى (قادر عثمان آغا) يطلب منه العون، الا ان هذا الآغا الذي سبق ان علم بموقف الحكومة من الشيخ. أسرع بمغادرة القرية الى الموصل قبل وصول الرسول كيلا يواجهه ويقع في احراج، ومما يذكر ان عثمان آغا والد (قادر) هذا كان مديناً بحياته للشيخ، فقد حاصرته قوات الهركى حصاراً شديداً في عهد (الشيخ محمد البارزاني) وكادت تظفر به وتورده حتفه عندما لبي الشيخ محمد استنجاده، فأرسل لانقاذه قائده (فقي عبد الرحمن) الذي أسرع اليه مغامراً بحياته وحياء رفاقه فأنقذه من موت محقق^(١).

من هذا وغيره من المحاولات الفاشلة أدرك الشيخ الحقيقة المرّة. فوضع كل ثقته وآماله على انصاره ومريديه وحدهم.

(١) فاجأتهم عاصفة ثلجية عنيفة جداً فضلوا سبيلهم وتاهوا بسبب كثافة الثلوج المتساقطة وأشرفوا على الهلاك انجمادا، فاتفقوا ان يطلقوا جميعاً نيران بنادقهم دفعة واحدة وتلك شارة الخطر الماحق ايام تساقط الثلوج في كردستان مما ادى الى ان يسرع اهل قرية قريبة برجالها لنجدتهم. وقد وصلوا سيرهم حتى وصلوا وأرغموا (بيروت آغا) الهركي على رفع الحصار عن (عثمان آغا).

الفصل الحادي والثلاثون

تجدد القتال

استنفر سليمان نظيف القبائل الكردية من المرتزقة السورجيين والزيباريين والگوران ثم أشرك معهم فيما بعد قبائل بشدر وبالك من انحاء رواندوز وعشائر النيره والريكان والدوسكي من انحاء العمادية، فكان على الشيخ ان يواجه ثلاثة ارتال اولهما محور العمادية باتجاه بارزان، وثانيها انطلاق من قاعدته عقره باتجاه جبل بيرس، وثالثها وقاعدته رواندوز منطلقاً الى ميرگهسور.

كانت الخطة العسكرية تهدف الى جر معظم قوات الشيخ وتركيزها في ميرگهسور لضعاف الدفاع عن جبهة بيرس لتسهيل واجب القوات الزاحفة من عقرة. كما ان محور العمادية - بارزان كان سيشاغل قوات الشيخ فيسمرها ولا يدعها تتحرك لمعونة القوات البارزانية الاخرى، ولما تأكدت الأنباء بان الجيش التركي والمرتزقة قد يتحركون نحو ميرگهسور وان الوحدات النظامية طوت خيامها وتهيأت للتقديم، دفع الشيخ نحو هذا الخط بنخبة من رجاله يقودهم مقاتلون مجربون عرف من بينهم (مصطفى ههوليرى)^(١).

(١) ههولير هو الاسم الكردي لمدينة اربيل وبذلك يقرأ الاسم (مصطفى الاربيلي) وكان جندياً هارباً التحق بالشيخ وأخلص له واطهر شجاعة وحنكة بحيث تولى دور القائد.

تقرر الهجوم على المعسكر والتركيز على مواقع المدفعية، وفعالاً
بوغت بهجوم صاعق ولم تصمد القوات الحكومية ولاذت بالفرار،
واستولى البارزانيون على مدافعها وفيما كان (مصطفى هولييري)
يحاول نقل أحد المدافع اصابته رصاصة فخر صريع فوق فوهته.
وقامت قوة بارزانية اخرى بقطع طريق الانسحاب على الجيش
والمرتزقة، فانكشفوا للعدو وجوبهوا بنار حامية فلقى عدد منهم
مصرعه واستعاد الجنود والمرتزقة ثقتهم وثبتوا عندما وجدوا طريق
الانسحاب مقفلة في وجوههم وتمكنوا من افشال عملية التطويق، ثم
تحولوا الى الهجوم وازاحوا قوات بارزان عن مواقعها واعادوا سيطرتهم
على المعسكر بعد ان وصلتهم نجدات كبيرة. فاضطرت قوات الشيخ
للارتداد الى الخلف قليلاً واحتدمت المعركة. وهنا وصلت رسالة
عاجلة من الشيخ يأمر فيها هذه القوات بالعودة الى خط بيرس - بارزان
لان طلائع الجيش والمرتزقة قد هاجمته بأعداد غفيرة، فانسحبت
معظم القوة من ميرگه سور بعد ان اوقعت بالجيش التركي خسائر
جسمية، وكانت على قاب قوس او أدنى من النصر.

معركة بله

شهد محور بيرس - بارزان اوسع تجمع للقوى مما لا يمكن مقارنته
بالقوات التي تواجهه من البارزانيين.
ان سعة الرقعة التي كانت تتحرك فيها هذه القوات جعلت الدفاع
عن جبل بيرس متعزراً، فأخلي الجبل وانحدرت القوات المهاجمة من

سفحه نزولا الى بيره كه بره . فاصبحت (بله) مركز خط الدفاع الثاني لقوات بارزان، فالنهر هنا وفي هذا الشهر (اذار) من السنة ١٩١٤ كان بمياه الغزيرة السريعة بشكل حاجزا طبيعياً.

وسحبت المدافع الى ضفته الغربية وبدأت تقصف ما وراء ضفته الاخرى. وكانت أرضاً مستوية ليس فيها عارض طبيعي يذكر ولا تصلح للدفاع نهراً. وقد جرى القتال ليلاً بعد ان عبرت القوات الحكومية النهر فوق عبارات اقامها النجارون الذين جيء بهم من الموصل خصيصاً فوق مجرى النهر على طول ستة كيلومترات، وساندت المدفعية حركة العبور وحماية الجنود واستخدمت ثلاثة عبارات متحركة لنقل المدفعية.

دخلت القوات الحكومية (بله ژيرى) يعد ان اقتحمها المرتزقة تحت حماية المدفعية والنيران الكثيفة.

اما قوات الشيخ التي اتخذت مواقع مستورة في الضواحي فقد انتظرت حلول الظلام ثم هاجمت مواقع المرتزقة ودحرتهم وطردتهم من المواقع التي احتلوها، وفي تلك الاثناء وبينما كان البارزانيون يستعيدون المواقع واحداً إثر الآخر نادى بينهم مناد بأن بعض المرتزقة قد اختبأوا في زريبة من ميدان الاشتباك، فبادر فريق منهم الى اشعال النار فيها فتصاعد لهب عظيم أرشد اليهم العدو وكشف له موقعهم، فامطروا البارزانيين بوابل من النيران من كل صوب وسقط (حسين بارزاني) صريعاً، فجرّ والده جثته الى حقل قمح مجاور وعاد فوراً ليشارك في القتال ويُقتل هو الآخر. وقتل أيضاً كل من (علي) و (أمين) ابن وحفيد القائد البطل (فقى عبد الرحمن) وبلغ

عدد الضحايا تسعة وهو يساوي عدد القتلى الذين سقطوا في جبهة ميرگه سور.

قلنا، تدفقت القوات الحكومية الى الضفة الشرقية من الزاب تحت جناح الظلام وبحمائية نيران المدفعية. ولم يكن للبارزانيين طاقة لمواجهة هذه القوات المتفوقة بغير حساب، وأيقنوا بعدم جدوى المقاومة رغم انهم اوقعوا بالمرتزقة خسائر كبيرة وجرح عدد من اغوات الزيبار، وقد جرف النهر جثثاً عديدة بحيث تعذر انتشارها. ان روح التضحية والحماسة في القتال اللتان تحلى بهما البارزانيون في بداية المعركة رجالاً ونساءً وتصميمهم على القتال حتى النفس الاخير، الهمت (ملا محمود البارزاني) الشيخ الهرم والمقاتل الشجاع قصيدة من الشعر مازال البارزانيون يتغنون بها. قال مخاطباً زوجته (زهرى).

زهرى .. زهرى ... زهرى

زرى ... زرى ... زرى

توبقرى ئه ز بخه نجه رى

عه سكه رى لبيراكه برا بكه يينه ده رى

وترجمتها:

زرى ... زرى ... زرى

انت بالفأس وأنا بالخنجر

هيا لنطرد العساكره من بييراكه برا

لم تجد هذه الاستماتة فتيلاً. فقد وصلت المدافعين أوامر الشيخ التي تقضى باخلاء القرية، فانسحبوا منها وهم آسفون، إذ كانوا ينوون القتال حتى الرمق الاخير.

وهرب اهل القرى رجالا وشيوخ ونساء الى متاهات جبل شيرين وتراجعت قوات بارزان، وزحف ألوف من الجنود والمرتزقة نحو بارزان، فدخلوها وأشعلوا النار في بيوتها واحالوها خراباً ويباباً.

بقيت القوات المواجهة لمحور العمادية - بارزان صامدة في مكانها تحتل مواقع دفاعية منيعة وعلى رأسها (قادر سيرى) الذي وصله نبأ يفيد بان الشيخ قد غادر (بهروژ) وان بارزان قد وقعت في قبضة القوات الحكومية، كما جاءه نبأ آخر يفيد بان الشيخ قد ترك الوطن وينوي عبور الحدود الى إيران، فلم ير جدوى من مواصلة الدفاع خصوصاً وان الجيش التركي والمرتزقة كانوا قد وصلوا الى (پراجهلكى) عندئذ لم يكن منه إلا وأمر بالانسحاب، ولم يكن لديه إلا منفذ واحد وهو عبور النهر للتخلص من حلقة الحصار التي احكمت حوله. وانتهز حلول الليل وياشر في العبور على ضوء القمر، إلا إنه فوجئ بنار كثيفة من مواقع العدو القريبة جدا شارك فيها فضلاً عن الجيش والمرتزقة اولئك الذين كانوا اصدقاء (قادر سيرى) بالامس يتمسحون بأذيله ويلتمسون رضاه. وسقط عشرة من رجاله صرعى بينهم (احمد شيخيل) و (حسو) من اقرباء (قادر) كما جرح (عبدالله) شقيق قادر واصيب قادر نفسه. وواصل الآخرون عبور النهر ثم تفرقوا. وكاد التيار يجرف الجريح (عبد الله) لولا ان سحبه (ابراهيم قادر) في آخر لحظة. وسحب الجرحى الخائروا القوى

أنفسهم متوارين في احراش الدغل الجبلي، وعثر أحد الرعاة على (قادر سيرى) وأخيه (عبد الله) فاعلم (الشيخ نوري هلورى) الذى ارسل بغلين مع عدد من رجاله فحملوهما الى قريته (هلورا) سرا، وقام الشيخ بنفسه بالعناية بالجريحين. ورأى ان يرسل عبد الله الى قرية (تاتكى) الشيروانية ليلقى المزيد من العناية الطبية على يد ممارسيها القرويين، لكنه توفى متأثراً بجراحه ودفن هناك. وبقي (قادر سيرى) في رعاية (الشيخ نوري) اياماً.

في صباح اليوم الذي تلا انسحاب قوة (قادر) وعبورها النهر، عبرت القوات الحكومية الى الضفة الاخرى وعثرت على القتلى فقطعت اذانهم. واحتز راس القتييل (ابراهيم سهقره يى) وارسل الى قيادة القوات التركية. أما مصير (قادر سيرى) فقد كان معلقاً بشعرة، إلا أنه نجا باعجوبة فقد علم (قادر عثمان آغا) الذي مرّ ذكره آنفاً بوجوده في (هلورا) فاراد ان يحسن في عين السلطة بتقديمه رأس (قادر سيرى) فجهز قوة احاطت بالقرية، لكن الشيخ نوري هلورى حمل (قادر) على ارتداء زيّ النساء فلم يعثر عليه قادر عثمان آغا وباءت محاولته بالفشل.

بعد هذا تطوع (فارس آغا الزيبارى) بحماية قادر سيرى وهياً له من اوصله اليه سالماً هو وابنه ابراهيم ومكثا في قريته حتى شفى قادر تماماً، فخيره بالبقاء او الرحيل، فأثر الالتحاق بالشيخ عبدالسلام في ايران، وتم له ذلك.

الفصل الثاني والثلاثون

النزوح الى إيران

عدل الشيخ (عبد السلام) عن المقاومة حتى النفس الاخير- في آخر لحظة، وأمر بالجلء الفوري عن المنطقة والاتجاه الى الحدود الايرانية. وفي اوائل نيسان بدأ بالنزوح وخرج (الشيخ) من بارزان متوجهاً الى قرية (بيي ومنها الى (زارا) حيث اقيم معبر فوق النهر لتسهيل عبور النازحين من النساء والشيوخ والاطفال. أما القوات التي كانت مرابطة امام القوات الحكومية فقد انسحبت وفق أوامر الشيخ الى سفوح جبل شيرين. لقد رافق عملية النزوح هذه مواقف أليمة يذكرها ابناء النازحين الباقين على قيد الحياة والقلائل الذين شاركوا فيها، وقد بلغوا من الكبر عتياً - مازالوا يذكرون حوادثها ووقائعها بألم^(١) وحسرة، وفي اليوم الثاني الذي عقب صدور الامر للقوات البارزانية بالانسحاب، وصلت قرية (بيي) وقد أنهكها القتال والجوع والسهر. وكانت الماشية السائبة مبعثرة في كل مكان لاتجد من يرعاها او يدعي بملكيتها فالجميع كانوا في عجلة من امرهم

(١) روى لنا أحد رجال سعيد ولي بك الباقين على قيد الحياة انه اثناء ماكانوا يجتازون احد شعاب الجبل وجدوا امرأة بين النازحين تحمل رضيعاً. تقف بين حين وآخر تلتفت الى الوراء وتتفحص اوجه رجال القوات العائدة من الجهة. كانت تنتظر زوجها وولدها اللذين هما من ضمن تلك القوة. ولما لم تعثر عليهما ايقنت بهلاكهما فانخرطت بالبكاء.

خوف ان يدركهم المرتزقة ويوقعوا بهم، وقد باغتهم تعديل القرار المفاجيء الذي اتخذه الشيخ البارزاني والغائه قراره السابق. بالاستماتة في الدفاع عن النفس حتى النهاية.

لا شك انه أشفق على الارواح الكثيرة التي ستفقدھا بلاده دون نتيجة بسبب تطبيق قراره الاول. على ان انصاره لم يكونوا قد استعدوا لهذه الحالة الطارئة ولم يتأهبوا للقيام برحلة شاقة طويلة كالتزود بالاقوات وحمل مايمكن حمله من المتاع واخفاء ما يتيسر اخفاءه عن المحتلين. لذلك فقد غادروا منازلهم والتحقوا بالرتل المتوجه نحو الحدود وليس عليهم غير ثيابهم وما تستطيع الايدي حمله. ولم يكن معهم من الزاد ما يكفيهم ليومهم الواحد. لذلك حفلت المسيرة المتوجهة الى إيران بكل مظاهر البؤس والشقاء التي تكتنف مسيرات المدنيين الهاربين من جحيم الحرب وويلاتها.

وعمد الشيخ الى تنظيم الحماية للرتل النازح فوضع في المؤخرة (سعيد ولى بك) مع رجاله ووضع في المقدمة خاليه (فاخر) و (نورى) مع مقاتلين، وأبقى العزل من النساء والاطفال وكبار السن في الوسط.

ومع ان الجوع كان ينهش بطونهم، فأوامر الشيخ واجبة الطاعة وهي تهدد بالعقاب كل من يعبث بالمزروعات المنتشرة على جانبي خط السير، وقد وضع حراساً على الجانبين للقضاء على فكرة ترادوهم بافتحامها. ولم يكن امامهم بعد هذا إلا ان يملأوا بطونهم بالحشائش والنباتات الجبلية ولاسيما ساق نبات (الراوند) الذي يكثر نموه في الجبال في هذا الوقت من السنة.

بلغ الرتل مشارف قرية (بابكى) وحانت من الشيخ التفاتة فرأى بين النازحين شايبين يافعين من اهالى قرية (راس العين) القريبة من عقرة وكان يعرفهما فنادهما وامرهما بالعودة الى ابيهما العاجز للعناية به، فأجابا انهما يفضلان الموت معه، وواصل المسير^(١).

بعد ان خلف الرتل قرية (بابكى) صادفهم أحد اصدقاء الشيخ فعمد الى ذبح عدد من اغنامه وهياً لهم طعاما. وعلم (صالح مراد خان البرادوستي) بمحض الصدفة بوجود الرتل قريباً منه فأسرع وحشد قوة قوامها مائة مسلح وهجم أحد جوانب الرتل وتمكن من عزل تسعة من رجال (فق بابكر) وتطويقهم، إلا ان (سعيد ولي بك) و (خوشوى سيلكى) أسرعا الى نجدتهم فهرب (صالح مراد خان) وفاتته فرصة تقديم الدليل على ولائه للدولة العثمانية.

ونزل الرتل في قرية (گيزاقلی) وحواليها. وفي أحد منازلها وجد اوائل الداخلين رجلاً مستلقياً على فراش تبينوا فيه شخص (عبد الله عقراوي) الذي امر الشيخ بعقابه، لانه أقدم على ذبح ثور يعود لعجوز من أهل القرية.

وعلى إثر تركهم هذه القرية ثم (لولان) بعدها صادفهم برد شديد في منطقة (الگادر) لاعهد لهم به من قبل في مثل هذا الفصل من السنة، واضطروا الى الزحف فوق أرض تكسوها طبقة من الجليد

(١) هذان الاخوان هما طاهر وزبير راس العين اولهما توفي في ١٩٧١ والثاني مازال حياً يرزق (حتى كتابة الاسطر ١٩٧٤) ومنهما استقيننا معظم المعلومات والتفاصيل التي يجدها القارئ في هذا الفصل.

مجتازين (بن زيرته) الى (سنگان). ومكثوا فيها حوالي خمسة ايام
وبعدھا توجهوا الى (اشنويه) ثم الى (مەرگه قهر)^(١) وسط عاصفة
ثلجية ومطر شديد.

كان (السيد طه النهري) غائبا عن قريته عند وصول الرتل، فناب
عنه في استقباله وکليه (ممي هرکي) فزود افراده المرهقين بالطعام
والكساء ورتب امر استقرارهم في منطقة (مەرگه قهر) واسكن اسرة
الشيخ في (راژانی) قرية السيد طه. وكان شهر نيسان ١٩١٤ قد
أشرف على الختام عندما استقر النازحون في ديار الغربية.

هه و النامه كتيب

(١) عندما همّ بعضهم بايقاد النار في منزل مضيّفه عجوز فقيرة الحال للتدفئة
مستخدمين القليل من الاحطاب التي جمعتها في أيام الصيف، نهاهم الشيخ
وزجرهم. لصعوبة التعويض عنه في ذلك الفصل من السنة.

الفصل الثالث والثلاثون

الشيخ في ميدان السياسة الدولية

منذ ان فقد الشعب الكردي كيانه الاستقلالي وقسمت بلاده بين الدولتين الكبيرين في الشرق الاوسط بين السلطنة العثمانية والمملكة الشاهنشاهية الايرانية، لم يوجد خط حدود واضح المعالم بين الدولتين في كردستان ولم تغلح اى منهما في أي وقت من الاوقات في ضبط تلك الحدود امام الافراد او المجموعات القبائلية الكردية والسيطرة على انتقالها من اراضي تلك الدولة الى هذه وبالعكس. وقد كان لهذا (مع انه جزء من مأساة هذا الشعب) أثره الايجابي في محافظة الشعب الكردي على خصائصه القومية وعلاقاته القبلية رغم خضوعه لدولتين. لقد ضاعت كل المحاولات التي بذلها رجال حكم الدولتين- منذ احتلال السلطان مراد الرابع العراق بما فيه منطقة بادينان والجزء الغربي من سوران الكرديتين - في الوصول الى اتفاق على تلك الحدود منذ محاولة العام^(١) ١٦٣٩

(١) في الواقع كانت معاهدة ١٦٣٩ (عقدت في ايار) المعروفة بمعاهدة (زهاب. زهاو) التي صدقها كل من الشاه صفي بهادر والسلطان مراد الرابع بمثابة معاهدة صلح لانها اقتصرت على بيان المدن والمناطق دون التحديد، وقد تلت ذلك معاهدة العام ١٧٢٧ و١٧٣٢ و١٧٣٦ و١٧٤٦ ثم معاهدة ارضروم

حتى المحاولة الاخيرة التي تمخضت بلجنة تخطيط الحدود
الرباعية (الايرائية - التركية - البريطانية - الروسية) التي باشرت
اعمالها وفق برتوكول موقع من قبل الدولتين، الا ان الحرب العالمية
الاولى فاجأتها ولم تكمل إلا قليلا من الجزء الجنوبي للحدود.

لهذا كان لفظ (الحدود) بالنسبة الى القبائل الكردية مصطلحاً ان
لم يكن غير مفهوم فهو بالتأكيد غير معترف به في ذلك الحين، وعلى
هذا الاساس اختار الشيخ النزوح الى إيران والعيش بين ابناء جلدته
دون ان يخشى تعقيب القوات التركية التي لاتجرء على اقتحام تلك
الحدود وتعقيبه مهما كانت تلك الحدود مائعة او موهومة. فضلاً
عن هذا فان انتقال الشيخ عبد السلام الى إيران يعنى اقترابه من
الروس. فقد انتهزت القوات الروسية في القفقاس ضعف حكومة
ايران وبسطوا نفوذهم على شمال اراضي^(١) البلاد وبضمنها تبريز
منذ آذار ١٩١٤. لقد كان الشيخ ينوي الاتصال بهم والافادة من
الوضع الدولي لاقتناعهم بمساعدته عسكرياً ومعنوياً فيما انتواه.

في آب ١٩٠٧ وقعت روسيا وبريطانيا معاهدة حلف دفاعي هجومي،
وبذلك انتهت بريطانيا خلفها السياسى القديم مع روسيا القيصرية

الاولى ١٨٢٣ ومعاهدة ارضروم الثانية ١٨٤٧ وبرتوكول الاستانة ١٩١٣
وبرتوكول تهران ١٩١٢، دون نتيجة طبعاً.

(١) قام شجاع الدولة بمحاصرة (تبريز) تعقيباً للوطنيين الايرانيين، فاتخذ
الروس من ذلك ذريعة وقصفوا مزار الامام الرضا في المدينة وحكموا
قبضتهم على الاقليم كله وظلوا يحتلونه الى ما بعد الحرب العامة الاولى.

حول الموقف الذي ستتخذه الدولتان ازاء الامبراطورية العثمانية (الرجل المريض). فقد كانت سياسة بريطانيا الخارجية قبلاً تقضى بالحد من اطماع روسيا في الامبراطورية^(١) العثمانية وايقاف اية محاولة لاقتطاع روسيا أجزاء منها، إلا ان ظهور المانيا دولة عسكرية معظمة من الطراز الاول ودخولها ميدان السباق الاستعماري والنفوذ الكبير الذي اخذت تتمتع به هذه الدولة في اوساط الحكم العثماني ولاسيما في ايام الاتحاديين ذلك النفوذ الذي تكلل بفوزها لاحدى شركاتها بامتياز مد خطوط سكك الحديد في تركيا وزيارة الامبراطور فلهم الثاني لفلسطين و دمشق، واعجاب اقطاب الاتحاديين وزعمائهم العسكريين بالعسكرية الالمانية ومحاولتهم السير في ركاب تلك العسكرية والاقتراء بها. ثم تزعم روسيا لحركة التحرر السلافية في البلقان التي ادت الى خروج جميع شعوب البلقان من يد العثمانيين. واحتلال ايطاليا لطرابلس وبنغازي في ليبيا ثم السيطرة على كل البلاد، كل ذلك ادى الى التكهّن الصحيح بان الامبراطورية العثمانية اخذت تدنو بقدم ثابتة نحو ساعة الاحتضار.

هذا ما حمل الشيخ عبد السلام على التفكير بضرورة الاتصال العاجل بالروس. كان العالم على شفا الحرب الكبرى ومصير تركيا

(١) كان النزاع بين الدولتين بالدرجة الاولى على مناطق النفوذ ولذلك تدخلت بريطانيا وفرنسا مثلاً لصالح العثمانيين في حرب القرم ١٨٥٤ - ١٨٥٦ وارسلتا حملة عسكرية احتلتا مع الجيش العثماني مرتفعات شبه جزيرة القرم على البحر الاسود. وقد كان من الطبيعي ان تتحد وجهة نظر الدولتين بعد ظهور المانيا على مسرح السياسة العالمية منافسا لايمكن التقليل من شأنه.

وامبراطوريتها لم يعد خافيا عند المطلعين على دقائق الامور مهما كانت نتيجة تلك الحرب. لقد تحرك الارمن والعرب واخذوا يطرقون أبواب الدول الكبرى يعرضون قضايا شعوبهم ويبحثون في مصائرها ويطلبون المساعدة منها، ولم يكن ثم بد من ان تبرز بين الكرد شخصية وطنية معروفة لتبسط قضية هذا الشعب ومستقبله على مسرح السياسة العالمية. لم يكن ثمة شخص أفضل من الشيخ عبد السلام للشروع بهذا السبيل في ذلك الوقت بالذات، فإلى جانب مركزه الديني والولاء العميق الذي يكنه اتباعه له والاحترام الذي يتمتع به من سكان المنطقة كان الزعيم الكردي الوحيد الذي تحدى السلطة العثمانية في القرن العشرين وخاض ضدها المعارك، فهو خير من يمثل الشعب الكردي في تقديم قضية هذا الشعب الى محكمة الضمير العالمي. وربما كان هذا من أسباب عدوله عن قرار المقاومة حتى النفس الاخير. وكخطوة أولى ارتأى اللقاء بزعماء الكرد الوطنيين ولاسيما اولئك الذين قد يكون في وسعهم تسهيل مهمة الاتصال بأوسع عدد ممكن من الزعماء، وأفضى بذلك لـ (سمايل آغا شكاك) المعروف بلقبه (سمكو). وتم الاتصال بعد فترة بالمسؤولون الروس فطلبوا حضوره الى جورجيا في العاصمة (تفليس) مقر الغراندوق نائب القيصر وقائد جيوش الجنوب. فتوجه اليها بصورة سرية قاطعاً مسافات طويلة، ويبدو الشيخ في صورته التي التقطها مع الممثل الروسي نحيفاً، اذ لم يشعر اتباعه الا وهو ليس بينهم. لقد غاب الشيخ زهاء اربعين يوماً ثم عاد.

لا يُعرف بالضبط مضمون المباحثات التي اجراها الشيخ مع الروس، إذ لم يرافقه أحد من اتباعه ولم يفض هو نفسه لأحد بما دار بينه وبين المسؤولين الروس. ولم يعرف من هم أولئك الذين رافقوه من غير أتباعه الى هناك، ولا مع من أجرى المباحثات. كل هذه ستبقى سرّاً خفياً ربما لا يقوى التاريخ على كشفه بأية حال الا ان (ف. نكيتين) يذكر ما يأتي بصدد تلك المباحثات "نصحت السلطات الروسية الشيخ بأن من الافضل له ان يختفي لانه ليس من صالحهم (اي صالح الروس) معاداة الاتراك في هذا الظرف. وهذا من مقتضيات السياسة. وان عليه ان ينتظر شهرين أو ثلاثة. فاذا تحسنت العلاقة مع الاتراك فانهم سيتوسطون للعفو عنه. أما إذا ساءت فانهم سيزودونه بالقوات والسلاح ويعيدونه الى بارزان. ولم يعجب^(١) الشيخ هذا الموقف ولا هذه النصيحة إلا انه لم يظهر احاسيسه".

وصل الشيخ عبد السلام الى تفليس في شهر آب ١٩١٤ على الأرجح، وعاد في شهر ايلول التالي، وكان شيخ بارزان قبل وصوله

(١) من مقال (العائلة البارزانية) المنشور في مجلس شمس كردستان، ترجمة الدكتور كاوس قفطان. (نقول ان هذا الموقف الروسي البارد من الكرد يشبه الى حد ما موقفهم اثناء الحرب العالمية الاولى من بطيريك الآثوريين (مار شمعون بنيامين) عندما طلب منه العون العسكري فقد قرر كما يذكر(ويكرام) ان يقوم بمحاولة اخيرة لنيل المعونة منهم، الا ان الخيبة كانت في انتظاره فقد اوضح قواد الروس محليون تعذر ايصال اي معونة ولم يقدموا للبطيريك شيئاً خلا النصيحة البائسة المذلة وهي ان من الخير له البقاء عندهم آمناً مادام أفلح في النجاة).

قد ارسل من ينبئ اعوانه بعودته وكان الجميع يتربون تلك العودة
تحدوهم الآمال الجسام، وذلك قبيل اندلاع الحرب العالمية الأولى^١.

كانت السلطات العثمانية جادة في تجنيد المرتزقة من كرد الشكاك
لتعقب تحركات شيخ بارزان. في تلك الاثناء أعلن والي (وان) جودت بك
عن جائزة نقدية كبيرة لمن يأتيه بالشيخ عبدالسلام حياً او ميتاً.

كان من أولى الأعمال التي قام بها الشيخ بعد عودته ان كتب
رسالتين في غاية الأهمية الى أعوانه الذين أرسلهم الى بارزان قبل سفره
الى تفليس حملها على عجل خمسة من السعاة الى (هوستان)، كانت
الرسالة الاولى موجه الى (قادر سيرى) والثانية الى (خوشوى سيلكى)
ويروى لنا بعض الذين كانوا موجودين اثناء تسليم الرسالتين ان (فق
بابكر) خرج من لدن الشيخ والرسالتان فى يده حيث السعاة الخمسة
ينتظرون الأوامر، وقال لهم وهو يدفع اليهم بهما "يأمر الشيخ ان
تسلموا هاتين الرسالتين الى كل من خوشوى وقادر يداً بيد واحرصوا
عليهما من الضياع او الوقوع فى يد احد حرصكم على حياتكم".

بعد بضعة ايام من الراحة غادر الشيخ قريته قاصداً اسماعيل
آغا (سمكو) وبقي لديه فترة من الزمن يتبادلان الرأى حول خطط

(١) ذكر لي والدي: "أنهم سمعوا بعودة الشيخ بعد غياب طويل وكنت طفلاً،
فذهبنا جميعاً لاستقباله، متلهفين لرؤيته، وشاهدناه يقترب منا على صهوة
جواده ومعه عدد من أتباعه، وعندما شاهدني، أمر البارزاني الذي يرافقني أن
يحملني اليه فوضعتني أمامه على صهوة جواده الى أن وصلنا موقع سكننا
المؤقت."

المستقبل، وأعقب ذلك زيارات عديدة لكثير من زعماء الكرد في المنطقة وذوي النفوذ فيها، واننا لنفهم من سعة تلك الاتصالات ان الشيخ كان قد استقر رأيه بعد عودته من (تفليس) ان ينتهج سبيلاً يشبه الى حد ما السبيل التي سلكها بعد عودته الى بابسيقا وقتاله الجيش التركي في (سهري بان). لقد تعدت اتصالاته اسماعيل آغا الى (سليمان خان) رئيس عشائر الزرزا وممثلي السيد طه النهري وآخرين غير هؤلاء، الامر الذي اشعر من حوله بأنه يعد العدة للعودة وشن انتفاضة واسعة على القوات التركية المرابطة في بارزان وحواليها بعد ان لاحت في الافق بوادر العاصفة الكبرى التي اجتاحت اوروبا والشرق الادنى^(١).

(١) من المفيد ان نثبت هنا رأياً للاستاذ جرجيس فتح الله كتبه لنا بعد مطالعته هذا الفصل ((في الواقع ان ما ذكره الملحق الروسي المعروف فاسيل نكيتين عن مفاوضات الشيخ والمسؤولين الروس وجوابهم له وان لم يستنده الكاتب الى مصدر رسمي انما يستقيم مع منطق الاحداث والموقف السياسي الدولي في ذلك الحين، صحيح ان روسيا القيصرية كانت قبل سبع سنين قد عقدت حلفاً بريطانياً من مقتضاه تنسيق سياسة الدولتين في انحاء عدة من الكرة الارضية ولا سيما سياستيهما في الشرقين الادنى والاوسط (أعنى الدولة العثمانية) فضلاً عن التنسيق الثلاثي (الروسي، البريطاني، الفرنسي) - المعاهدة الروسية - الفرنسية لعام ١٩٠٤). إلا ان الاتجاه السياسي الداخلي في روسيا كان ابعده من ان يتحول عن المانيا فجأة او بصورة سريعة، فالقيصر الضعيف كان يقف بين أنصار الحلف من الوزراء ورجال الحكم وفي مقدمتهم وزير الخارجية (ايسفولسكي) وبين فريق قوي من اعضاء الحكومة ورجال البلاط وبعض قادة الجيش الروسي الذين هم من

الفصل الرابع والثلاثون

خاتمة المطاف

كانت المخابرات التركية التي دأبت على ترصد حركات الشيخ قد علمت برحلته الى (تفليس) ومقابلته بعض المسؤولين. فالمنطقة التي استقر فيها مع انصاره كانت قريبة جداً من الحدود التركية

اصل بروسي تتزعمهم القيصرة الالمانية. الاصل الواقعة تحت التأثير الروحي للراهب الدجال (راسبوتين) فضلا عن ميلها الطبيعي لبنى قومها. كان القيصر مصدر كل السلطات يقف حائرا متذبذبا بين هذين الفريقين)). ويتطرق الكاتب والمؤرخ البريطاني (كيث فيلينك **K. Feilinig**) في كتابه (تاريخ انكلترا- ط ١٩٦٦- ص ١٠٤٩) الى هذا النقطة بالذات بقوله ((حقا اننا كنا بعيدين جداً عن حلف متين (حلف ١٩٠٧) مع روسيا حيث الوزراء الاقوياء ورجال البلاط المتنفذون يميلون للقيصر الضعيف تجاه المانيا. برهن هذا، سياسة اللف والدوران التي اتبعها وزير الخارجية الروسي يقصد (ايفسكولسكى) ١٩٠٦- ١٩١٠ بين هذين النفوذين)). ان هذا الصراع بين أنصار المانيا وأنصار الحلفاء من رجال الحكم فى روسيا، او بكلمة اخرى هذا التذبذب كان يزداد حدة فى الواقع بدنو العقرب من ساعة الحرب وينعكس على السياسة الخارجية بشكل عجز عن اتخاذ قرارات مصيرية. ونجم عن ذلك ان رجال السلطة فى موسكو او فى الاقاليم البعيدة منها ما كانوا يستطيعون البت فى موقف واضح من الدولة العثمانية التى كان الاتحاديون يدفعون بها باصرار وعناد الى احضان المانيا. ولذلك ارى ان الشيخ عبد السلام قد تلقى أفضل جواب يمكن ان يتلقاه مثله فى تلك الظروف الغامضة القلقة ان كان ما أثبتته فاسيل نكيتين قد وقع فعلا.

وكان يسهل استقاء الانباء ببذل المال والوعود لذوي النفوس الرخيصة. كما تابعت الاتصالات المتتالية التي اخذ الشيخ يقوم بها بعد عودته من (تفليس) مباشرة وأطمعت الجائزة المرصدة من قبل والى (وان) المدعو (درويش صوفى عبد الله) أحد صغار رؤوساء الشكاك الذين يسكنون تركيا، فكمّن له فى طريق عودته من زيارته لـ(سمكو).

تشاء المقادير ان يحصل التباس بسيط هو الذي ختم على مصير الشيخ، إذ عندما فرغ من زيارته أرسل الى اتباعه يطلب ان يأتوا له بفرسه واستقباله فى الطريق. إلا ان الرجال الاثنى عشر الذين خرجوا لاستقباله بأمره (سعيد ولي بك) و (ابراهيم قادر سيرى) سلكوا طريقاً آخر، غير الطريق الذى عاد منه الشيخ فلم يلتقوا به. وكان الشيخ قد اعتذر عن قبول اقتراح (سمكو شكاك) بأن يرفق معه مسلحين من رجاله. ان طرح الشيخ جانب الحذر ومخاطرته بالمسير بمحاذاة الحدود وفى ارض قريبة جداً من اعداءه الذين دأبوا على وضع الخطط لقنصه، وعرضوا جوائز مالية للقبض عليه وليس معه الا ستة من المسلحين لأمر يستوجب الحيرة والتسائل. كان (صوفى عبدالله) كما قلنا ينتظر مرور الشيخ وهو فى مكمنه مع قوة من رجاله، وما ان لمح حتى ترجل هو واعوانه وتوجهوا اليه مظهرين كل تجلة واحترام وقالوا انهم جاؤا لاستقباله حاملين اليه رجاء اهالي القرية بتشريفها حتى تحل بركته فيها، فأعتذر الشيخ بضيق وقته فألح (صوفى عبدالله) وحلف الجميع بالايمان المغلظة انهم سيشعلون النار ببيوتهم ان لم يلب الشيخ

رجاءهم وغالوا وأشتدوا فى اللجاجة، فنزل الشيخ عند رغبتهم مكرهاً وبلغ مشارف القرية بصحبة مرافقيه (على مح وعزيز گوهار ونوري خاله وصالح عقراوي وعزيز واحمد حاجى امين عقراوى^(١)). فلم يشعروا الا وقت احاط بهم مسلحون جدد احاطة السوار بالمعصم، فألتفت الشيخ وخاطب رفاقه قائلاً : اتشعرون بالخوف؟ فأجابوا ان بناذقنا محشوة. وسار الشيخ نحو القرية التى تقع داخل الحدود التركية يحف به الموكب الشاكي السلاح ودخل منزل (صوفى عبد الله) وحده. وما ان غاب عن انظار البقية حتى بادر رجال (صوفى) الى طلب من اتباع الشيخ بالقاء سلاحهم وافهمهم (صوفى) بأنهم اسراه. فأبى الرجال السنة وأسرعوا يتفرقون فرادى مستترين بزوايا منازل القرية لأتخاذ مواقع لهم، فانهاى الرصاص عليهم من اصطح الدور وقتل اثنان منهم (احمد حاجى امين) و (عزیز گوهار). وعند سماع الشيخ لعلعة الرصاص خرج فعثر بجثتى رفيقيه فصاح مستنكرا (هذا ليس من شيم الرجال). واذا ذاك تقدم منه (صوفى عبد الله) مصوباً فوهة بندقيته الى صدره هاتفاً به (انت أسيرنا) ثم استدار ونادى الاربعة الباقين يطلب منهم القاء سلاحهم والا لقوا نفس مصير الاثنین الآخرين، فألقوا سلاحهم واستسلموا. مايلفت نظري بصدد هذه الخيانة قول مأثور للقائد العسكري لثورة ارارات (احسان نوري باشا) اذ يقول وهو مشرد

(١) كان صوفى عبد الله بإعداده هذا الكمين والسيطرة على الطريق وتوزيع قواته على هذه الشاكلة ينوي القبض على الشيخ حياً. فاذا وجد مقاومة فإنه كان مصمم على الفتك به وتسليم جثته للسلطة التركية طمعاً بالجائزة.

في جبال كردستان العراق: "كنت دائم الخوف من أن أقتل على يد أبناء قومي وأنا بعد لم أحقق أي مكسب لشعبي".

سيق الشيخ ورفاقه ومعهم (محمد آغا هيشهتي) في اليوم التالي الى أقرب مركز عسكري تركي ووجد نفسه في اليوم الثاني يمر بين صفيين من الجنود الاتراك الى خيمة القائد، كانوا شبه عراة، فقد نزع رجال (صوفي عبدالله) ثيابهم الخارجية عنهم ولم يبقوا عليهم الا ما يستر عوراتهم. حاول الشيخ اقناع القائد التركي بالسماح لاحد اتباعه هو (على مح) بالعودة لنقل الاسر البارزانية من (مهركه قهر) فأستجاب لطلبه. واخذ الشيخ ورفاقه الى مركز ولاية (وان) ومنها نقلوا الى (ديار بكر) ثم جاءت بهم قوة تركية الى الموصل.

في تلك الفترة العصيبة من حياة الشيخ كان كل تفكيره منشغلاً بمصير قومه في ديار الغربية. فقد قدر ان الروس قد يفسرون الكمين الذي وقع فيه بانه مواطاة بين الشيخ والعثمانيين، يقصد به تغطية تحوله الى الولاء العثماني وخشى ان يصبوا جام غضبهم على الاسر البارزانية التي كانت حين ذاك ضمن المنطقة التي يسيطر عليها الروس. فما حصل كان يصعب تصديقه بسهولة. ولقد كان تقدير الشيخ صحيحا فقد ضل سعيد ولي بك وابراهيم قادر سيرى وصحبهما الطريق والتقت بهم دورية روسية فألقت القبض عليهم جميعا وادعوا سجن (اورميه) إلا ان صديقهم (آغا بطرس)^(١) توسط

(١) يصعب علينا ان نعرف القارئ تعريفاً كاملاً بشخصية (آغا بطرس) في بضعة أسطر. هاجر من (حكاري) وهو فتى الى كولومبيا البريطانية في امريكا الجنوبية

لهم عند القنصل الروسي الذي اذهلته مفاجأة القبض على الشيخ عبدالسلام، فبادر الى اطلاق سراحهم بعد ان اخذ منهم سلاحهم وخناجرهم، ونصحهم آغا بطرس بعدم إضاعة الوقت فى التسكع وأن يرحلوا فوراً، فمن الصعب إفهام الروس بحقيقة ما جرى.

تجدد الاشتباكات فى بارزان

كانت رسالتنا الشيخ لقائديه تتضمنان امراً بتعبئة قوتها وشن هجوم على قوات الحكومة العثمانية المرابطة فى بارزان واخراجهم منها، ثم توسيع نطاق العمليات لتشمل المنطقة بأسرها، وبهذا يتوصل الى اقناع الروس بجدوى مساعدتهم له. وقد نفذ هذان القائدان

وعمل بمختلف الاعمال ثم تورط فى حادث قتل فهرب الى اوروبا وجمع اموالا من تبرعات الاوروبيين لأيتام حروب البلقان وزار (بابا) روما وحظي منه (لا أحد يدري كيف) بلقب شرف ووسام ثم عاد الى تركيا واشترى لنفسه منصب نائب قنصل تركي فى اورميه. وعندما انسحب الاثوريون من حكارى بقيادة المار شمعون بنيامين تتعقبهم قوات علي احسان باشا التركية والققت الحصار على اورميه، برزت مواهب آغا بطرس العسكرية فى دفاعه عن المدينة. وفى عام ١٩١٧ بعد ان أخفق البريطانيون فى ارسال المساعدة للمحاصرين قاد آغا بطرس الانسحاب الفاجع جنوبا الى بعقوبة فى ١٩٢٠ اقنع سلطات الاحتلال البريطانية فى العراق بتجهيز حملة من الاثوريين لأستعادة اوطانهم فى حكارى كان هو قائدها الاعلى فمנית بأخفاق قبل بلوغ الهدف وعاد الى بغداد يخلق المتاعب للسلطة حتى ضاقت به ذرعا وأخرجته من البلاد فعاش فى سوريا، ثم انتقل الى فرنسا وتوفي فيها. واحفاده وبعض أولاده ما زالوا هناك.

أمره وهاجموا بارزان واحتلوها من دون مقاومة تذكر لصغر الحامية العسكرية التركية فيها. هؤلاء القادة لم يكونوا على علم بما آل الي مصير شيخ بارزان، فتفانوا في القتال على أمل حصول تغيرات إيجابية على الوضع العام وربما عودة الشيخ الى بارزان مجدداً. وبرز من أفراد المهاجمين (سليمان وسمان آغا وملاى ملا محمود وحاجى دورى وعيسى سيلكى وميرالى كوركي وككشار ميرگهسورى) وكان مجموع القوة لايزيد عن مائة مسلح. وتم احتلال بارزان حسب المخطط.

عادت السلطة فاستنفرت العشائر الموالية مجدداً وساقت قواتها النظامية فتدفقت الى بارزان وطوقتها من جميع جهاتها، إلا ان المدافعين ردوا القوات الحكومية على اعقابها مراراً ملحقين بالمهاجمين الخسائر تلو الخسائر.

كان الوقت خريفاً والبساتين الكثة في أسفل منازل القرية مازالت محتفظة باوراقها وكان الطرفان يستخدمان ظلالها للتخفى وتوجيه نيرانهم أحدهما الى الآخر كلما حانت فرصة. ولجأ البارزانيون الى حفر الخنادق في بعض المواضع المكشوفة وحدثوا انفاقاً بينهما ليسهل انتقالهم خلالها باتجاهات مختلفة. وظل القتال على هذه الشاكلة أياماً. ولم يكن المدافعون يشكون إلا من فقدان عنصر (الملح) في طعامهم^(١).

بالاخير ارغمت السلطة بقية القبائل التي لم تنزح مع الشيخ إلى إيران من المزورى وبهروژى وشيروانى على المشاركة في الحملة. وثبت المدافعون اعتقاداً منهم بأن المساعدة الروسية لا شك قادمة

(١) مادة الملح مما لا يستغنى عنه في طعام الكرد.

بمساعي الشيخ. وكان التراشق بالنيران مستمراً دون انقطاع ليل
نهار مصحوباً بالتراشق بالشتائم وعبارات السخرية والاستهزاء.
المرتزقة يندرون البارزانيين بدنو ساعتهم لات حين مناص
والبارزانيون يتحدون هؤلاء بالخوف من التقدم منهم^(١).

ورغم ان المهاجمين لم يكتموا عن البارزانيين نبأ القبض على
شيخهم ونصحهم بالاستسلام والمعاملة الطيبة، إلا ان البارزانيين لم
يلتفتوا إليهم ولم يصدقوا خبر القبض على الشيخ وعدوه من جملة
اكاذيب اعدائهم للنيل من معنوياتهم. وظهر البارزانيون الواناً من
البطولة لا يمكن اغفال طائفة منها فقد كان (ملاى ملا محمود نائب
شيخ بارزان ومن اقرب المقربين له) مصاباً بحمى شديدة وهو في
خندقه وكان الى جانبه قريبه (ملا وسمان) فأمره ان يحشوله بندقيته
ويراقب له مكن أحد المرتزقة في الهضبة الشرقية (كه رترينك)
ويشغله، كان يزعجهم بشتائمهم وسخريته. فنهض (ملاى ملا محمود)
له ولم يكن ليحتاج الى أكثر من لحظة اخرج فيها المرتزق رأسه من

(١) من بين المرتزقة- كان ثم سورجي سليل اللسان لم يكف لسانه عن كيل
الشتائم وهو متوار بين شبكة من السواقي بين البساتين فيرد عليه احد
البارزانيين قائلاً ((لو أغلقت فمك وتفضلت بالخروج من الساقية لامكننا
التفاهم بسهولة دون شك)) فيجيبه السورجي متهكماً ((لقد جئت من بجيل
عدوا قطعتم هذه المسافة الطويلة من اجلك. اما ترى كم انا تعب؟ اليس من
الواجب عليك ان تكمل الخطوات الباقية لاستقبالي؟ فى تلك الاثناء استطاع
أحد رفاق البارزاني الذي كان طرفاً فى المحاوراة ان يقف على مكن
السورجي فيصرعه برصاصة ويبقى آخر جملة من فمه غير كاملة.

مكمنه فأطلق عليه رصاصه أردته قتيلاً لساعته رغم بعد المسافة.
ولم يجرؤ أصحابه على سحب جثته حتى حل الظلام.

تجاوز الحصار اسبوعه الثالث دون ان تتمكن القوات الحكومية
والمرتزقة من اقتحام القرية. وكان بطل الميدان بحق البارزاني (محمد
هوكي) الذي أصبح مضرب المثل في الشجاعة والاستبسال والمفاداة.

واستنجدت أمرية الحملة بالمدفعية، فجيء بها من الموصل في
شهر كانونى الثاني ونصبت على مرتفع وسط هتافات المرتزقة
والجنود الترك. ومالبث ان اخذت تصب حممها تباعاً على مواقع
البارزانيين الا انهم ظلوا ثابتين في خنادقهم.

تدخل اولئك الذين كانوا من أنصار الشيخ وأرغموا على قتال اخوانهم
بعد ان أدركوا مصير هؤلاء اشفاقاً فاتصلوا سراً بهم وصارحهم بصحة
نبأ القبض على الشيخ وبوضعهم الميؤس منه واتفقوا معهم على ان
يسهلوا لهم عملية الافلات من الطوق. فاندفع البارزانيون من خنادقهم
بهجمة صادقة وأفلتوا من الحصار وتفرقوا في طول المنطقة وعرضها.
وتلك كانت آخر معارك بارزان في العهد العثماني.

حكمت الحكومة التركية قبضتها على بارزان واعتقلت مائة واربعين
بارزانياً واقتادتهم الى سجون الموصل، حيث توفي عدد كبير منهم ومن
بينهم خال الشيخ. واستمر التعقيب بحق البقية فقتل كثير من اتباع
الشيخ وعاد الاغوات مجدداً لشفاء غليلهم من المنطقة برمتها.

الفصل الخامس والثلاثون

محاكمة الشيخ عبد السلام واعدامه الحياة

غادر النازحون من إيران بعد القبض على شيخ بارزان نحو ديارهم،
إنهم لم يرجعوا الى قراهم خوفاً من التعقيب وتفرقوا في عدد من القرى
وانشعبت اسرة الشيخ من النساء والاطفال فسكن قسم منهم في قرية
(نيرى) وبقي قسم آخر في قرى (اوليا) و (كرانه) و (بيرسياق) و (زيت).
واختفى اخ الشيخ (احمد) مع اخيه الآخر (محمد صديق) خشية من
السلطات، كما التجأ معلم الشيخ (ملا أحمد) الى الجبال لان السلطة
كانت جادة فى أثره. وقد أرسلت والدة الشيخ وهي في مخبئها رسولا
للتحقق من مصير ابنها فى الموصل، وكان إذ ذاك قد وضع في الثكنة
العسكرية تمهيدا لمحاكمته أمام المجلس العرفي العسكري. جيء به
مخفوراً وتحت حراسة مشددة من ديار بكر، ولما علم سليمان نظيف
بموعد وصوله "ركب عربته واتجه نحو الطريق حتى وصل الى
الموضع القريب من مرقد (الشيخ قضييب البان) (في ضواحي الموصل)
فأوقف عربته وجلس على حافلة الطريق. وبعد برهة جيء بعبء
السلام وكان قد اركب بغلة والجنود يحيطون به من كل جانب، فنهض
سليمان نظيف وتوقفت القافلة ثم اقبل على عبدالسلام وسأله:

- أنت عبدالسلام البارزاني؟

أجابه الشيخ:

- انا هو.

قال سليمان نظيف:

- لماذا عصيت الأوامر ولم تجيء الى الموصل واخترت المجيء
على هذه الشاكلة؟

ثم ركب عربته وقفل راجعا واقتيد عبد السلام الى محبسه.
وقد استطاع (لقروك) رسول والدة الشيخ ان يواجهه في السجن. وأعطاه
الشيخ منديله لإيصاله الى والدته كما أعلمه بأنه سيقدم للمحاكمة بعد مدة
وأوصاه ان يعود ليحضر وقائع المحاكمة ويتلقى النتيجة.

يقول صاحب كتاب (إمارة بادينان) عن سليمان نظيف هذا
الوالي الذي ترغمنا اجراءاته الشاذة اللاقانونية بحق الشيخ
عبدالسلام وبازران السابقة منها واللاحقة - على الاستنتاج بأنه لم
يكن يعد الشيخ تائراً على دولة متفسحة مهترئة فحسب، وإنما عدواً
شخصياً له تجراً عصياناً وأمره ورفع السلاح ضده وهو الحاكم
المطلق الذي لايرد له أمر. يقول الدمولوجي عنه ((هو ابن سعيد
باشا الديار بكري وأمه يزيدية من عشيرة (الخالتية) واذن هو كردى
اباً واماً. تخرج في المدرسة الملكية الشاهانية باستنبول واندمج في
صنف الادباء. كان على كرديته متشيعاً للطورانية ومن اكبر الدعاة
اليها... وكان عنصراً فعالاً في جمعية الاتحاد والترقي، اول ماعرفته
في مجيئه الى الموصل (١٨٩٥) كاتب سر للفريق عبدالله باشا الذى
جاء بمهمة الاصلاحات في كردستان واشغل زمناً ولاية الموصل
بالوكالة. كان يسير على سياسة مقاومة العناصر غير التركية ومنها
الكردية وكان من اول اجراءاته ان قبض على سعيد بك ابن عبدالله
باشا الرواندى المع شخصية عرفت في الاكراد وسجنه. وتعقب

(الشيخ عبدالسلام البارزاني) بقوة من الجيش ونفير عام من العشائر المعادية له ونكل به وخرب زوايته، ثم قبض عليه بواسطة العشائر وحاكمه واعدمه.. كان سليمان نظيف بهذا يريد ان يكون له ذكر تتناقله الألسن ويتردد صده في الأذان، فكان ذكراً مستهجناً ممجوجاً، دلّ على روح متمرّدة طاغية فيه)).

تشاء الصدق ان يكون مؤلف كتاب (إمارة بادينان)^(١) معتقلاً في نفس السجن ورفيقاً للشيخ في زنزانتة. وقد اغنى والحق يقال كتابنا هذا بتسجيله وقائع اللحظات القليلة الأخيرة التي عاشها الشيخ عبدالسلام في هذه الدنيا، قال "...جاؤا في المساء (الاول من كانون الاول ١٩١٤ الموافق ليوم ١٥ محرم ١٣٢٣ هـ) بالشيخ عبدالسلام البارزاني الينا في السجن وأنا أعرفه جيداً وسبق ان اجتمعت به مرة. وقد نقل الى السجن الملكي بعد ان انتهت محاكمته في مجلس الديوان العرفي العسكري. سألته ماذا أتم من أمره؟ أجابني: انتهى كل شيء وسيرقون دمي. وكان الالم بادياً على وجهه. قلت له: هون عليك ياشيخ والحكومة ليس من صالحها ان تعدم رجلاً عظيماً مثلك و وراء كل ضيق فرج. فاجاب: -

(١) يذكر صديق الدمولوجي سبب توقيفه ان سليمان نظيف اتهمه بمسؤولية ايقاد نار التمرد المسلح في تلعفر الذي وقع ايام ولاية (اسعد باشا الدرزي) بصفته للناحية و((.. اتهمني بكل مانص عليه قانون العقوبات العثمانى من جرائم وحاكمنب عليها ولما لم يتمكن من التأثير على عدالة المحكمة احالني الى الديوان العرفي العسكري المشكل في الموصل الا ان انفصاله عن الولاية واعادة محاكمتى حقق براءتي.

- كلا، ليس لي أمل في الحياة . وهذا الوالي قد صمم على قتلي .
قلت:

- ليس الامر بيد الوالي وحده مالم توافق استنبول على ذلك .
اجابني:

- كلهم شيء واحد . لكنهم مخطئون . (ثم فكر قليلاً) ان دمي
سيكلفهم ثمناً غالياً .

وانا اخاف على اولادي واخوتي من بعدي .
وظل يكرر هذه الكلمات .

"... في الليلة الثانية وقد فرغنا من صلاة العشاء فتحت ابواب
السجن فانقبضت قلوبنا . وفتح ابواب السجن في مثل هذا الوقت
نذير الشر نحن المسجونين في هذه الغرفة عبدالعزيز بك قائم مقام
عقرة وحاجي پيرداود آغا من اغوات عشيرة الدزهي و حكمت افندي
مأمور برق وبريد كركوك . وعبدالغني افندي مأمور طاپو
السليمانية . تقدم رئيس السجانين (قاسم حسن) وضابط الجندرمة
(تحسين افندي) وناديا الشيخ عبدالسلام وأخذاه . ثم عادا واخذا
خادمه (محمود) وخادمه الآخر (موسى) و(محمد آغا هيشتي) وهو
احد رؤوساء عشيرة النيرة وذهبوا بهم . لقد اصابنا الوجوم وكانما
اجنحة الموت ترفرف فوق رؤسنا"^(١) .

"... انى اسجل هذا للحقيقة والتاريخ - ينفذ حكم الاعدام
الصادر من المحاكم المدنية او المجالس العرفية عادة بمصادقة

(١) امارة بادينان، ص ١٥٢-١٥٣ .

السلطان. وقد طلب سليمان نظيف المصادقة على الحكم الذي اصدره المجلس العرفي العسكري بالموصل بحق الشيخ ورفاقه الثلاثة. إلا انه لم ينتظر صدور الارادة السلطانية (الفرمان) بالمصادقة على التنفيذ. ويظهر انه كان يخشى ان يبدل الحكم او يرجئ الى اجل غير مسمى وهذا مايقع كثيراً. اذن ماذا يفعل؟ او عز الى الضبطية (شرطة المدينة) ان يطلقوا طلقات نارية فى مختلف انحاء المدينة لايهام الناس بقيام محاولة مسلحة ترمي الى انقاذ الشيخ عبد السلام. وأمر بتطويق السجن بفوج من العساكر النظامية وأخرج دوريات تطوف بالمدينة وسارع الى نصب المشانق^(١). وأبرق الى الباب العالي بأن اجراءاته المملوءة حزماً قضت على ثورة كادت توقع المدينة فى خطر".

احيط السجن بفوج من المعساكر النظامية وكتيبة من الجندرية الخيالة. وأخذ الاربعة الى ساحة التنفيذ بين الثكنة العسكرية والثكنة الملكية حيث اعدت أربع مشانق. واحضر العالم الكردي (امين افندى القرهداغى) لتلقي المحكومين كلمة الشهادة ثم توضع الشيخ عبد السلام وقرأ القرآن وصلى ركعتين ولما صعد الى المشنقة توقف وقال:

(١) يقول صاحب الضحايا الثلاث فى تعلييل اطلاق الرصاص (صودرت الاوامر الى بعض الجندرية بان يطلقوا الرصاص اشعاراً باعدام الشيخ وفى تلك الليلة نفسها لغاية خروج الاهالي لرؤية المشهد الفظيع وقبل ان ينتصف الليل جيء بالشيخ عبدالسلام مع الثلاثة المحكوميين.

- لي كلمة لقولها للوالي . ان الحياة والموت عندي سيان، إلا ان موتي بهذا الشكل ليس من صالح الدولة فليحقق دمي وانا أقدم للجيش معونة ألف بغل بحمولتها (وكانت تركيا على ابواب الحرب) وسأربط على الحدود بقواتي .

ولم يلتفت الى اقواله وتقدم من المشنقة وهو يردد ان موته ليس فى صالح الدولة .

وشنق محمد آغا هيشتى (نسبة الى قرية هيشت) احد رؤساء عشيرة نيره ورفيق الشيخ المخلص .

اختلف الكاتبان الوحيدان اللذان أرّخا هذه المأساة في هويتي الضحيتين الباقيتين، فبينما يثبت (صديق الدمولوجي) اسمي (محمود وموسى) بدون ايراد اللقب او الشهرة او اسم الاب ويعرفها بكونهما خادما الشيخ عبدالسلام. نجد مؤلف الضحايا الثلاث يثبت اسمين آخرين (بهويتها) ليس بينهما وبين هوية (محمود وموسى) علاقة ما . وان كان وصفها عند الكاتين يتطابقان تماما وهما (عبدى آغا المزورى - وهو في دور الكهولة (عند الدمولوجي: موسى الذى يبلغ الستين من العمر) و (علي ابن محمد امين آغا المزوري) - من قرية بابسيقا وكان شاباً فى مقتبل العمر (عند الدمولوجي: محمود وهو شاب فى العشرين من العمر). اتفق المؤلفان بانه تقدم من المشنقة بجرأة واقدام وهو ينادى بالكردية)). خولى بهسر حكومتى . بكشتنا من بارزانى خلاص نابن = رماد براس الحكومة . البارزانيون لاينتهون بقتلي). (اى خدان بارزان انا كبشه انا قربان له)

المؤلفان كلاهما من اهالي الموصل وقد نشر كتاب الضحايا
الثلث بعد فترة قصيرة من صدور كتاب (امارة بادينان) وكأني
بمؤلف (الضحايا الثالث) قد قصد تصحيح ماورد من وهم عند
مؤلف الكتاب الثاني في ايراد وقائع هذه الماساة عندما اثبت الفقرة
التالية تدليلاً على صحة معلوماته، إذ قال ((وجدت اسماء
المعدومين مدونةً بمجموعة مذكرات المرحوم خالي محمد بك ابن
صالح بك آل أمين بك بخط يده وهي الان بحيازة ولده السيد محمد
امين المقدم بالجيش العراقي حالياً.. ولما كانت الروايات الاخرى
فى الاسمين الاخيرين من هؤلاء المعدومين قد اختلفت فقد اتصلت
بأناس بارزانيين - وصاحب الدار ادري بما فيها كما يقول المثل
فأيدا الاسماء التى ذكرتها بالاجمال)).

فى الواقع ان هذا الاختلاف فى اثبات هوية المشنوقين الأخيرين
كان مصدر حيرة لنا شخصياً، وقد ضاعت محاولتنا هباء فى
التعرف على الحقيقة من التواتر المحلى وليس ذلك بغريب إذا ما
وضعنا فى تقديرنا الظروف التى كان يعيشها البارزانيون
الملاحقون المشردون فى ذلك الوقت وعدد المعتقلين فى السجون،
ومن مات منهم داخلها ومن قتل منهم اثناء المطاردة والتعقيب.
علما بان الجثث لم تكن تسلم الى ذويها وانما كانت تدفن فى قبور
مجهولة وتخفى معالمها كما حدث لجثمان الشيخ عبدالسلام.

لقد كان اقرب الى المعقول ان لايرضى سليمان نظيف بقتل مجرد
خادمين للشيخ وان يطمح الى اناس ارفع شأنًا وأخطر مقاماً ليضرب
بهم مثلاً للباقيين، وهذا مايجعلنا نرجع رواية (الضحايا الثالث).

لم تسلم جثث المشنوقين الى اهلها بطبيعة الحال، ودفن الشيخ ورفاقه في المقبرة المقابلة لمرقد ومسجد الشيخ عمر المولى (وهى مقبرة الغرباء والمنقطعين) وتدعى الان بمقبرة البوبدران. ولم يوضع على قبره علامة تشير الى من يضمه القبر، ولذلك ما لبثت ان ضاعت آثاره وراحت كل المجهودات التى بذلت لمعرفة موقع القبور عبثاً بعد تأسيس الحكم الوطني. وعاد الرسول (لقروك) الى والدة الشيخ وليس معه غير الثياب التى تركها الشيخ فى السجن.

قال الدملوجي ((.... اراد البعض ممن يعطف على البيت البارزاني ان يقفوا على قبر الشيخ عبد السلام وكان قد دفن في مقبرة الغرباء قرب جامع (عمر المولى) فلم يقفوا له على أثر. ويقال انهم دفنوه ورفقاءه الثلاثة فى حفرة وساووها مع الارض واخفوا معالمها.... فما ضرّ سليمان نظيف لو ابقى على قبره؟ أخوفاً من ان يتخذه اهل الموصل مزار يعبدونه؟ أم يأتي البارزانيون يسرقونه؟ أخوفاً من الاموات أم نكاية بهم؟ أم تشفياً؟ أم القصد إهانة شعور هذه الامة وسحق كرامتها؟ ويسمى هذا إصلاحاً؟)).

فى الثامن والعشرين من تموز ١٩١٤ اندلعت الحرب العالمية. وفى الثانى والعشرين من شهر تشرين الثانى اعلنت تركيا الحرب على الحلفاء الى جانب دول الوسط (المانيا والنمسا). وفى ليلة ٢/١ من شهر كانون الأول ١٩١٤ اى بعد ساعة وبضع ساعة من تنفيذ حكم الاعدام بالشيخ عبد السلام انزلت بريطانيا حملتها المشهورة لاحتلال العراق فى خليج البصرة.

كان منجل ملك الموت يحصد آلاف الأرواح يومياً في البر والبحر،
والعالم كله في شاغل عما يحدث في هذا الجزء القصي من المعمورة
من الامبراطورية العثمانية المتداعية. والناس جميعاً يقفون على
فوهة بركان متفجر لا يبقى ولا يذر. كلُّ يفكر في مصيره المجهول.
فأي مكان ترى يمكن ان يحتل اعدام الشيخ عبد السلام البارزاني
ورفاقه من الضمير العالمي آنذاك؟ لقد أصرّ والي الموصل ان يجعل
من فعلته حدثاً تاريخياً به حفظ كيان امبرطوريته ولم يشأ ان يكتم
روح التشفى والكيد التي يحملها للرجل الذي أعدمه الحياة، فحضر
ساحة الاعدام بعد التنفيذ مباشرة ووقف هو وهيئة الديوان العرفي
العسكري تحت المشانق التي كان يتدلى منها جثث الضحايا امام
عدسة آلة التصوير معجباً متباهياً بما أنجزه وطبع الصورة
الفوتوغرافية بهيئة بطاقة مصورة (كارت پوستال) ونشرها في
الخارج واذاعها بين البارزانيين أنفسهم.
هذه الاعمال وغيرها هي التي اوردت الامبراطورية العثمانية
حتفها، وهي كفيلة بالقضاء على كل حكم يمارسه حكام مستبدون
لاتعرف العدالة ولا الرحمة الى قلوبهم سبيلاً^(١). بهذا انطوت آخر

(١) (من مقالة العائلة البارزانية - شمس كردستان) اما الخائن صوفي عبد الله
فقد بقي مدة طويلة في (وان) ينظر المكافأة التي لم يحصل عليها قط ولقد
قال له جودت بك الوالي (لم يبق لك الا ان تمسح فمك) وظل هو واعوانه في
وضع تعيس في (وان) ولم يجروا على الرجوع الى ديارهم وعشيرتهم. أرادوا
ان يجنوا من الشوك وردا ولم يدروا بان الانسان لايجني من الشوك غير
الشوك (ف. نيكييتين ص ٢٢)

صفحة من حياة رجل استطاع رغم صغر سنه وقلّة حظه من العلم والتجربة وضيق أفق مجتمعه ومحدودية دائرة تحركه ان يكسر كل هذه الاطواق التي تشده بالدين والعنعنات العشائرية والافتقار الى المعرفة، ليحلق في جو أرحب ويعمل في ميدان أوسع هو ساحة النضال الوطني والتوعية القومية والتحرر.

ومع ان كلمة (لو) لا محل لها في تحليل الاحداث التاريخية والوقائع المؤثرة على انتقالات المجتمعات البشرية. ومع ان عقارب ساعة الزمن لاترجع الى الوراء فتعيد الاحداث المارة كما يعاد عرض الفلم السينمائي ليحذف منه ما يحذف ويضاف اليه ما يلزم اضافته كي تستقيم القصة كما يجب ويتم تدارك الاخطاء، إلا ان المرء لايسعه إلا ان يفكر بأهمية الدور الذي كان مقدراً للشيخ عبدالسلام (لو) بقى حيا. والى التأثير الذي كان سيحدثه في مجرى احداث الشرق الاوسط والحركة القومية الكردية (لو) التزم بقليل من الحذر و (لو) أبى النزول عند رغبة المتآمر على حياته. كيف سيتناول قضية شعبه بعد ختام الحرب العالمية الاولى وطرح قضايا تحرر الشعوب في المؤتمرات الدولية التي تلت الحرب (لو) لم تتيه القوة التي خرجت لاستقباله وحمايته؟ ماذا سيكون دوره من انتفاضات الشعب الكردي المسلحة التي حصلت في العراق وايران وتركيا (لو) كان على الموصل والي منصف ملتزم باحكام القانون غير سليمان نظيف؟

تم الكتاب

هه و النامه كتيب

الملاحق

- ١- العمامة البارزانية الحمراء.
- ٢- ملحمة (قمرى) الشعرية وترجمتها.
- ٣- قصيدة دينية زجرية للشيخ عبد السلام الأول وترجمتها.

هه و النامه كتيب

الملحق الأول

فى العمامة البارزانية

من اظهر ما اتخذه البارزانيون تمييزاً لأنفسهم عن سائر جيرانهم هم شدهم العمامة الحمراء. وقد جلب هذا انتباه كثير من الاوساط على الصعيدين الاجتماعي والعلمي، فتساءلوا عن الدوافع والاسباب. ومتى اتخذت؟ ومن اشار باتخاذها؟ وكيف اصبحت العلامة الفارقة للبارزانيين وحلفائهم؟

ومع اعتقادنا بان الموضوع جانبي. وهو أبسط وأقل أهمية من ان نتناوله بالبحث ونفرد له جانباً من هذا الكتاب، إلا أن صيرورة هذه العمامة فى مناسبات سياسية كثيرة موضع إثارة وازعاج حملنا على ان لانبخل على القارىء بما لدينا من معلومات هي فى الواقع ليست كثيرة ولا نراها تشفى الغليل.

إن لم يكن يكمن وراء اتخاذ البارزانيين هذه الشارة دافع عاطفى فلا شك انه لا يكمن وراء ذلك أى دافع تاريخي أو سياسي. ولقد سألنا اولئك الذين بلغوا من العمر عتياً من البارزانيين فلم يضيفوا الى مانعلمه شيئاً جديداً، وقالوا انهم وجدوا آباءهم وأجدادهم يشدون عمائمهم هكذا فاقتدوا بهم. ومن الأرجح انهم اتخذوا هذا اللون المميز لهم عن جيرانهم (نوى العمائم السوداء المرقطة بالابيض) عندما بدأت المشيخة البارزانية تفقد صلتها القبائلية والاجتماعية مع سائر القبائل الزيبارية التى كانت هي جزء منها.

والامر واضح، فالقبائل الكردية في سائر أنحاء كردستان تتخذ من غطاء الرأس بصورة خاصة (دعك من الزي) علامة فارقة تتميز بها الواحدة عن الاخرى ليسهل التعرف على أفرادها. وإذا ما حاولنا إحصاء ووصف أنواع وأشكال وألوان العمام التي يشدها الاكراد فى كل مكان، لاقتضى ذلك منا مجلداً كبيراً دون اي فائنا بالغرض. وكل ما في الامر بالنسبة إلى البارزانيين أنهم ظهروا على مسرح التاريخ والنضال المسلح أكثر من غيرهم في العقود المتأخرة من هذا القرن، الامر الذي اسجلب الاهتمام بمعرفة أصل اتخاذهم هذا اللون لعمائمهم. فقد كانت في الواقع عامل إثارة وإزعاج كبيرين لبعض الحكومات العراقية تحدث فيها ما تحدثه جبة مصارع الثيران الحمراء من هياج وغضب في الثور الى الحد الذي دفع بإحدى تلك الحكومات إلى أن تجعل منع اتخاذ هذا اللون للعمائم شرطاً من شروطها في الثلاثينات من القرن العشرين.

ومن يدري؟ فلعل ثمة أصول تاريخية للقرار باتخاذ هذا اللون بالذات. خفي عن الاتباع وأمر به شيخ بارزان الأول والثاني دون أن يرى ضرورة لتفسير الحكمة في اتخاذه، إذ لم يكن الشيخ عادة ملزماً بتفسير سلوكه أو قراراته لاتباعه ولذلك بقي الامر سراً كما بقي تأريخ البدء باتخاذ هذا اللون مجهولاً منا.

والواقع أن البارزانيين لم ينفردوا في تاريخ المشيخات الصوفية في الشرق الاوسط باتخاذ الاحمر شعاراً للرأس. فقد سبقتهم الى ذلك (القرلباشية) وهي المشيخة الصوفية بزعامة (الشاه اسماعيل

الصفوى ١٤٨٧ - ١٥٤٦). إذ كانت القبائل الأذربيجانية التسعة التي ألغت النخبة الممتازة من جيشه تسمى بالقرلباشية وبالتركية تعنى (نوي الرؤوس الحمر) بسبب العمام الحمراء التي كانوا يعتمرون بها والتي صارت مصدر رعب لأعدائهم وقت المعارك والتلاحم بالأيدي. وهذا الجيش (الاحمر) هو الذي وضعه على عرش إيران في ١٥٠٣. عندما فتح هذا الشاه العراق بقسميه الشمالي (بدأ بكردستان) والجنوبي (ما زال ثمة بقايا من اتباع هذه الطريقة في مدينة كركوك والقرى المجاورة) وضع هؤلاء المحاربين الأشداء حاميات عسكرية بقي قسم منها بعد خروج العراق من يده. وربما كان الشيخ البارزاني الذي اتخذ العمامة الحمراء على عهده على علم بهذا، فعمد الى تقليد سلفه الزعيم الصوفي الإيراني؟

والشائع عند البارزانيين انهم اتخذوا الاحمر غطاء للرأس تقليدا واقتداء بصحابة الرسول الاعظم الذين كانوا يعتمرون بالعمامة الحمراء، إشارة الى استعدادهم لبذل أرواحهم في المجاهدة لإعلاء شأن الدين، إلا أننا لم نجد سندا تاريخياً يؤيد هذا الزعم.

بقي أمر تعليلي واحد عاطفي النزعة وهو ان الاحمر يرمز الى (الدم) لذا فهو علامة المجاهدة في سبيل الله واسترخاص الدم في سبيل العقيدة والمبدء.

على اية حال، لم يكن لأتباع الطريقة من البارزانيين وغيرهم يد من إتخاذ زي للرأس يميزهم تماما عن ابناء جلدتهم الزيباريين في ذلك الوقت الذي اعلنتها مشيخة بارزان حربا لا هوادة فيها على

اغوات هذه القبائل الشديدة الشكيمة والكثيرة الاتباع الخاضعة لمستغليها. لا شك انها كانت رمزاً أو ظاهرة تحد شجاعة لفئة قليلة انفصلت فكرياً وعقائدياً عن الجزء الاكبر من القبيلة ورفضت بكل عناد ان تسير معه على نهج التقاليد القبائلية فاستهدفت للأضطهاد، واصبحت عمائمهم الحمراء مادة للدعاية ضدهم باعتبارها (رمز للكفر والالحاد).

هه والنامهى كتيب

الملحق الثاني

ملحمة قُمري وترجمتها

ملخص للملحمة^(١)

هذه القصيدة الشعرية نظمها شاعر كردي شعبي مجهول باللهجة الباديانية السائدة في تلك الانحاء، وتتضمن قصة مأساة (دراما) عنيفة قبائلية بطلها وضحيتها (سمايل آغا زيباري). وخلصتها ان (محمد طيار باشا) كان قد توفي، فخلفه في نفوذه وأملاكه زعيان يماثلانه قوة، سيطر كلاهما على (دهشتا نافكور) اولهما (سمايل آغا) المعروف بفتوته وشجاعته وشهامته، وثانيهما (خال احمد) الذي يليه نفوذاً، وكانا يسكنان معا قرية (بارزان).

سافر (سمايل آغا) الى أرض اليزيدية ليشارك في مراسيم تنصيب أمير لهم. وفي اثناء عودته ابلغ بتمرد (البرواريين) على الزيباريين وشق عصا الطاعة بامتناعهم عن دفع الخراج لهم.

يبلغ (سمايل آغا) بارزان ليلا فيبادر (خال احمد) الى اطلاعه على الامر، فيقوم (سمايل آغا) بدعوة أهالي (هوستان) و (هسنئ) و (سري)

(١) زدونا بهذه الملحمة الپيشمهركه والمغني الشعبي (ابراهيم رهشاقه يي). وهي مفعمة بالمبالغات لكنها تجسد حب القبيلة للسلب والنهب قبل ظهور الطريقة النقشبندية في المجتمع القبلي في مناطق الزيبار والقبائل المجاورة.

شمه) للحضور للتشاور فيما يرتأى اتخاذه بحق المتمردين، ويتفقون على تجريد حملة تأديبية على البرواريين لاعادة سيطرتهم.

يخرج (سمايل آغا) على رأس ثلاثمائة وخمسين مقاتلاً ومعه (ههسنهسور) أحد معتمديه الشجعان ودليله (زيندى زهر). ولم يكاد نبأ الحملة يبلغ البرواريين حتى يبادر كبيرهم (عبد الرحيم بك البروارى) بالكتابة الى (سمايل آغا) متظاهرا بالترحيب بمقدمه وعرضا عليه السلام، ويعده دفع الخراج المترتب وهو ليرة عثمانية واحدة عن كل اسرة. فيصدق (سمايل آغا) قوله ولم يعد يرى بعد حاجة تدعوا الى مسير القوة، فيأمر ثلاثمائة من رجاله بالعودة الى بارزان ويبقى خمسين فقط.

من جهة اخرى يتصل (عبد الرحيم بك البروارى) بالتياريين (وهي قبيلة مسيحية كردستانية) حلفائه ويعلمهم بقدوم الزيباريين فى طلب الخراج، فيتفق الطرفان على الايقاع بـ (سمايل آغا) وحرسه والاجهاز عليهم. فينحدر الجميع ويكمنون لهم فى الوادي ويتقدم التياريون لاستقبال (سمايل آغا) وصحبه فى الطريق فيرحبون بهم وينتظمون فى صفوف القادمين وهم يتوغلون الجبل سعداً الى (قُمرى)، وكانت خطة المؤتمرين تقضى بأن يجعلوا كل زيبارى بين اثنين من التياريين. وهكذا سار (سمايل آغا) فى المقدمة يتبع (مام بثيو) احد زعماء التياريين الاشداء. فيصعد الجميع تلك الشعاب الملتوية على هذه الشاكلة التى اثارت شكوك (ههسنهسور) الداهية الذكي فيحذر (سمايل آغا) ولكن بعد فوات الاوان.

ما ان يبلغ الركب شُعب (قُمري) الضيق حتى يسبق (مام بثيو) الأغا الزيباري ويواجهه أمراً إياه بالقاء بندقيته (ششخانه) فيرفض ويهجم عليه ويتبادلان الطعن بالخناجر. كانت المعركة غير متكافئة، ولكن الزيباريين استبسلوا رغم ضآلة عددهم نسبة الى التياريين (وهم ثلاثة مقابل زيبارى واحد) وأبدى (ههسنهسوّر) من البطولة فنونا. واستمر القتال عنيفاً بالخناجر و (ششخانة) حتى قضى على آخر زيبارى بعد ان يقع من التياريين كثير من الضحايا.

تبدأ الملحمة بسرد تفاصيل عودة (سمايل آغا) من ديار اليزيدية الى بارزان، ثمّة كيفية تقدمه نحو البرواريين والقرى التي مر بها. وفي خلال ذلك يسجل الناظم سجايا وعادات المجتمع في ذلك الوقت والضراوة التي تصحب نزاعهم على النفوذ ووسائلهم العنيفة التي يلجؤون اليها للتخلص أحدهم من الآخر.

اما (قُمري) فهي قرية كبيرة تقع في منطقة بروارى بالا (ضمن قضاء العمادية) في كردستان العراق. ولما كانت هذه الموقعة قد جرت في شُعبها^(١) القريبة منها فقد سميت الملحمة باسم القرية.

(١) الشعب (بفتح العين وضم الشين مع التشديد)، هو الطريق الجبلي الوعر.

هه رجي روژا (محمد طيار) مرد
 دو آغا رابون وهت خورد
 دهشتا ناڤه كۆر لي هه لگرد
 ما أن توفی محمد طيار
 حتی برز زعیمان قویان مثله
 فبسطا سیطرتهما علی سهل نافکور

هه ری قوباد به گو گورکی هار
 وان تالان کر خه زیندار
 هه روه کو جاری جار
 سمایل آغا توی کۆری
 سواری جانی دی بری
 جه خماخی لی دجییت گوری
 ان قباد (بک) ذلك الذئب المسعور
 قد نهب ثروات البلاد
 وغصبها وتلك هي عادته
 اما اسماعيل آغا ذاك الفتى
 الفارس المغوار بجواده الاصيل
 وزناده يقدر الشرر

جوانی قوته بییت نری
 سمایلو لای له شکری
 سه رکه فت سه ری شمدری
 سهیل جواده الجمیل
 سمایل آغا فتی المعارک
 یصعد قمة (شمدر)

جه خماخا تاڤییت په شکا
 شه فی ما (لخانا هه شکا)
 زناده الوهاج یطلق الشرر
 توقف وبات لیلة فی (خانا هسکا)

سمایل بازی سه رلیسی
 جه خماخی دجییت بریسی
 سه رکه فت سه ری بیرسی
 هه سپی قوته ره قسی
 سمایل بازی القمم الشواهدق
 وزناد بندقیته یتوهج
 یصعد قمة بیرس
 وجواده الجمیل یختال تیها

هاته كفرا سيدانئ
 شير لپشتی دکهت جولانئ
 فراقين اينا سهر دهرافا دلانئ
 بلغ (کفرا سيدان)
 وسيفه يتأرجح على خاصرته
 وعند معبر دلانى ادرك وقت الغذاء

گوت يانه ديلم ديلانى
 بيژيت خال ئه حمه د کانئ؟
 شهقى هاته بارزانئ
 قال ما اجملها من رقصة^(۱)
 وسأل اين هو خال أحمد؟
 وصل ليلاً الى بارزان

گوت جابى بهن بو (هوستانه)
 داشير بين ليشانه
 دئ جينه ناڤ بهرواريانه
 دئ اينين خهرجى وساليانه
 قال بلغوا اهالى (هوستانه)
 ولتنطلق اسودها من العرين
 سنزحف على ارض البرواريين
 ونعود منهم بالخراج والجزية

جابى بهن بو (سريشمئ)
 دا پلنگ دركه فن لكونئ
 ناڤ بهرواريا دئ جمئ
 قالوا بلغوا اهالى (سريشمه)
 ولتنطلق نمورها من الأجام
 لنزحف على ارض البرواريين

جابى بهن بو (ههسنياه)
 دابئن قهومئ مهردانه
 وبلغوا اهالى (قرية ههسنئ)
 لينجدنا رجالها الميامين

(۱) يشير الشاعر الى ان سمايل آغا وصل اثناء ماكان الاهالي يرقصون فعبر عن استحسانه.

كى نرحف على ارض البرواريين
ونعود منهم بالخراج والجزية

وفى بارزان اجتمعوا
وبعد المشاورات اجمعوا
على أن البرواريين قد عصوا

لايزال الصباح باكراً
اعتلى سمايل آغا صهوة جواده
يحف به كل من (هسنه سور)

زيندى زهر دليله
وعبروا النهر^(١)

ياقلبى من عصر ذلك اليوم!
امتطى سمايل آغا جواده
ووصل (هلورا) ليلاً

دى چينه ناڤ به رواريانه
دى اينين خه رچى و ساليانه

لبارزانى كوم فه بينه
پاش ته كبيرا پيک هاتينه
به روارى آسى بينه

سپيده هيه هيشتا زويه
سمايل آغا سوار بييه
هه سنه سور دگه ل وى يه

زيندى زهر دبره چيه
بى لا آقى دهر بازبى يه

هو دليمنو لهنگورا
سوار بى سمايل آغاي سورا
شهقى هاتنه (هلورا)

(١) يقصد نهر الزاب الكبير.

هو دليمنو لخوريكى
زرننا دكهت جيكي
سه رتيشت بره (هاريكى)
واحسرتا لقلبي الحزين
والزرنناي تصدح بانغامها^(١)
وقت الفطور وصل (هاريكى)

هو دليمنو لقي نه هاري
روژهه لات ل زيباري
فراقين بره بهري گاري
لهفي من ذلك النهار
اشرقت شمسه فوق زيبار
وفي (بهري گاري) توقف للغذاء

هو دليمنو لخميدا
روژهه لات تاقي ليذا
سه راف جونه ده شتيذا
شير سه ركة فتنه كه ليذا
يا لقلبي الغارق في الهم
غمرت اشعة الشمس الوهاجة^(٢)
وبلغت طلائع جيشه السهل
واخذت الاسود تصعد نحو القلعة

هو دليمنو ل هيقي
زردنا دكهت جيكه جيكي
شيف بره آميدي
يا لقلبي المفعم بالرجاء
والزرننا تصدح بانغامها
وصل العمادية وقت العشاء

(١) الزرننا (السرناي) آلة موسيقية نفخية تعمل من القصب في كردستان.
(٢) المخاطب هو (سمايل آغا)

عبدالرحيم به گي به رواری
هردو چاف لیبن تاری
کاغز بو (سمایل) هناری

عبدالرحيم بك البرواری
افقده الله باصرتیه!
کتب رساله سمایل

سمایل آغا گهردن زهر
بلا بیتن لسه سهر
دی دهن مالو زیری زهر

یاسمایل آغا الاشقر
مجيئك الينا على الرأس والعين
وستدفع الليرة عن كل بيت.

سمایل آغا کاغز خونديه
زور باش تیگه یشتییه
سی صد می زقرانديه

تلا سمایل آغا الرساله
متمعناً فيها مدقفاً
ثم امر ثلاثمائة مقاتل بالعودة

عبدالرحيم به گي به رواری
هردو چاف لسه ری بن تاری
جاب بوفه لا هناری
هاته خه رچی زیباری

عبدالرحيم بك البرواری
فليفقده الله كلتا باصرتیه!
ارسل انذاراً للنصارى
بأن الزيباريين جاؤوا بطلب الخراج

تیارى هاتنه خاره
قوتانندن دولو نقاره
نه دو نه سی نه چاره
گوت مهو زیباریا ئەف جاره

انحدر التيارية من فوق
يضرِبون طبول الحرب
لا احاداً ولا مثنائاً ولا ثلاثاً
مهددين اما الزيباريون او نحن

سپیدیه هیشتا زویه
(ههسنه سور) دگهل ویه
سمایل آغا سوار بیه
زیندی زهر له دؤ ویه
والصبح مازال ولیداً
والی جانبه (ههسنه سور)
امتطی سمایل آغا جواده
وخلفه (زیندی زهر)

آمیدی خوار کهفتیه
نیزیک بونه قومری یه
فله هاتنه بهراهی یه
انحدر القادمون من العمادیة
واقتریوا من (قمری)
فاستقبلهم النصراری فی الطریق

فله لا ته کبیر کری یه
زیباری ریز کرینه
ههریکی یک له دویه
سمایل آغا له بهراهی یه
مام بثیو له دی وی یه
احکم النصراری تدبیرهم
ام ینظم الزیباریون بحیث یكون
خلف کل واحد منهم نصرانی
وسمایل آغا فی المقدمة
یتبعه (مام بثیو)

(ههسن) میره کی بحسیبه
سوند خاری بکتیبه
فان فه لا لگهل مهلیقه
اقسم (ههسن) الرجل الحکیم
بحق کتاب الله
ان النصراری یکیدون لنا

(بثیو) نصرانی دیری
گهشته مام سمایل لویری
گوتی تو بوچی هاتیه فییری
(بثیو) نصرانی الدیر
ابتدر سمایل آغا فجأة
ما الذی جاء بك الی هنا؟

بثيو) به رازى خوئسه
سميل ته مهت وه ريسه
گوت مام سمايلو ببه ريسه
بثيو) الخنزير المتين الالواح
بشاربيه الغليظين الشبيهين بالحبل
صاح أمر مام سمايل الق بسلاحك

گوت مام بثيو وه نينه
كوشتن نك مه چونينه
ريس كردن لنك مه خينه
أجابة إسماعيل: مام بثيو
أنت واهم فالقتل عندنا لاشيء
تجريد السلاح لدينا هو سفك الدم

گو به ئنجیلی به قرآنی
توشه ش خانى^(۱) نابه یه بارزانی
دی به مه (شیفا لیزانی)
دی بی که م آرمانجانی
قال قسما بالانجيل والقرآن
لن تعود بندقيتك الى بارزان
سأخذها منك الى (شیفا لیزان)
واتخذها ملهاة الى هناك.

گوبه ئنجیلی به قورآنی
شه ش خانى نابه یه لیزانی
پی ناکه ی ئارمانجانی
دی به مه فه آخا بارزانی
اجاب قسما بالانجيل والقرآن
لن تذهب بندقيتى الى لیزان
ولن تتلهى بها بل ساعود بها
الى أرض بارزان

(۱) الششخانة: هي البندقية التي تدور في سبطانيتها ست حلزونات. وتمتاز
ببعد مداها لهذا السبب.

كولانا قومري تهنگه
(بثيو) لئى گرتى تفتهنگه
وفى ممر قمرى الضيق
امسك (بثيو) ببندقية اسماعيل آغا

گوت ميړا كوشتن گرتيه
روس كردن نه ديتيه
فوله دميني رادميني
خه نجرى هه لكيشيني
مليت سمايل وهرتيني
ميلاكا لئى دبز ديني
خوينئ له پاخه لئى دبه نگيني
فصرح اننا الفنا القتل
ولم نألف القاء السلاح
باغته (مام بثيو) مهاجما
واستل خنجره
سمايل آغا فامتلاءت
وغرسه بين كتفه
جيوب صدره ملئى بالدماء

سمايل دميني رادميني
خه نجرى هه لكيشيني
ناقى خودى دگهل تيني
هورگى فولهى وهرتيني
صاقرارا گهرم دبژيني
مام سمايل راوه ستافه
خه نجر هه لكيشافه
ناقى خودى اينافه
وانثنى سمايل آغا مهاجما بدوره
مستلاً خنجره
ونطق باسم الجلالة
وشق بطن النصرانى
فتناثر منها (البرغل)^(١) الساخن
توقف (مام سمايل) قليلا
ليشرع خنجره ثانية
نطق باسم الله وأغمده

(١) البرغل أكلة كردية - عراقية شائعة وتعمل من حب الحنطة المطبوخة مع اللحم والسمن وهي (الكسكس) عند المغاربة.

هورگيٰ فه له ي وهرداڤه
 صاڤارا گهرم بڙياڤه
 (هه سنه سوري) هاقري ڦه داڤه
 مرة اخري في بطن النصراني
 فانتثر منها البرغل الساخن
 فالتفت اليه (هه سنه سور).

گوت (مام سمايل) توي ديني
 تو ليڙه دست هه ليني
 دي تو ڦي مه ڦه ليني
 توجي تيبينا تينا بيني
 وقال له مام سمايل انت مجنون؟
 أهذا موضوع مناسب للقتال؟
 أم تريد ان يقضى علينا جميعا؟
 كيف لا تفكر بعاقبة ماتفعل؟

گوت مام هه سنو وه نينه
 نه ڦه خه تا من نينه
 بهرگيزي من هه لينه
 پاخلا من ته ڙي خينه
 ميڙ به دست هه لينه
 من كه سي حازر نينه
 قال (مام هه سنو) أنت مخطأ
 فالذنب ليس ذنبي
 افتح صدري وانظر
 جيوبى المألى بالدم
 كن رجلا وبادر للقتال
 وليس معي احد

مام هه سني يڪ خه بهر
 خوهاڦيته به رام بهر
 خه نجر دايئا پور تاسهر
 خه نانشو كه فته بهر
 لبن نه رزينكي كره دهر
 ده ستي ده بانئي بو كهر
 (مام هه سن) الوفي اندفع الى الامام
 قفز وتوقف قبالتة
 وسدد طعنه خنجر الى رأسه
 فالتقى بـ(خنانشو)
 خرج خنجره تحت دقنه
 فانكسرت قبضة الخنجر

گوت شکه ست زیلانا خه نجرئ
ئه زمحتهل بم قئ گه رئ
چوخه نجره فله ی لبین کیشا ده رئ
مام (هه سنی) هه سنی
خه نجره وکو گاسنی
هه چی گه شتئ هنجنی
ناف شهرا خود په سنی
قال ها قد انکسر خنجری
فاصبحت عاجزا لا حول لی
ثم هاجم نصرانیا فانتزع منه خنجره
مام هه سنی من قریه هسنی
بخنجره الذی کان یفعل بالرجال
کما تفعل شفرة المحراث فی الارض
فهو الشجاع المعتد فی المعارك

لهوی فهات (زیندئ زهر)
دهستی لسر که ماخا خه نجره
هه چی گه شتئ دابه ر
واقبل (زینده زهر)
من الجهة الاخری مستلا خنجره
یفتک بکل من یصادفه

مه لک (خه یو) کر هه وار
له هه می لایه کی هاتنه خار
وه کو گورگیت بریندار
هتف (ملک خیو) مستنجدا
فانحدر الجمیع الیه من کل صوب
الی الحومة کالذئاب الجریحة

هو بگه لته بؤن گه لته بؤن
لبن گوئیزی بگه لته بؤن
سی وجوت فله بون
ئه و زور د زیده بون
هه سنه سور لناف ده بره بون
واختلط الحاجل بالنابل
وحصروه بینهم تحت شجرة جوز
الواحد منهم یواجه ثلاثة نصاری
کانوا أضعافاً مضاعفه
هه سنه سور کان المنجد

هو خولامت بم ده بانئ	نفسى فداك ايها الخنجر
تهرما بائئ كولانئ	اقذف بالاشلاء الى الشعب
ئهقرو روژا ليكدانئ	فهذا هو يوم النزال
كوشتو مهلكى (ليزانئ)	لقد صرعت (ملك ليزان)
گوهه تا روژا آخرئ زه مانئ	خالدا الى آخر الزمان
نائئ من بگيره لبارزانئ	الا فليبق اسمي فى بارزان
خولامت بم شير خورئ	نفسى فداك يا قريع السيوف ^(١)
تهرما بائئ ناف كورئ	أقذف بالاشلاء الى الطين
ئهقرو روژا گرگرئ	فهذا هو يوم النزال

هاى بارى بارى بارى	الدماء تنزف و تنزف وتنزف
سپيدئ هه تا هيئقارى	من الصباح حتى المساء
روژا كره شهقاتارى	تحول النهار الى ظلام دامس
خين سهر زه ندئ زه ربارى	تجري الدماء على السواعد
شهر كه فته ناف آقارى	وانتقل ميدان القتال الى السهول
بارك الله تيارى بارك الله زيبارى!	بارك الله تيارى بارك الله زيبارى!

بارزانى گورگيت هارن	البارزانيون ذئاب مسعورة
دهوام چه خماخ دسوران	بنادقهم مهياة على الدوام
خاسما فهله نه يارن	خصوصاً في مواجهة النصارى

(١) يقصد الخنجر.

انحدرت القوة
وهه سن يترنم منشدا
حديد خنجري کرمانى
وهو يطاعن به

شعب (قمرى) ضيق
يرجع اصدااء رصاص الششخانه
انها حرب الزيباريين والنصارى

صرع الخنجر الفولاذى القاطع
قتل ملكا من عشيرة (آشيتى)

شُعب (قمرى) منبسط
والدم متخثر على اديمه
بقى من البارزانيين أحد عشر

نفسى فداك يا قريع السيوف
الجثث قد تمرعت في الطين
ولم يعد لـ(ههسنه) مفر

شُعب قمرى منحدر
وبنادق الششخانه تلعلع و تلعلع

لهشكر داخشيا خارى
ههسنى دكهت زيمارى
خهنجهر آسنى کرمانى
ييت وهشيني دهبانى

كولانا قومرى تهنگه
شهش خانا رنگه رنگه
فهلا وزيباريا جهنگه

خهنجهر آسنى برىتى
كوشتو مهلكى (آشيتى)

كولانا قومرى راسته
خين سهر ههردى بى ماسته
بارزانى ييت ماى بازده

خولامت بم شير خورى
كهلهخ كهفته ناف كورى
ههسنى نهمانه چى رى

كولانا (قومرى) كيره
شهش خانا ليره ليره

هه وارا مه ياديره

والنجدة عنا بعيدة

كولانا قومري دهشته

شُعب قُمري متطامن

هه سنه سور سمبيل په شته

وشاربا (هه سني) مشذبان

بارزاني ييت ماي هه شته

بقي من البارزانيين ثمانية

كولانا (قومري) تاري

شُعب قُمري مظلم

خه نجه را خين لي دباري

الدم يتقطر من الخناجر

هاتنه فه لا زيباري

حين كر الزيباريون على النصارى

كولانا (قومري) پانه

شعب (قُمري) منبسط

شهش خانا دهنگ فه دانه

اصداؤه ترجع دوى الششخانه

بكوژن به رواري وفه لانه

الا افتكوا بالبرواريين والنصارى

كولانا (قومري) بداره

شعب (قُمري) مشجر

خين سهر هه ردي چو خاره

الدماء ساحت على الارض

وه كو جو كو روباره

سيلان الانهر والسواقي

بارزاني ييت ماي چاره

لم يبق من البارزانيين غير أربعة

سه رگا گوندي بداره

شمال القرية مشجر

ل هه سن كره زباره

اطبقوا على (هه سن) بجمع كبير

بيوههاتن دوباره

تألخوا عليه مرة اخرى

هه سن دخيني گه قزي كه فته خاره

فسقط مضرجا بدمه

الملحق الثالث القصيدة الدينية

تعريف بالقصيدة

في فصول الكتاب الاولى نوهنا بهذه القصيدة الطويلة التي تتألف من (٩٥) بيتا ثلاثي التصريح، وتكلمنا عن ظروف نظمها وتاريخه. وهي في الواقع لاتخرج عن نطاق التثقيف الديني والاخلاقي تبداً بذكر صفات الله. والخليقة وسقوط ابليس ومحاولته اغراء البشر بالمعثية. والجهود الإلهية المبذولة في سبيل احباط احابيل الشيطان وانقاذ البشر من احابيله واغراءاته. ينتقل الناظم بعد هذا الى تذكير بنى قومه بعذاب الاخرة مع لزوم التمسك باهداب الفضيلة، مذكراً بعذاب جهنم وما سيجنه الخاطيء يوم القيامة وكيف انه سيصلي نار جهنم ويذوق صنوف العذاب الا بدى فيها، ثم يأتى الى وصف يوم الحساب والدينونة بفتح سجل أعمال كل شخص وتجري محكمته بمحضر من الملائكة وغيرهم من الصالحين. ويختم الناظم قصيدته باسداء النصيحة المعهودة للناس باتباع سبيل الخير واجتناب المعصية. والدعاء والاستغفار. مع اثبات تأريخ نظم القصيدة. (١٢٥٨) هـ. ١٨٤٢ م.

گو بده نه به حسى خوش
گه لى كه سى صاحب گوش
خودى نه كه ن فراموش
استمعوا الى الحديث الشيق
انتم يا ذوي السمع
اياكم ان تنسوا الله

ئه گهر جوان ئه گهر پير
كه سى خودى بكه ت ژبير
قيامة تى دى بيت ضه رير
شبابا كنتم ام شيوخا
من ينس الله
يصاب بالعمى يوم القيامة

كه سى خودى نه ناسى
رون نابى قه لى قاسى
حاصل نابى خلاصى
من لم يؤمن بالله
لن يضىء النور فى قلبه
ولن يتحقق له الخلاص

خالق يكه يى هه قاله
نه ماننده نه مثاله
نه مردنه نه زه واله
خالق الكون مفرد. ماله شريك
ولا مثال ازلي هو
حي لا يموت، لا يزول

نه ماننده نه نه ظيره
نه شريكه نه مشيره
نه معينه نه نه صيره
لامثيل له ولانظير
لامشير له ولا شريك
لامعين له ولا نصير
يارب تو زورى بلندى
ربي انت جد رفيع

بی مثال ومانه نه دی بلا مثال ولا نظیر
بوته نینه چون وچه ندی تجل عن الوصف بالکم والکیف

دقیّ چونیّ تیّت خه بهر فمن ناحیه (الکیف)
ئه و نه جسمه نه جه وههر انت لست بجسم ذی ابعاد او جوهر
نه عه رضه نه به شهر انت لست کالبشر

ئه و خالقه بتنیّ انه الخالق الاوحد
منزه هه ژمردنی المنزه عن الموت
هه ژخه ویّ و خارنیّ وعن النوم والطعام

ره وانینه اتصال وانفصال لم یؤثر عنک اتصال وانفصال
بو مه عبودی ذو الجلال ایها المعبود ذو الجلال
دگهل عاله ما شبهیّ اظلال مع العالم الذی هو كالظلال

ربی توّی فهردی وه حید الهی انت الاوحد
یک له حظه نابی به عید لا تبعد لحظة
ئه قره ب تری ئز حبل الورید انت اقرب من حبل الورید

ربى توى شاهى مه تين
ايجاد كر ژا قا مه هين
الهي انت الملك القوى
من الماء المهين
چهند صوره تيت مه ظهه ركرى
موجد الكثير من الصور

خودى هه نه حه فت صفات
قه ديمن نه وهكى ذات
لله صفات سبع
وهى لذاته قديمات
يك علمه يادى حهيات
اولها العلم بالأشياء وثانيها الخلود

يك قدرته يادى بيستن
يك اراده يه يادى ديتن
ثم القدرة ثم السمع
ثم الارادة والبصيرة
سابعى وان آخفتن
وسابعتها النطق.

كه لامى وى دوره ژحرف ودهنگا
ذاتى وى مؤنه زهه رته ثليثا فرهنگا
كلامه منزه عن الحروف والصوت
ذاته منزهة عن تثليث الافرنج^(١)
مؤقه دهسه ژهندي نه لوان و رهنگا
وهى اقدس من الصفات والالوان

(١) يشير هنا الى عقيدة التثليث عند المسيحيين الذين يرون فى (الله) ثلاثة اقانيم وهى الاب والابن والروح القدس.

ژهندي جملهی ممکناتان من جميع الممكنات
ژجهواهر و زهراتان من الجواهر والذرات
تیکدا مه ظهرن بوصفاتان کلها مظاهر لصفاته

گوت یاها مو جسمه که توجانی قيل الجميع جسد وانت الروح
گوت یاها مو داره که ن توبانی قيل الجميع بيت وانت الباني
گوت یاها مو شه ره کن توخانی قيل الجميع مدينة وانت الحاكم

باری بو که نزا مه ستور أظهر الباریء الكنز المدفون
بطون گیرا بظهور أظهر الباریء الشيء الخفی
اظهار کر عاله ما مه ستور أظهر العالم المستور

اظهار کر ژبطونئ أظهر من المستور
ما به بینا کافی ونونئ^(۱) ما بین (الكاف والنون)^(۱)
عاله م اینا بیرونئ اظهر وجودية العالم

(۱) الكاف والنون هي (کن) عنی فعل الامر من مصدر الکینونة.

ايجاد کر بوئ طهرزی
ژبو بروزا که نزی
تہو دزانیت حکمه تا ره مزی
أوجدها على هذا الشكل
کی يظهر الكنز المدفون
فهو العارف بحكمة الرمز

ژحالی دی خه به رده م
اول اظهار کر عالهم
آخر ايجاد کر آدم
أنی لأخبر عن واقع الحال
خلق العالم اولاً
ثم خلق آدم أخيراً

آدم اینا وجودئ
فه رمان کره مه له کیت شهودئ
بو آدمی هه رنه سجودئ
جاء بآدم الى الوجود
وأمر الملائكة
ان اسجدوا لآدم

تہوان بهیست تہو خه بهر
که س ژ امری نه جوده ر
الا ابلیسی بهد نه ظه ر
أطاع الملائكة الامر
ولم يتخلف منهم أحد
غير ابليس

فرمان کر شاهئ وه دود
دگهل ابلیس مه ردود
ته بوجی نه بر سجود؟
أمر الرب العطوف
ابليس الرافض
لماذا لا تسجد أنت لادم؟

حجته اي نا عيني
أدلى اللعين بحجته قائلًا
ئه زچيترم بيه قيني
انا لاشك افضل منه
ئه ز نار يمه او طيني
فوجودي من نار وهو من طين

ئه و دكه ت قالو قيلا
وأسهب فى القول وغالى
فايده نه دا ده ليلا
ولم تكن حججه ذات جدوى
ئه و گه ريا بو ژ ده ليلا
وعاد يجر اذيال الذل و الخيبة

ابليس كه فته ذله تى
أصابت ابليس الذلة
كر دعايا مؤهله تى
وطلب من الله مهلة
حه تا روژا قيامه تى
حتى يوم القيامة

خودى ئه و نه كر مه حروم
لم ينكر الله عليه ذاك
گوت مؤنتظربه ياظه لوم
قال لك هذه المهلة يا ظالم
حه تا روژا وه ختى مه علوم
الى ذلك اليوم المعلوم

حال كو بو سه ره نگوئن
وعندما تبديل الحال
ظاهر بوسرا مه كنون
وظهر السر المكنون
هه ر كافر بو او مه لعون
بدا الملعون كافر!

مهلعون مجدبۆ لكارى
سوندخار بعزه تا بارى
جد الملعون فى عمله
قال مقسما بعزة البارى
ئەزدى انسانا كيشمه نارى
سأجر البشر الى النار

دآ وان كيشمه غه ريقى
دى رونمه سهر طه ريقى
سوف اغرقهم جميعاً
سوف اكن لهم فى الطريق
هه مى رهنكا وى بهمه حه ريقى
واقود اقدمهم بكل وسيلة الى الحريق

خطاب كر ره بى عزه تى
دگه ل مستحى له عنه تى
خاطب البارى تعالى
ذلك الذى استحق اللعنة
ئەزدى لوان كه م رحمه تى
انى لعبادى راحم

ئەگه ر بكن ذله تى
هندى بكن ته وبه تى
اذا ارتكبتم المعصيات
فتبتم عنها واستغفرتم
ئەز دى لى كه م مه غفيره تى
فالله سيصفح عنكم

هه ر كه سى كۆ سه ركيش بيت
شبهى ته دى رو ره ش بيت
ومن يبقى منهم على ضلال
سيسود وجهه مثلك
حەقى وى دى آته ش بيت
ويكون جزاؤه النار

ٲهو مه لعون به دفعال
بئ ٲه ده بئ بئ ځصال
ٲهو ځه ند دريژ ځر مه قال
لما اٲال هذا اللعين
بلا اءب والځصال
واكٲر الكلام

دريژ ځر دځل شاهئ مه جيد
ٲهو ابليس وئ مه ريد
ژشه ريكان ماى وه حيد
اٲال القول مع الملك المجيد
ذاك الابليس الطريد
الذي ظل وحيدا

بسبه بئ وه حده تئ
بويه مستحه قئ له عنه تئ
ٲهو ځه ريا بو به سه رمه عصيه تئ
بسبب مسأله الوحدة
واستحق اللعنة
ارتكب المعصية

ابليس ځو نه بوقانع
ژٲه مرئ ځودئ بو مانع
له عنه ت لئ ځر شاهئ صانع
عندما لم يقنع ابليس
وعارض امر الله
لعنه الملك الصانع

ٲهو بو مه نعا عه جول
فه رمان نه ځر ٲهو قه بول
ژمه رته بئ ځه ريا عه زول
استعجاله فى رفض امر المولى
وقف امامه عقبه
فاسقطه عن مرتبته

شيطان كونه بر سجود
عندما رفض الشيطان السجود
فرمان كر شاهي وهدود
امر الرب الودود
خارج ببه يا مردود
بان ((اخراج يا منبوذ))

خارج بيه ژ جهنه تي
اخرج من الجنة
يان ژ عسما يان ژ رفعة تي
من السماء أو من الرفعة
ئه ف رهنگه مهرجه عا آيه تي
كذا كان قصد الآية

لازمه لسهر عه بيذا
واجب على العباد
قبول بكن ئه مري سه بيذا
ان يطيعوا أمر خالقهم
دانه بن ژ زمرة يا مهريدا
كي لا يصبخوا في زمرة المنبوذيين
ئه ز لهو ده كه م قئ قصه تي
قصدي من هذه الرواية
هر كه س گوه بده تي
كل من يسمعها
بخو بگريت عبيره تي
ان يعتبر بها

نه فسائه مارة بالسوء
النفس أمارة بالسوء
هندي مهلت بدهن له دو
كلما فسحت الطريق لها
ته وبه ناكه ت زوبه زو
تعذر عليها ان تتوب

عجل اصح من نومك

وأنب نفسك

واخجل من الخالق

من الخالق وحده

فلتكن خائفاً من الموت

أهجر الدنيا

أترك متاع الدنيا

وأخش ساعة اللقاء

وواجه الفناء

كفك تكبيراً وغروراً

فالسفر طويل جداً

ومنزلك للحد العميق

منزلك القبر الضيق

فكر بأية صورة ستكون

حيث لاجدوى من استغاثة أو نجدة

زو به رابه ژڅځى نه ومى

ژنه فسا خو بکه له ومى

ژخالقى بکه شه رمى

ژخالقى بتنى

بترسه ژ مرنى

ته رک بکه څى دنى

ته رک بکه دونيائى

بترسه ژ لقائى

به رى خوبده فه نائى

توبه س ببه مه غروره

سه فتراته زورا دوره

مه نزلاته قه برى کوره

مه نزلاته قه برى ته نگه

توبزانه ئه و جى ره نگه

بى هه وارو بى ده نگه

بي دهنگوبى ههواره
چار كنار لى ديواره
تهژى دوپشكو ماره
لا نداء ولا نجدة ترجى
أطرافه الاربعة جدران صماء
تملؤه العقارب والحيات

گاڤا ته مام قه شارى
دى هيته سهري ته هشارى
دى نازل بن قاصديت بارى
ما ان توار اللحد
حتى يعود الى الذهن شعوره
ويهبط اليك رسل الباري

گاڤا ته تينه شوهوڊى
دى ته راكهن حالى قعوڊى
سؤال دكهن رته مه قصوڊى
عند الاستجواب
وانت جالس
ستسأل عن القصد والحال

چى مه قسوڊى نهو دى قه سدكهن
سؤالا خالقى نه حد كهن
هه م پرسا نه بى نه حمه د كهن
ماهو مقصوڊهم منك
سيسألونك عن الله الاحد
وعن النبى أحمد ايضا

نه گهر جهواب نه بيت سه ديده
گوزرا وان بيم حه ديده
قالب دكته قه ديده
لان لم يكن جوابك سديدا
فستنال منك رماحهم الفولاذية
وسيقطعون جسمك اوصالا

گوزرا وان بيم زور کوباره
گهر له جيا يا بدهن يک جاره
ديکته تن توز وغوباره
أقول- ان رماهم العظيمة جداً
لو مست الجبال مرة واحدة
لتصاعد التراب والغبار منها

ئهو دئ مينيت بوى عهيشى
قهه نامينيت چى خوشى
ژفراشا آته شى
سيبقى كذلك بائساً
ولن يجد سعادة قط
وعلى فراشه الملتهب ناراً

چه آتەش و هەم گۆرى
مه له كئ وى له قهبرى خورى
حه تا تەنيشت تىك پەرى
حيث النار اللاهبة
ويزجر الملائكة داخل القبر
حتى تدخل الاضلاع بعضها في بعض

ئهو مهيت وهى بئ مهفەر
تاقهت ناکهت بيته دەر
دئ لنيک مينيت کورؤ کهر
المتوفى الذى سدت بوجهه
جميع المنافذ ليقوى على الخروج.
انه اعمى ابکم

ناقئيت وان بينم به تەفسير
يک مؤنکيره يک نهکبر
يان مبشره هەم به به شير
ها أنا ذا أشرح أسماءهم
أحدهم (منکر) والآخر (نکير)
وثم (المبشر) و ثم (البشير)

جمله‌ی وان چار اسمن
مسه‌مايي وان دو جسمن
تیکدا اموات دو قسمن
هم أربعة بالاسماء
لكن المسمى جسمان
كذلك الاموات فهما قسمان

ئو مه‌له‌کیٔ صاحب کهرب
گاڤا لمه‌یتیٔ دن ضه رب
هه‌وار دئی چیته مه‌شرق ومه‌غرب
عندما يتولى هؤلاء الملائكة
الغاضبون ضرب الخاطيء
ينشر صياحهم شرقاً وغرباً

دئی گولیٔ بیت ده‌نگاوان
خه‌لقیٔ عرد وعاسمانان
غه‌یری جن وانسانان
وصوتهم يسمع
في الأرض والسموات
ناهيك بالانس والجن

گهر لگوھی وان بده‌ت
دئی بیته ترسو هه‌بیته
ایمان دی بیت بی منه‌ت
اذا ماسمعوا ذلك الصياح
فسيركبهم الخوف والهلع
ويدخلون في دين الله دون تردد

گاڤا مه‌له‌ک لیٔ دخوری
کافر دی لجه‌وابیٔ هه‌یری
دی ها ها لا ادری
عندما يزمجر الملاك
يختار الكافر في الجواب
ويتلعثم ويقول ((هاها لا ادري))

ئەگەر جەواب سەدید بیت
ئەزمان دى لى فەصیح بیت
حالی وی دى مه لیح بیت
وعندما يكون الجواب صحيحاً
يصبح اللسان فصيحاً
ويتبدل الحال الى الافضل

جەوابا دروست دى ئەو بی
بیژیت الله ره بی
ومحمد نبی
والجواب الصائب هو أن يقول
الله ربي
ومحمد نبی

وان الاسلام دینی
والقرآن امامی
والکعبة قبلتی
والاسلام دینی
والقرآن امامی
والکعبة قبلتی

والمؤمنون اخوانی
والمؤمنات اخوانی
وابراهيم الخليل أبی
والمؤمنون اخوانی
والمؤمنات اخوانی
وابراهيم الخليل أبی

گاڤا تەمام بو جەواب
ژ غەیبی دى هیئت خطاب
عهبدى من گوت یاصهواب
ما أن يفرغ من الاجوبة
حتى يأتي خطاب من الغيب
لقد نطق عبدي بالصواب

عبدی قال الحق
فأفرشوا له فراشاً من استبرق
مع السندس والنمرق
عہدی من گوت یاحہقی
بو رابیخی فراش واستہ برقی
دگہل سندس وبال بہ بقی

ولحسن الطالع والسعد
یأتی خطاب للملائكة
افسحوا لعبدی وافتحوا له النوافذ
ژیمنا طالع وفہلہ کا
خطاب دی ہیئت بومہلہ کا
بوعہدی من فہکەن کولہ کا

افتحوا له ابواب الجنة
مرحباً بشم الرحمة
حيث المرء لا يعاني أو يقاسي
کولہ کا فہکەن دجہنہ تی
خوش بیئت بینا رحمہ تی
دا نہ بینیتن زحمہ تی

بعد نهاية المقال
ينقلب الحزن الى سرور
ويقصد العبد أهله
پاش کو بریانہ مہ قال
لبوعہدی خوش بو حال
ئو دی کہ تن قہ صدا مال

لكن الملائكة يقولون له
لاتفعل ذلك ابداً
لاتذهب الى بيتك واهلك
دی بیینہ وی مہلہ کہ
عہدو تو وہنہ کہ
قہ صدا مالا خونہ کہ

قه برى ته دى بيت آقا
مىقدارى ديتنا چاڤا
بنقه وه كو بوكو زافا
فقبرك سىكون عامراً
على مدى البصر
نم كما لو كنت فى ليلة زفاف

ئه ف نه ظمه نه ظما جديده
شو بهت وه عدو وه عيده
اقتدا بكه لامى مه جيده
ليس هذا النظم بالنظم الجديد
انه من قبيل الوعد والوعيد
اقتداء بكلام الله المجيد

ئه گهر عه يبهك تيدا بى
كهس يارو برا بى
نكر نه كهت بخرابى
ان كان فيها عيوب
فأملى من اصدقائى واخوانى
ان لا يذكرها بسوء

ئه گهر چه نديش خراب بى
حه قى وى عيتاب بى
تو ببيژه صه وابى
وان كان نظمها سيئاً
وفيهما ما يستوجب النقد
فقل أنت الصواب

نه ظم جه ندا سه قيم بى
ناظر ئه گهر حه ليم بى
دى ژ طه عنى سه ليم بى
اذا كان النظم سقيماً
اذا كان الناظر اليه حليماً
فانه سيسلم من الطعن

نه ظم ئه گهر بره و اج بی
ناظر ئه گهر به لجاج بی
بی شک ئه و دی حه راج بی
أما اذا كان حسنا ورائجاً
فانه لاشك سيفقد قيمته
اذا كان الناظر فيه ذا لجاجه

ژهیجره تی دهم خه بهر
سالا جاری بوقه دهر
رابری بو له فظا عه مفهر
واما قولي عن العام الهجري
فاعامنا هذا الجاري
ضمن لفظه عمفر

جاری بیون چه ند سنون
ذ هیجره تی رابری بون
حائو رأ و غه یینو نون
مضت سنون عدیده
علی العام الهجري
حاء وراء غین ونون

ره بی تو غافری
آزبکه ی شاعری
ژ عه زابا ئاگری
الهی انت الغافر
الا اغفر لهذا الشاعر
ونجیه من عذاب النار

ره بی توی راحمی
خه لاص بکه ی ناظمی
روژا ئه خذا ظالمی
الهی انت الرحیم
انقذ هذا الناظم
عند حساب الظالمین

بحق ((سورة قاف))

وبسبب هذه الاضافة

نجنا ربي من الخوف

الهي انت الملك القوي

احمنا بجاهك من ابليس

عند النزاع الاخير

عند سكرات الموت

امنحنا يارب راحة

وانقذنا من الأيام الاحتضار

عبيدك دوما يأملون

بلطف وكرم المولى

لتحريرنا من قيودنا

عبدك الغريب يتفاءل

عبدك المسكين يرجو

رحمة الرب القريب

بحق سورة قاف

هم سه به بي في اضافي

مه خه لاص بكه ي ژخه وفي

ره بي تو شاهي مه تيني

مه خه لاص بكه ي ژ له عيني

وه قتي كو آقيتيني

وه قتي نه زعا سه ركه راتي

ره بي توبده ي راحة تي

مه خه لاص بكه ي ژ زه حمه تي

اوميّد هه ر هه يه عه بدا

ژ لوطف واكراما سه بييدا

آزا بكه ي ژ قه يدا

اوميّد هه يه عه بدّي غه ريب

هيّقي كاره به ندي غه ريب

بو ره حمه تا ره بيّ قه ريب

ناف دي كه م به اعلام ساكشف عن الاسم
ببه يانو هم كه لام بالبيان و الكلام
(عبدى) مضاف بال (سه لام) انه (عبد) مضاف الى (سلام)

ئه گهر ببيژيت سائل واذا قال سائل
ئه ف اسمه نابيت كامل الاسم ليس بكامل
قه داوى نابيت داخل ولايدخل القيد

مه دفوعه تن ئه و مه سهل هذا المثال مدفوعاً
قه داوى دي بيت داخل سيدخل هذا الاسم كاملاً
بحكمى مه جازى مرسل بحكم المجاز المرسل

ئه و خالدى زيبارى ذاك الخالدي الزيباري
هيفى ده كهت ژ بارى الداعي من الباري
آزا بكه ي ژ نارى حمايته من النار

خالديمه بطه ريقه ت انا خالدي الطريقة
زيباريمه بعه شيره ت زيباري العشيرة
بارزانيمه بمه سكه ن قه ريه ت وقرية بارزان مسقط رأسى

رهبی آزا بکهی عه بدئی طالح
عه فو بکهی مریدی صالح
بی حورمه تی النبی الفاتح

اللہی اغفر لعبدک الطالح
وأعف عن المرید الصالح
بحرمة نبیک الفاتح

هه و النامه ی کتیب

هه و النامه كتيب

ملحق صور وخرائط

هدهوالمهوى كيتير

هه و النامه كتيب



ملای ملا محمود (شیخ عبد الرحمن)



شيخ عبد السلام البارزاني في الوسط والى يمينه سليمان بك قائمقام رواندوز
والى يساره كاتبه ملا أحمد إضافة الى مجموعة من قاداته العسكريين



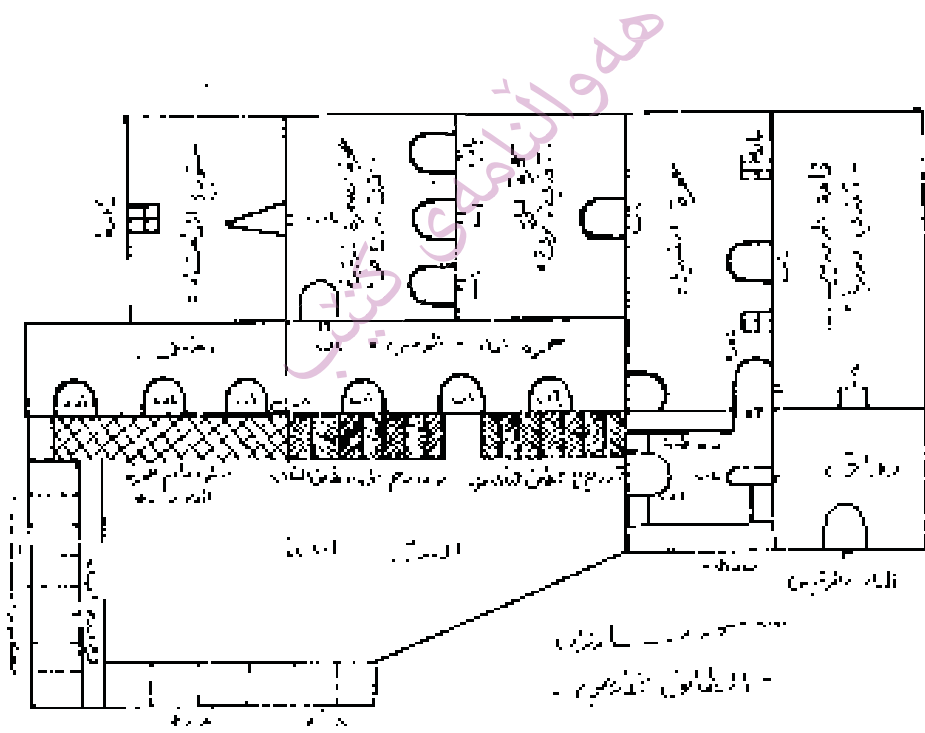
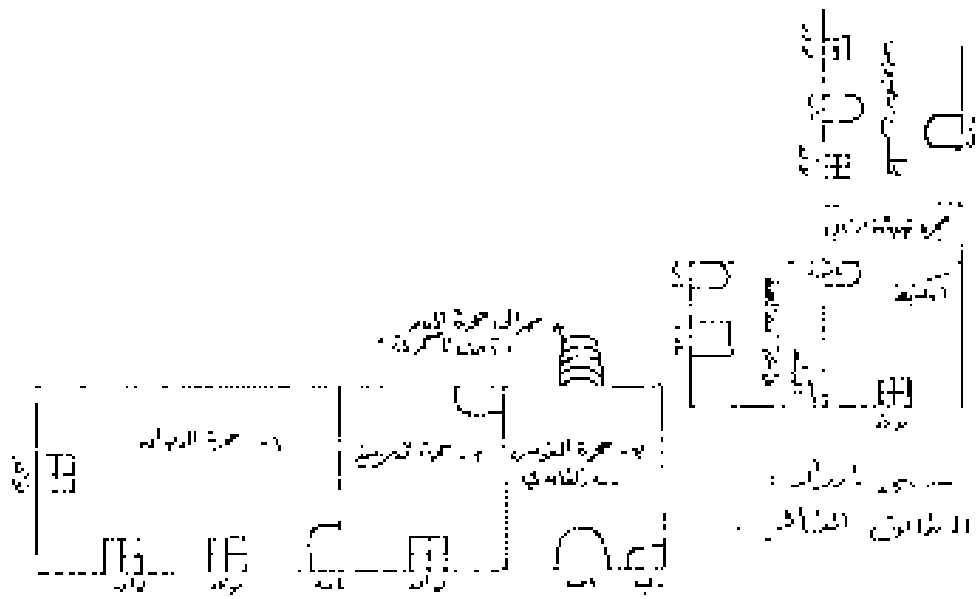
الشيخ عبدالسلام مع مسؤول روسي في تفليس



أحمد آغا بئرسياقى رئيس عشيرة الشيروان اثناء معركة قوره بهگ



مظهر خارجي لبناء المسجد القديم في بارزان





حوض الوضوء داخل المسجد القديم في بارزان

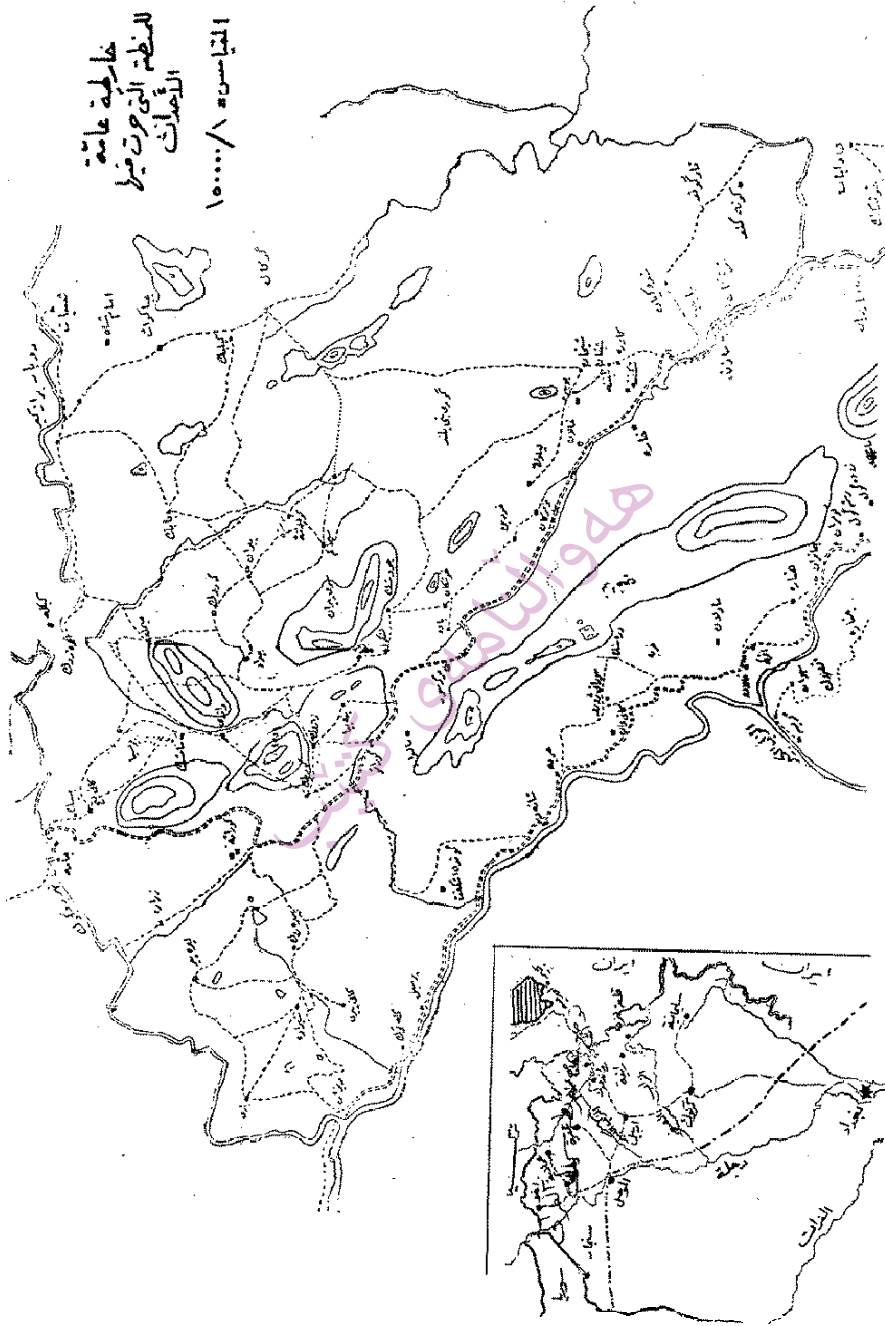


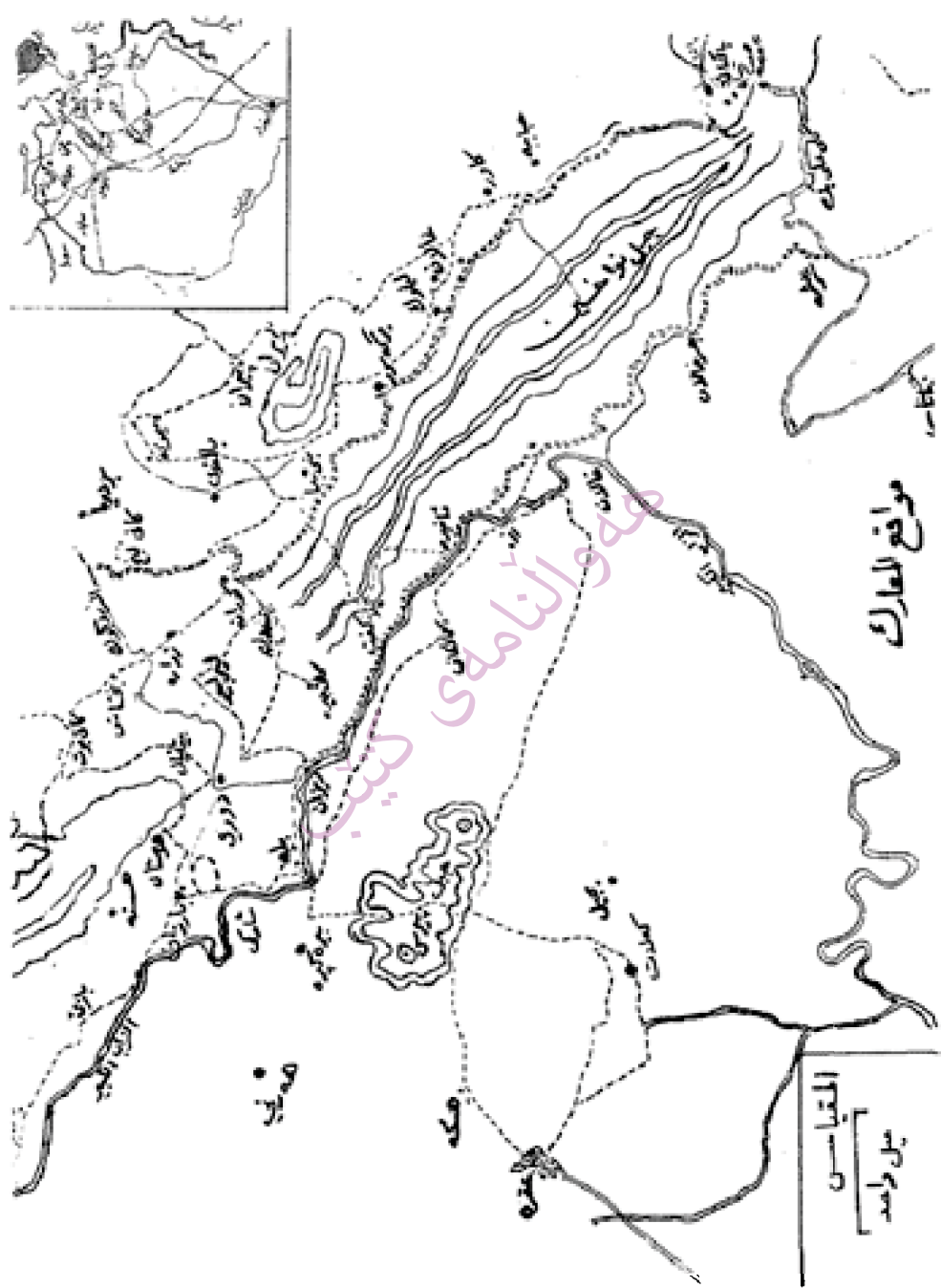
صورة لقرية بارزان بعد ترحيل سكانها نهاية عام ١٩٧٥

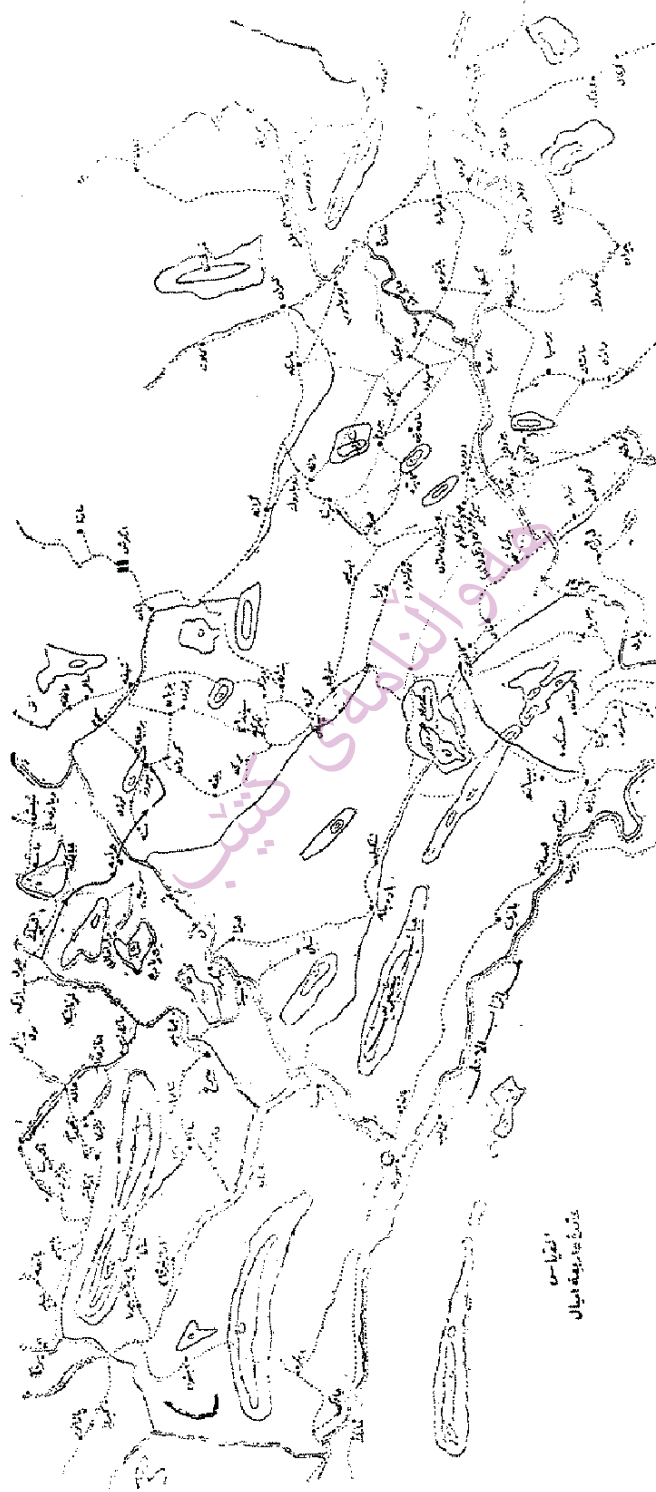


تم اغتيال ناظم باشا من قبل جمعية الاتحاد والترقي في ٢٣
يناير ١٩١٣ خلال الانقلاب العسكري العثماني عام ١٩١٣.
وانتقاماً له قام أحد أقاربه باغتيال الصدر الأعظم المدعوم من
الجمعية ، محمود شوكت باشا في ١١ يونيو ١٩١٣.

خارطة عامة
للنظم التي مرت عبر
الزمن
القياس: ١:٥٠٠٠٠

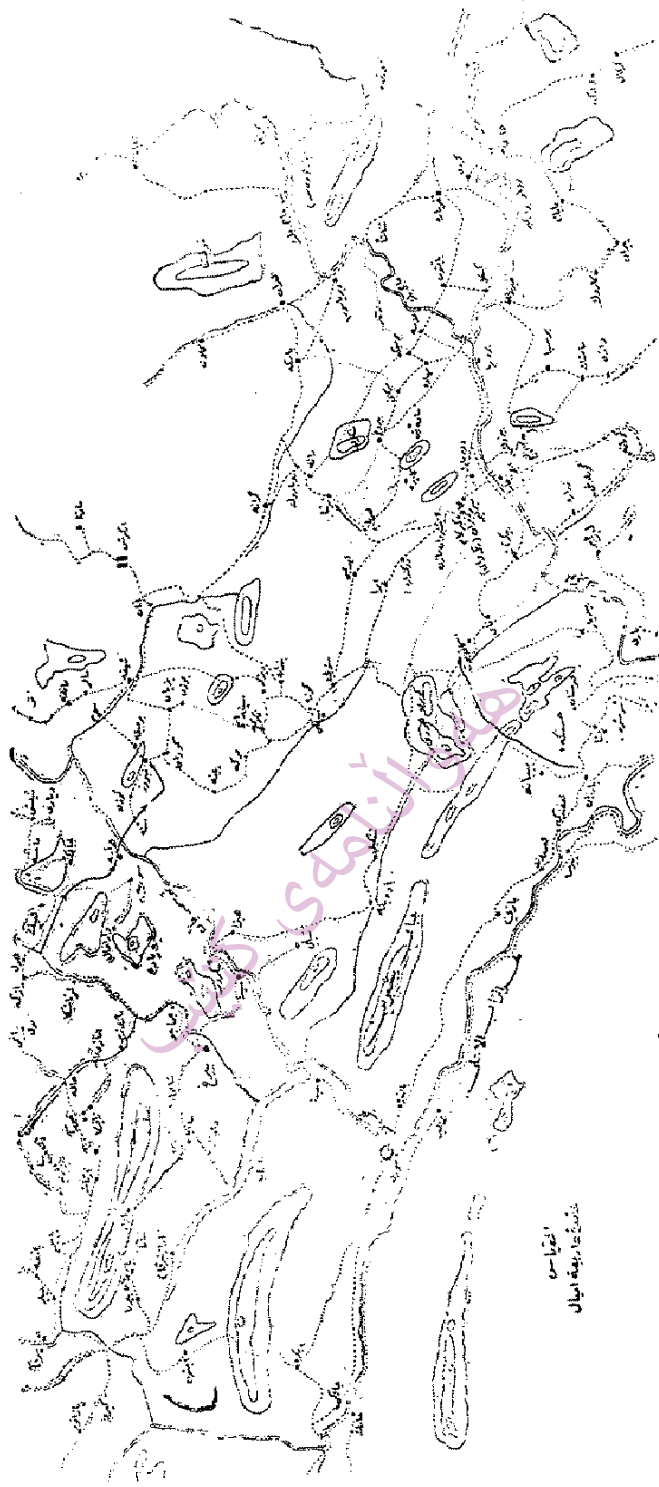






معظم قرى الشروبين والمزروبين التي تبين للبلاد لبارزين

القرى
الحدود الإدارية

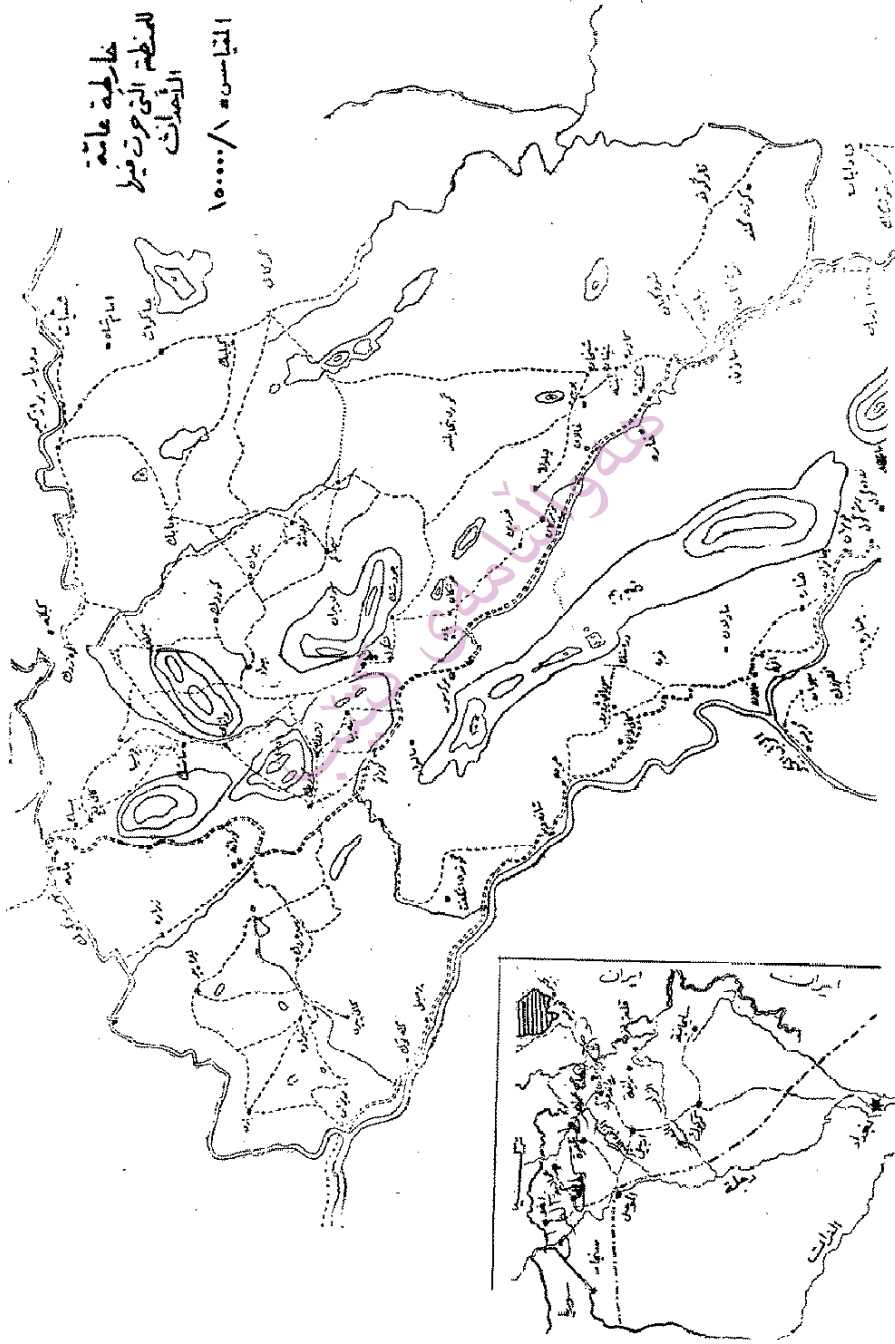


معلم توى الشيرينى و الموزين اللى تيون لبلاده لبارزان

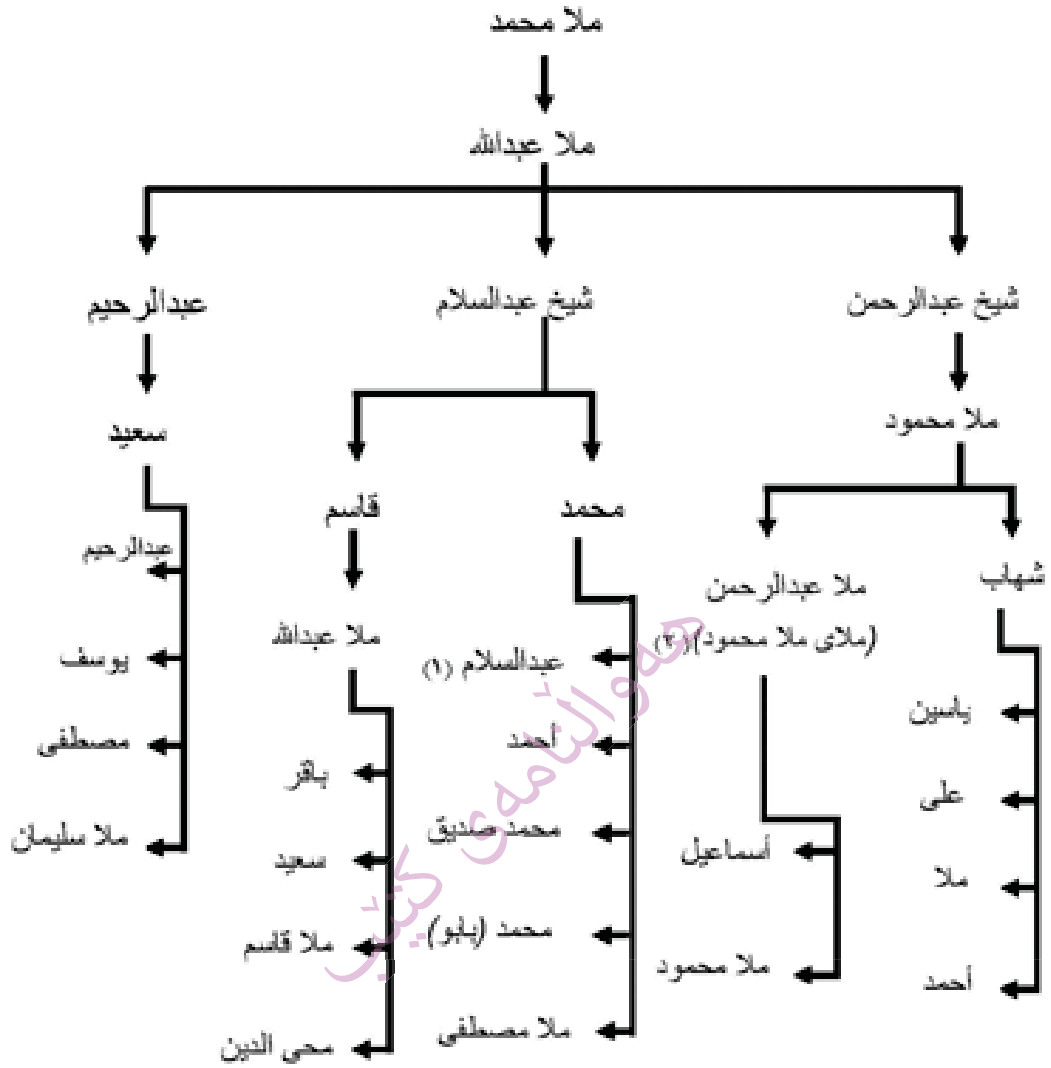
القياص
عشرون كيلومتر

خريطة عامة
للنظم التي مرت في
الأصل

المقياس: ١/٥٠٠٠٠



شجرة العائلة البارزانية



١- أعدمه الترك عام ١٩١٤ في الموصل إثر الانتفاضات التي قام بها.

٢- اغتاله ملا مصطفى و محمد صديق عام ١٩٢٧ في بارزان .

هه و النامهه كتيب

